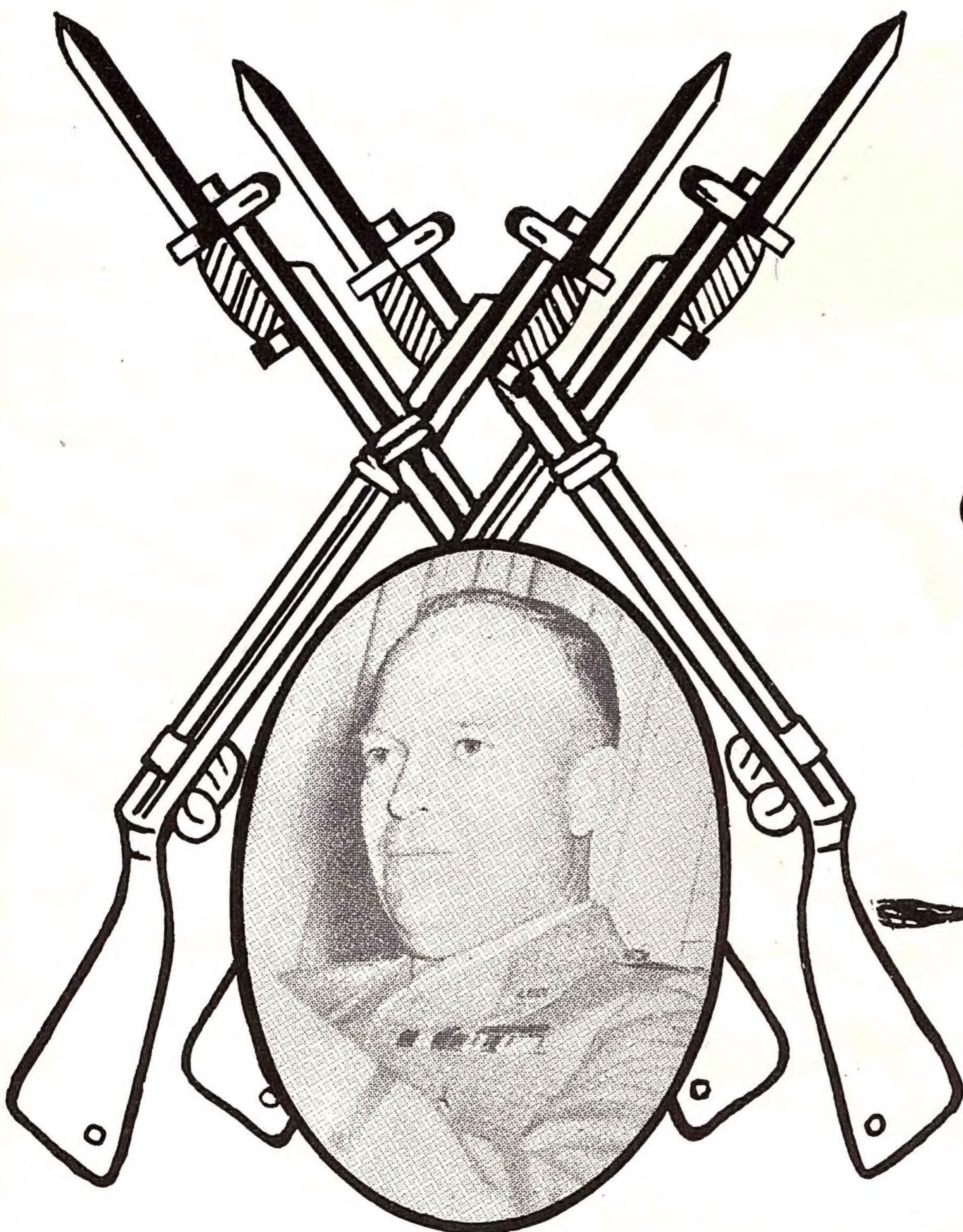


مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

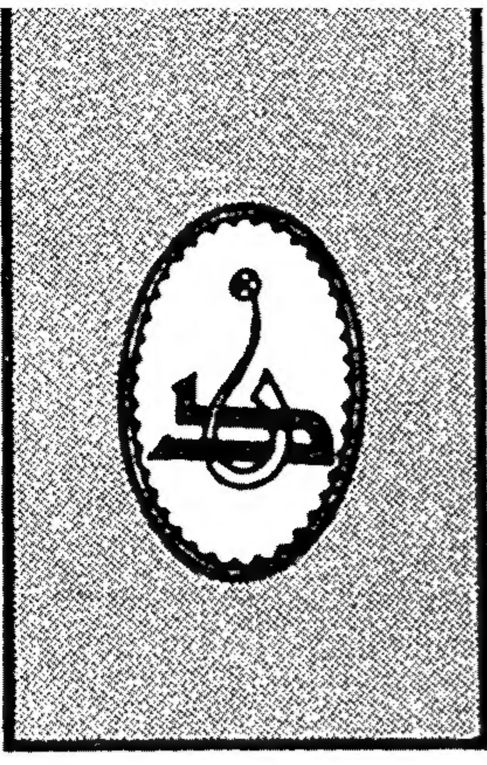
٧

أيزنهاور



بسّام العسلي

دار النفائس



الجنرال

دوايت دافيد أيزنهاور

EISENHOWER, DWIGHT

DAVID

بسم الله الرحمن الرحيم

(٧)

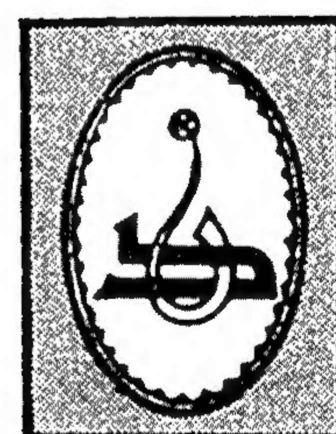
مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية



أيزنهاور

بسّام العسليّ

دار النفائس



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الوجيز في حياة أيزنهاور
١٨٩٠ ـ ١٩٦٩

١٨٩٠ ـ ولادة دافيد دوايت أيزنهاور في دينسون من ولاية تكساس.

١٩١٦ ـ تخرّجه من كلية (ويست بوينت) العسكرية، برتبة ملازم.

١٩٣٥ ـ نقله إلى الفيليبين، وعمله في هيئة أركان ماك آرثر.

١٩٤١ ـ إعادته إلى أمريكا، وتعيينه في هيئة الأركان العامة ـ في واشنطن ـ.

١٩٤٢ ـ تعيينه رئيساً لإدارة العمليات الحربية في واشنطن.

١٩٤٢ ـ تعيينه قائداً عاماً للقوات الأمريكية في أوروبا ـ إنكلترا ـ.

١٩٤٣ ـ (٢٠ كانون الثاني ـ يناير ـ) قيادة عملية مشعل، والإنزال في المغرب والجزائر.

١٩٤٣ ـ تعيينه قائداً أعلى لقوات الحلفاء في أوروبا.

١٩٤٤ ـ (٦ حزيران ـ يونيو ـ) قيادته لعملية الإنزال في النورماندي.

١٩٤٥ ـ تعيينه رئيساً لهيئة الأركان العامة الأمريكية.

١٩٤٨ ـ تعيين أيزنهاور قائداً أعلى لقوات الحلفاء في أوروبا.

١٩٥٣ ـ انتخابه رئيساً للولايات المتحدة.

١٩٦١ ـ انتهاء مدة رئاسة أيـزنهاور، وانصرافه للكتـابة العسكـرية (تُرجم من مؤلّفاته إلى اللغة العربية كتابه: حرب صليبية في أوروبا).

١٩٦٩ ـ وفاته، وتشييعه رسمياً وشعبياً.

من أقوال أيزنهاور

وجّه أيزنهاور نداءً إلى قواته عشية الإنـزال في النورمـاندي (٦ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤) جاء فيه:

أيها الجنود، يا رجال البرّ والبحر والجو.

إنكم على وشك القيام بحملة مقدّسة، بذلنا الكثير من الجهـد والـوقت في الإعداد لهـا. إن أنظار العـالم متوجهـة إليكم، وآمال الشعوب المحبّة للحـرية في كـل مكان تتـطلع إليكم. إن مهمتكم عظيمة بقدر ما هي شاقة، غايتها سحق آلة الحرب الألمانية، والقضاء على جبروت النازيين، وإنقاذ العالم من قسوتهم وطغيانهم.

إنكم ستواجهون جيوشاً ذات تدريب جيد، وقد صقلتها تجارب الحروب، وهي مكتملة العدة والعدد، يعرف كل فرد فيها كيف يقاوم بعناد ويقاتل بضراوة.

لا خوف ولا وجل، فاليوم غير الأمس، وسنة ١٩٤٤ هي غير سنة ١٩٤٠؛ فبالأمس سيطرت ألمانيا لأنها استعدت للحرب في حين كان

غيرها يبني للسلم. أما اليوم فقد أصاب الحلفاء جيشها بجراحات أليمة، وأنزلوا به هزائم كبرى، كما أوقع سلاحنا الجوي به من الخسائر الفادحة، ودمّر له جهاز صناعته وخطوط مواصلاته، بينما زودتنا جبهتنا الداخلية بأسلحة هي أقوى من أسلحته، ووسائط أشدّ تدميراً من وسائطه وعتاداً أوفر من عتاده بكثير، ووضعت بين أيدينا من الرجال المدربين على القتال مما لا يحصى عدده، وهذا هو الذي جعل المدّ يتحول لمصلحتنا. لقد بدأ الأحرار زحفهم.

إني أثق ثقة مطلقة بشجاعتكم وإقدامكم وإخلاصكم لواجباتكم، وكفاءتكم القتالية العالية، ولذلك لا أقبل منكم غير النصر الكامل.

سيروا بحراسة اللّه، وليسدد خطاكم، ويبارك عملكم، حتى تؤدّوا الواجب الذي اختاركم القدر لأدائه.

قام الألمان بهجوم مضاد كبير في بداية شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٤، الأمر الذي أثار في وسط قوات الحلفاء نوعاً من التشاؤم، والذعر، فوجّه أيزنهاور يوم ١٣ آب ـ أغسطس ـ رسالة شخصية إلى جميع ضباط الجيش، جاء فيها:

«لا يمكن لنا أن نغتنم هذه الفرصة التي بين أيدينا إلا ببذل أقصى ما يمكن من الحماسة والتصميم والعمل السريع. وإني أتوجه شخصياً إلى كل منكم أن يكون عند حسن الظن به. وأرجو من كل طيّار أن يجعل همّه الوحيد هو قصف العدو ليلاً ونهاراً حتى لا يعطيه الفرصة للقتال أو الهرب. وأرجو من كل بحّار أن لا يدع مجالاً للعدو أن

يهرب أو يستلم الدعم والإمداد من أي نوع عن طريق البحر. كما أتوجه إلى كل جندي طالباً إليه أن يتقدّم إلى الأمام لبلوغ هدفه، وأن لا يعطي الفرصة لأي من جند العدو للبقاء على قيد الحياة إلّا إذا استسلم، لا تراجع ولو خطوة واحدة عن الأرض التي غنمناها، ولن نسمح للعدو أن يجد مفراً عبر خطوطنا».

المقدمة

تجاوز الخمسين من عمره، ولما تتح له فرصة القيادة. لقد أمضى حياته العسكرية متنقلاً ما بين هيئات الأركان في الفيليبين والولايات المتحدة، وما بين الكليات والمعاهد العسكرية، وها هي سنوات الخدمة تقترب من نهايتها، وستنتهي حرفته - أو مهنته - التي عاش لها، وعاش بها، بجمع وجوده، دون أن يترك أثراً بارزاً، أو حدثاً مميزاً. إنه ليس مغموراً بين أقرانه، ولكنه لم يكن مشهوراً أيضاً، فدائرة معارفه لم تتجاوز كثيراً حدود عمله. وإذن فسيمضي كما مضى كثير من الذين عاشوا حياة الجندية ينتظرون لحظة المجد والشهرة، ويعملون لها طوال حياتهم، ويعدون لها كل ما يستطيعون، ثم تنتهي حرفتهم دون أن تخلّف وراءها إلاّ ظلالاً باهتة، وإلاّ ذكريات تافهة لا تستحق الذكر.

ولكن لا، لن يمضي دافيد دوايت أيزنهاور إلى زاوية النسيان كما يمضي الكثيرون. لقد رسم له قدره مصيراً آخر، فها هي الحرب تجتاح أوروبا وأفريقيا وآسيا، وها هي الصراعات المسلّحة تهزّ الكرة الأرضية بعنف لم تعرفه من قبل، ولا بد لشرر هذه الحرب من أن يمتد إلى الولايات المتحدة ذاتها، رغم عزلتها وسط المحيطات، ورغم

بُعدِها الشاسع عن ميدان الحرب ومسارحها المختلفة، وعندها، ستصهر نار الحرب عود الرجال، فيتألّق بوهجها من كان من معدنها، ويحترق بلهيبها من لم يكن من رجالها.

هكذا سار أيزنهاور (أو أيك كما كان يُطلق عليه تحبباً) فاقتحم بقواته شمال أفريقيا في العملية التي أطلق عليها الاسم الكودي (المشعل - تورش)، ثم سار منها إلى صقليا ومنها إلى إيطاليا، وبرهن أنه رجل الحرب وقائدها، فكانت قياداته هذه كلها هي السبيل لقيادة أضخم عملية عرفها التاريخ حتى ذلك الحين، عملية الإنزال في النورماندي.

أُمم شتى، وشعوب من جميع أنحاء الأرض، أرسلت قواتها إلى إنكلترا للاشتراك في الحملة التاريخية. وهكذا كان على أيزنهاور قيادة جيوش ذات ألوان مختلفة، وذات لغات متباينة. ولم تكن هذه هي الصعوبة الوحيدة في قيادة مثل هذه الجيوش المتنافرة في طبيعتها وتكوينها، بل كانت هناك صعوبة أكبر، وهي تنسيق التعاون بين قوات مختلفة (برية وبحرية وجوية). ولا ريب أن عمل أيزنهاور المستمر في هيئات الأركان قد أكسبه خبرات واسعة في مجال تنسيق التعاون بين القوى المختلفة، وتوجيهها بإحكام لتحقيق الهدف المشترك.

لقد حشد الحلفاء قوات ضخمة، ووسائط مذهلة، لقتال النازيين على جبهة الغرب، وأحرزوا تفوقاً ساحقاً بالقوى والوسائط. وبالرغم من ذلك، فإن القتال على جبهة الغرب لم يكن سهلاً، بل كان عملاً شاقاً، وسط مجموعة لا نهاية لها من الصعوبات، زاد من خطورتها

مقاومة الألمان الضارية، وهجماتهم المضادة العنيدة. لقد كانت معركة حياة أو موت بالنسبة للنازية ونظامها؛ فكان من طبيعة الأمور أن تزج القيادة النازية بكل ثقل آلتها الحربية.

ولقد جابه أيزنهاور مآزق حرجة ومواقف مذهلة، أذهلت الجميع، بما فيهم القادة. ولكن أيزنهاور لم يضطرب، ولم يهتز، ووقف وسط القادة وابتسامته لم تفارقه، ليشرح لهم محاسن المواقف التي خلقها الألمان بهجماتهم.

ان روح التفاؤل، والثقة المطلقة، لم تفارقه حتى في أقسى أيام القتال وأصعبها. وبذلك استطاع منح الثقة لكل من خانتهم الثقة بأنفسهم وقدراتهم، وكان في ذلك بعض عدة النصر.

لقد كان أيزنهاور يتوقع مدى ما قد يجابهه من عقبات، ويفترض مسبقاً ما قد يصطدم به من صعوبات، طالما أثارت روح الهزيمة في أوساط الجند وقادتهم على السواء. وتصدّى أيزنهاور لهذه الظاهرة، وهو يعدّ لحملته الكبرى، فقال لمرؤوسيه:

«ليس لدعاة الهزيمة ولا للمتشائمين مكان في هذه القيادة، وعلى كل فرد أن يعود إلى وطنه إذا لم يكن قادراً على الصمود في مواجهة العقبات التي ستقابلنا، والمتاعب التي نتوقعها».

وانتهت الحرب، وانتصر أيزنهاور، وكان نصراً كبيراً. وبدأ الصراع السياسي، ولم يكن أيزنهاور رجل السياسة، بل كان رجل المبادىء والقيم. وسرعان ما أدرك أيزنهاور أن عالم ما بعد الحرب

يحتاج إلى المبادىء أكثر من حاجتـه إلى أي شيء آخر، فعمـل على التوفيق بين المبادىء وبين المتطلبات السياسية، خلال قيادته لقوات الحلفـاءِ في أوروبا، ثم خـلال قيادتـه العسكـريـة في حلف شـمال الأطلسي.

ولأنه رجل المبادىء، فقد تم انتخابه لرئاسـة الولايـات المتحدة الأمريكية. ودخل البيت الأبيض، وتابع دوره السياسي ـ العسكري في إدارة السياسة الدولية. ويذكر له موقفه عندما وقع العدوان الثلاثي عـلى مصر، حيث شجب العـدوان بحـزم، وأرغم حلفــاءه من الفرنسيين والبريطانيين على احترام إرادة المجتمع الدولي.

لقد جابه أيزنهاور في قيادته السيـاسية مـآزق حادة لم تكن أقـل خطراً، ولا أقل صعوبة، من تلك التي جابهها في ميادين القتال. فقد تعاظمت حدة المنافسة بين الدولتين العظميين، ووصلت إلى مرحلة خطيرة، وكان عليه التصدي لمجابهة المواقف المختلفة بحـزم كبير، وصراحة مطلقة، وكان ذلك مناقضاً للنهج السياسي، مما أضعف من هيبة أيزنهاور، ولكنه بالمقابل اكتسب رصيداً لمصلحة الفضائل التي حملها والتي عمل لها.

وانتهت مدة رئاسة أيزنهاور، فمضى بعيداً عن القصر (أو البيت الأبيض). إنه لم يعد مغموراً، ولا إنساناً منسياً؛ فأخذ في تسجيل تجربته التـاريخية، في الحـرب والسلم، بأمـانة، وبصـدق، فكانت مذكراته صورة عن نفسه الصافية الصادقة.

لقد أمضى أيزنهاور عقدين من عمر الزمن، هما أخطر وأصعب

العقود في القرن العشرين، إن لم يكن في كافة القرون التي سلفت، وهو يتربع على عرش إدارة الحرب والسلم، فبرهن حقاً على أنه رجل الحرب كما هو رجل السلم، وفي الحالين كان رجل المبادىء والفضائل. ولقد كانت هذه المبادىء والفضائل هي التي أطمعت أعداء الولايات المتحدة وخصومها، وشجعتهم للنيل منها، فتم استبداله عندما انتهت فترة رئاسته، وعندها أدرك العالم أن ما كان يعيش فيه من استقرار نسبي، إنما كان يعود لسياسته المتوازنة بين (هدف الحرب) و (غاية السلم).

وبقي أيزنهاور في الحالات كلها إنساناً طيب المعشر، متواضعاً، صريحاً. وكان إنساناً أمريكياً مائة بالمائة ـ كما قيل عنه ـ غير أن إدارته للحرب والسلم جعلت منه إنساناً عالمياً، تجاوز حدود القارة الأمريكية، وارتفع حتى عن مستوى القادة العسكريين، وصعد نجمه حتى على مستوى رجال السياسة، فكان (رجل القرن العشرين).

بسام العسلي

«لا يستطيع احتمال نيران المعارك من لا يحتمل حرارة الشمس في الصيف القائظ وبرد الشتاء القارس»

أيزنهاور

الفَصل الأوَّل

١ ـ الإنسان وقدره.

٢ ـ خيارات الحرب.

٣ ـ الإعداد للحرب.

٤ ـ إنكلترا ـ قاعدة الهجوم على أوروبا.

٥ ـ مرصد القائد في جبل طارق.

٦ ـ إدارة الحرب في تونس.

٧ ـ تجربة الحرب في صقليا وإيطاليا.

١ ـ الإنسان وقدره

جاء إلى الدنيا مثله كمثل ملايين المواليد ممن سبقوه وممن سيأتون بعده، وذلك يوم ١٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ سنة ١٨٩٠ م، وقد انحدر من عائلة ذات أصل ألماني ـ جرماني ـ هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ القرن السابع عشر، مثلها كمثل عائلات كثيرة ـ بروتستانتية ـ هربت بدينها فراراً من الاضطهاد الديني الذي عاشه البروتستانت خلال تلك الحقبة التاريخية، مع ما صحب ذلك من اضطراب وحروب وفقد للأمن والسلام. فكان أن اختلطت العروق بعضها ببعض، هؤلاء الذين هاجروا من ألمانيا مع أولئك الذين هاجروا من إنكلترا وإيرلندا واسكتلندا وفرنسا وسواها فتشكل بذلك الشعب الأمريكي الذي مزج الجميع وصهرهم في بوتقة واحدة، هي بوتقة المستقبل الواحد، والذي تجمعه لغة الأكثرية (الإنكليزية).

وهكذا لم يكن لهذا القادم إلى الدنيا، والذي حمل اسم (داڤيد، أو دوايت أيزنهاور) خيار في انتقاء اسمه، أو في تحديد موعد ولادته أو في الانتساب إلى أصله، أو في اختيار موطنه، شأنه بذلك شأن جميع أطفال الدنيا. غير أنه ما من أحد من أولئك المهاجرين الذين ارتحلوا عن ألمانيا ـ جرمانيا ـ واستقروا على الأرض الجديدة، قد فكر بأنه سيخرج من سلالته، ولو بعد قرون، مولود سيصبح واحداً من كبار

قادةالحرب في الدنيا، وأن يصبح بعد ذلك رئيساً لواحدة من أكبر دول العالم.

هكذا جاء (داڤيد، دوايت أيزنهاور) وهو على موعد مـع قدره، وإذا لم يكن له خيار في الأُسس، أو المعطيات، الأولى لوجوده، فقد كان يملك بالمقابل، ووفقاً لما حمله إليه قدره، الإمكانات والقدرات الضرورية التي تساعده على الاضطلاع بدوره في الحياة، وكان عليه استخدام هذه القدرات والإمكانات ـ إلى حدودها القصوى ـ حتى يتيسر له ما خُلق من أجله.

ولد دوايت داڤيد أيزنهاور في بلدة دينسون بولاية تكساس، حيث كان يعمل والده مهندساً في إنشاءات الخطوط الحديـدية. ولم تكن عائلته تعاني من ضيق الحياة وبؤسها، غير أنها لم تكن أيضاً تعيش حياة الترف والبذخ. فمضى الطفل إلى المدرسة. وكانت أمه تفضل أن تناديه باسم (دوايت) في حين كان رفاقه وأترابـه ينادونـه باسم (آيك) وهو الاسم الذي طغى عليه حتى بعد أن أصبح قائداً كبيراً في الحرب العالمية الثانية.

دقت طبول الحرب العالمية الأولى (في أوروبا) فترددت الأصداء بقوة عبر المحيط لتقرع في أمريكا، ويومها كان (آيك) قد أنهى دراسته الثانوية، فدخل الكلية الحربية (ويست بوينت) حتى إذا ما تخرّج منها سنة ١٩١٦ كانت الحرب في أوروبا، خاصة، وعـلى بقية مسـارح العمليات المتصلة بها (البـلاد العربيـة) تمر بـأزمة عسـيرة. وكانت الدراسات التي أجريت على طلّاب الكلية الحربية من أجل عملية

الفرز والانتقاء قد وضعت (آيك) في مجموعة اثني عشر ضابطاً ممن توافرت لهم المؤهّلات لتولي (قيادات عليا). وكان آيك يطمح لخوض تجربة ميدانية تسمح له بإظهار هذه المؤهلات، غير أن قدره، لسبب أو لآخر، أعاقه عن مرافقة القوات الأمـريكية التي أرسلت لـدعم الحلفاء في أوروبا، فتم تعيينه ـ بناء على طلبه ـ في سلاح الدبابات الذي كان حديث العهد بالظهور، وعهد إليه أمر تدريب الجنود في مركز (كولت) بولايـة بنسلفانيـا. فمضى لعمله بحماسـة الشباب، وطموح الطامحين، وعزيمة الأشداء من الـرجال، ومـا هي إلّا فترة قصيرة حتى اشتهر معسكر (كولت) بأنه أحسن معسكرات الولايات المتحدة تنظيماً وتدريباً. فلما انتهت الحرب نال (آيك) وسام (الخدمة الممتازة)، لِما أظهره من نشاط وإبداع وكفاءة في الأعمال الإدارية وفي تنظيم القوات للعمل فيما وراء البحار، وفي تدريب هذه القوات فنياً وتكتيكياً.

لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية أمجاد حربية، وكان تـاريخها العسكري فقيراً في محتواه ومضمونه؛ إذ لم يكن لديها من التجارب إلّا حرب الاستقلال، وإلّا الحرب الأهلية الأمـريكية. فمضى (آيـك) لإغناء معارفه عبر مطالعاته الخاصة في التاريخ العسكري لدول العالم وتجاربها في الحروب، وما تميزت به المعارك الحربية الحاسمة، والأعمال القتالية الكبيرة. وكان دائماً يشغل ما يتوافر له من الوقت في البحث والاطلاع. وبرهن على قدرة فائقة في سرعة القراءة، مع الاستيعاب لما يقرأ. وساعدته على ذلك ذاكرة قوية ومنظمة، فكان يمرّ في قراءته بسرعة على الأحداث الثانوية أو المعارك المتشابهـة والتي لا تتضمن

دروساً هامة يمكن استخلاصها منها، ليتوقف طويلاً عند المعارك الحاسمة. وكان يهمه بصورة خاصة مواقف القادة وقراراتهم في مواجهة مستجدات الحرب وتطوراتها، مع التركيز على العلاقة المتبادلة بين الإنسان المقاتل وبين وسائط الحرب، وأثر ذلك في طور فن الحرب. وخلص من ذلك إلى القول:

«**كانت الحرب أبداً مأساة إنسانية، فأنت تستطيع أن تملأ ميادين القتال بكل ما استطاع العقل البشري ابتكاره من الآلات والوسائط، ولكنك تحتاج دائماً إلى المخلوقات البشرية القوية لإدارتها**».

وهكذا استخلص (آيك) من أستاذه الكبير (التاريخ العسكري) الدور الكبير للقائد والقيادة في إدارة الحرب وتقرير مصيرها. ولقد كان اصطلاح (إدارة الحرب) غير شائع، غير أن المجتمع الأمريكي قد اعتمد في نشوئه وتطوره على الإدارات الضخمة للنهوض بالمشاريع الكبيرة الصناعية منها والزراعية والتجارية والعمرانية وحتى الاجتماعية. والجهاز العسكري هو مشروع من مشاريع الأمة، بل لعله المشروع الأكثر أهمية والأشد حاجة للإتقان والتنظيم. فلماذا تكون الإدارة فيه مغايرة لإدارة المشاريع الضخمة الأخرى؟ إن المشاريع الأخرى تعتمد في عملها على آلاف وعشرات آلاف العمال، وكلها تعمل بإحكام ودقة تبعاً لكفاءة إدارة المشاريع، وإذن فلا بد من التكيّف مع متطلبات الإدارة الحديثة، حتى بالنسبة لبناء القوّات المسلحة وتنظيمها، **ولهذا لم يكن غريباً أن يحصل على الترتيب الأول، عندما تخرّج من مدرسة القيادة والأركان في (فورت لافنورث)**.

تنقّل (آيك) خلال خدمته في عدد من الوحدات، فعمل في قيادة وحدات الدبابات في (قلعة ميد ـ في ميريلاند ـ)، وعمل ضابطاً إدارياً في (قلعة جيليارد ـ في منطقة باناما ـ). وكان إما معلِّماً، أو متعلِّماً، حيث اتّبع دورة ركن (في كلية هيئة الأركان)، ثم دورة قائد (في كلية الجيش)، والتحق بالإضافة إلى عمله (بمدرسة الجيش الصناعية) بهدف تطوير معرفته بالوسائط القتالية الحديثة، وقد اعتبر نتيجة لذلك بأنه من الخبراء في سلاح الدبابات. ولكن حماسته للدبابات، لم تكن أقلّ من حماسته للقوّات الجوية، وتقديره الكبير لدورها في الحروب المحتملة. فعندما نقل سنة ١٩٣٠ إلى واشنطن ليعمل رئيساً لهيئة أركان (ماك آرثر)، بذل قُصارىٰ جهده لتنظيم القوات الجوية ودعمها حتى تتمكن من ضمان القدرة لتحقيق التفوق والسيطرة على جو المعركة.

نضجت شخصية (آيك) القيادية عبر خدمته الطويلة، وكانت هذه الشخصية القيادية متكاملة مع طبيعته ومنسجمة معها. فهو إنسان رقيق، ظاهر الود واللطف، يميل إلى مصادقة أي إنسان يأنس فيه الطيبة والبساطة، ويبرز عواطفه بوضوح، ودونما تحفّظ، مما كان يكسبه القدرة على اكتساب ثقة الآخرين بسهولة.

وفي مجال العمل، لم يكن (آيك) يسمح لنفسه أبداً بأن تعيقه الإجراءات التقليدية ـ الروتينية ـ عن تنفيذ مخططاته أو بلوغ أهدافه في الجيش، ولهذا فقد كان يفضل باستمرار حل مشكلاته عن طريق المقابلات الشخصية القصيرة للمسؤولين، بدلاً من اللجوء إلى رفع المذكرات والتقارير المستفيضة.

وكان (آيك) خبيراً في صياغة القرارات الشاملة بعبارات قصيرة، ولهذا كان يعرض إعراضاً تاماً عن مطالعة التقارير المطوّلة والتي تعتمد في الإطالة على الحشو (باستخدام العبارات البلاغية).

ولقد عُرف عن (آيك) الوضوح في الفكر والدقّة في اختزان المعلومات، والإلمام السريع بالموقف، فكانت لغته تبعاً لذلك تعبيراً عن فكره، وهذا ما يفسّر رفضه للغموض والأساليب الملتوية ـ أو غير المباشرة ـ. وكان سلوكه بدوره منسجماً مع طريقته في التفكير والعمل. وعلى سبيل المثال، فقد أصدر أوامره لمرؤوسيه بالدخول إلى مكتبه مباشرة، ودونما استئذان، طالما أن المقابلة هي من أجل الخدمة ولمصلحتها. فكان إذا ما شاهد أحد الضبّاط المرؤوسين، وقد وقف على باب مكتبه باستحياء، أو تردّد، وقد أمسك بيده أوراقاً لإطلاعه عليها، كان يقول له: «إذا كنت تبغي عملاً فهاته، ولا حاجة بك للخجل، فهذا ليس مخدعاً...». وكانت هذه الظاهرة الموصوفة بالديموقراطية، إحدى السمات المميزة لشخصية (آيك) القيادية، والتي كانت في جملة العوامل التي ساعدته على النجاح.

نقل (آيك) إلى الفيليبين سنة ١٩٣٥ للعمل رئيساً لهيئة أركان (ماك آرثر). إنها المرة الثانية التي يخدم فيها مع هذا القائد، وكان لديه هنا كثير مما يجب عليه عمله، ولكنه ركز جهده لتنظيم القوة الجوية في الفيليبين، كما اشترك مع (ماك آرثر) في وضع المخططات الاستراتيجية، للحرب ضد اليابان، إذ ظهر منذ تلك الفترة، تعاظم القدرة العسكرية اليابانية، واحتمال حدوث مجابهة أمريكية ـ يابانية في

الشرق الأقصى نظراً لبروز المطامع التوسعية اليابانية من جهة، ونظراً لتعارض هذه المطامع مع المصالح الأمريكية. وقد أفاد (آيك) من هذه الفترة لإعادة تنظيم الجيش الفيليبيني وتدريبه، حتى يصبح أكثر قدرة لمجابهة التطورات المحتملة.

ومضت على (آيك) في عمله هذا مدة أربع سنوات، وقد أفاد منها فائدة كبيرة، لا في مجال التعرف على إقليم جديد فحسب، أو في اكتساب المزيد من الخبرة في التدريب والإدارة أيضاً، وإنما في مجال الاحتكاك بكبار القادة والإطلاع على المواقف السياسية ـ الاستراتيجية. فقد كان من طبيعة عمل آيك في هيئات الأركان ـ سواء في الولايات المتحدة أو في الفيليبين ـ مناقشة كبار القادة في الشؤون الدولية. وكان تفكير القادة منذ بداية عقد الثلاثينات، موجهاً نحو تعاظم القدرات العسكرية لألمانيا وإيطاليا واليابان، وكانت هذه الدول تطمع في منافسة الدولتين الغربيتين الكبيرتين ـ إنكلترا وفرنسا ـ على ما تمتلكانه من مستعمرات فيها وراء البحار. وكان من المتوقع ألا تستسلم فرنسا وإنكلترا بسهولة لمطالب الدول التي تحاول تجريدها من مناطق نفوذها ومصادر ثروتها، فكان وقوع الصدام أمراً حتمياً ومتوقعاً. غير أن الهالة التي أحاطت بالقدرات العسكرية لبريطانيا وفرنسا، جعلت كبار القادة الأمريكيين ـ ومنهم آيك ـ يعتقدون بإمكان إيقاف الصراع عند حدود معينة، فلما اجتاحت القوات الألمانية أقطار الغرب، أدرك (آيك) أن الحرب العالمية الثانية قد بدأت، وأنه بات من المحال إيقافها.

بلغ (آيك) الخمسين من عمره، وأمضى العقد الأخير وهو يعمل

في هيئات الأركان، حيث المكاتب الوثيرة، وشروط العيش المريحة، لا تعرض لزمهرير الشتاء أو قائظة الصيف. فهل سيهجر آيك ذلك سعياً وراء قيادة ميدانية لطالما طمح لها؟ ولطالما تمنّاها؟ ولطالما أعدّ نفسه لها؟

كان (آيك) يوم أعلنت الحرب سنة ١٩٣٩، في جزر الفيليبين. فلما وصلته أخبار غزو بولندا، وسمع أن رئيس وزراء بريطانيا سيلقي بياناً، أسرع إلى المذياع، وأدرك أن الأمبراطورية البريطانية قد التحمت مع آلة الحرب الألمانية، للمرة الثانية في النصف الأول من القرن العشرين، وصعب عليه الأمر، فقد بات على يقين من أن الولايات المتحدة لن تتمكن من الوقوف طويلاً وهي على الحياد.

لقد شعر (آيك) بأن أصداء طبول الحرب قد ترددت قوية في صدره، لقد حان موعده للالتقاء مع قدره، وعليه العودة سريعاً إلى أرض الوطن. فذهب تواً لزيارة رئيس جمهورية الفيليبين (كوزون) وأخبره عن عزمه على الرجوع إلى أمريكا للاضطلاع بدوره في إعداد القوات خلال تلك المرحلة الحرجة. ولكن الرئيس (كوزون) ألحّ على (آيك) بالبقاء، وأظهر رغبته الصادقة في الاحتفاظ به، غير أنه اضطر للتراجع أمام إصرار (آيك) وتصميمه. وغادر عاصمة الفيليبين (مانيلا) ومعه زوجته وابنه (جون) ورافقهم الجنرال (ماك آرثر) إلى ظهر السفينة لوداعهم، فقضى اللحظات الأخيرة برفقته، وتركز الحديث على المآسي التي تنتظر العالم عامة وأوروبا الغربية بصورة خاصة.

وسارت السفينة، فتوقف آيك وعائلته في اليابان لبعض الوقت،

ثم استأنف رحلته فوصل إلى أمريكا في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٠ م، فتم تعيينه على الفور مسؤولاً عن تدريب الفرقة الخامسة عشرة التي كانت معسكرة في (قلعة لويس ـ في واشنطن ـ).

وكانت فرصة للاختلاط بالضباط والجنود مباشرة، ولدراسة الأسلحة الجديدة بأنواعها، وذلك بعد ثمانية أعوام كان قد قضاها بين المكاتب والاختبارات والمشاريع والمخططات.

وما من ريب بأنه ما من جندي محترف يطمع بمركز أفضل من المركز الذي شغله، في زمن انتشرت فيه ألوية الحرب في كلّ بلد، وباتت تقترب من الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت فرقة (آيك) مؤلّفة على الأكثر من فئتين: الأولى فئة الجنود القدامى الذين خدموا في الصين قبل سنة ١٩٣٨. والثانية هي فئة المجندين الجدد الذين يفتقرون إلى التدريب والخبرة. وكانت الغاية من دمج القدامى بالجدد، إكساب هؤلاء روح الجندية الحقّة حتى إذا ما أتقنوها بفنونها وحركاتها، فصلوا ليصبحوا بدورهم معلمين ومدربين للمجندين الجدد، وهكذا دواليك، يندمج القديم بالجديد ليجعل منه جندياً حقيقياً، مما يساعد الحكومة على تجنيد عشرات ومئات الألوف، بل الملايين الذين قد تحتاج إليهم إذا ما هاجمها العدو، واضطرت إلى أن تدافع عن نفسها. وأصبح الجنود القدامى ـ فعلاً ـ هم النواة الهامة لقوة هائلة، أخذت تتكاثف وتتكاثر بسرعة. ولقد أتيحت في زحام هذا التجنيد والتدريب فرصة أمام المحترفين ليظهروا مواهبهم، ويقدّموا خدماتهم.

ووقف (آيك) وسط هذا الزحام، وهو يرقب ما حوله، فينتابه شعور بالحزن والأسى؛ ففي تلك الفترة من بداية سنة ١٩٤٠، كانت نفسية الجيش الأمريكي انعكاساً لنفسية الشعب، وهي حالة غير شاذة أو غريبة، بل إن الاقتران بين نفسية الشعب وجيشه هي من الأمور الطبيعية لا في الأزمنة الحديثة أو الجيوش المعاصرة فحسب، بل في أقدم المجتمعات وجيوشها. وكانت نفسية الشعب الأمريكي من قضية الحرب هي نفسية اللامبالاة وعدم الاهتمام بكل ما يحدث على أرض العالم، حتى لكأن الشعب الأمريكي قد عاش تلك الفترة على كوكب وحده، منفصلاً عن الأرض. ونتيجة لذلك، كان الضباط بدورهم يفضلون الرياضة وسائر أنواع اللهو على التدريب، واستسلم أكثرهم إلى نوع من الحياة الهادئة، حتى باتوا لا يشعرون بأي جديد، وكانوا يعرضون عن الأخذ بأي رأي لا يتوافق مع ميولهم ورغباتهم. ولما كان الترفيع خاضعاً لقانون القدم (الأقدمية) لا بحسب الجهد والإبداع، فقد راح كل يحسب حساب مرور الزمن لا أكثر، دونما أي اهتمام بالتدريب أو الإعداد للحرب والاستعداد لها.

وكان هناك ما هو أسوأ من ذلك، فقد بات كثيرون يعتقدون أن أيام جند المشاة قد مضت وانقضت دونما رجعة، فما لهم إذاً ومشقة التدريب. ولقد زاد من يقينهم هذا، إقدام القيادة العليا على تخفيض قوة المشاة من ٥٦ ألفاً سنة ١٩٣٩ إلى ٤٩ ألفاً سنة ١٩٤٠.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، فقد كانت الأسلحة المستخدمة في الجيش بدورها أسلحة قديمة. فالبارودة هي من انتاج المصانع في فترة الحرب العالمية الأولى. ولم تقدّم الصناعات الحربية أي سلاح

جديد مضاد للدبابات أو الطائرات. ولهذا، وبدلاً من أن يستلم الجنود أسلحة حقيقية، فقد سلمت إليهم نماذج خشبية تمثل المدافع الرشاشة ومدافع الهاون. وتبع ذلك تدهور مستوى التدريب، الذي اقتصر على مسح السلاح فقط، والطعن بالحربة، وتمارين العرض والاستعراض (النظام المنضم). وتم إهمال التمارين التكتيكية ـ التعبوية ـ إهمالاً تاماً، مثل تمارين التربّص والانتقال والمراقبة ومبادىء الهجوم والدفاع، ولهذا لم يكن لدى الجنود، ولا حتى ضباطهم، أية فكرة عن المعركة الحقيقية. فكانت المشكلة الأساسية هي مشكلة نفسية تمثلت بعدم الاهتمام واللامبالاة، وعدم تقدير خطورة الموقف، حتى عندما سقطت فرنسا في شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ حيث برزت مجموعة من الشواهد، صدمت (آيك) صدمة عنيفة. ومثال ذلك، موقف أحد قادة الفرق، ومن قدامى قادة الجند، فراهن على أن بريطانيا لن تستطيع الصمود لأكثر من ستة أسابيع، وكأنه يراهن على ما إذا كانت ستمطر في الغد أم لا؟ ولم يخطر على باله أن الأمر يعنيه لأن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي تقف بين أمريكا وبين مسرح العمليات الأوروبي.

ولم يكن موقف أكثرية الشعب الأمريكي وضباطه وجنده يختلف عن موقف ذلك القائد، ولولا وجود نفر قليل في بعض الدوائر، من أمثال آيك، ممن أدرك خطورة الموقف، لتعرضت أمريكا لخطر داهم.

ومثال آخر: فعندما أصدرت القيادة العامة أوامرها بوجوب تدريب الجيش على ما يشبه المعركة الحقيقية، مع ما يرافق ذلك من صعوبات ومشقات، تهيّب الضبّاط الموقف، وخافوا من أن يؤدّي

تعريض جنودهم للحرّ أو للبرد إلى تمرّد أو عصيان في صفوف القوات. ومع ذلك، فإن القيادة لم تتردد، بل مضت بخطوات ثابتة ووئيدة لمعالجة الموقف بفضل ما توافر لها من الرجال الأشدّاء (من أمثال مارشال)[1] فاتخذت ما هو ضروري من التدابير والإجراءات، واستخدمت وسائل الإعلام بصورة موجّهة ومُحكمة لاستنفار القوى، وحشد الطاقات الكامنة في الأمة، والإعداد لمجابهة ظروف الحرب.

وهكذا انبعثت في المعسكرات الأمريكية كافة حركة نشطة لبناء الجيش الأمريكي من جديد، واندمجت قوى الحرس الوطني والمتطوعين والجيش النظامي في كتلة واحدة، أخذت تنمو وتتعاظم بسرعة مذهلة، بفضل ما كان يضاف إليها من مئات الألوف من المجندين الجدد. فقامت مدن جديدة من الخيام والمعسكرات، مع كل ما كان يلزمها من متطلبات الحياة العصرية، كالكهرباء والماء ووسائط النقل والخدمات الصحية والطبية وسواها. وقد حدّد الهدف الأول وهو الحصول على رجال أقوياء البنية، أشدّاء العزيمة،

---

(١) مارشال جورج كاتليت: (MARSHALL, GEORGE CATLETT) جنرال أمريكي (١٨٨٠ - ١٩٥٩) خدم في فرنسا ١٩١٧ - ١٩١٨ وأصبح رئيساً لهيئة الأركان العامة طوال الحرب العالمية الثانية. وكان أكبر دور له هو في وضع برنامجه بعد أن تسلّم رئاسة هيئة الأركان سنة ١٩٣٩ لإعادة تنظيمه للجيش وتدريبه وتسليحه وزجّه في الحرب. وأصبح رئيساً لهيئة الأركان المشتركة للقوى البريّة والبحرية والجوية الأمريكية، ثم رئيساً لهيئة الأركان الأمريكية البريطانية. عمل بتعاون وثيق مع الرئيس الأمريكي روزفلت. وقد خلفه أيزنهاور في منصبه سنة ١٩٤٥ عندما عمل مارشال وزيراً للدفاع (١٩٤٥ - ١٩٤٧) ثم سنة (١٩٥٠ - ١٩٥١).

إنضباطيين ومثقفين عسكرياً وفنياً، متعاونين على كافة المستويات بداية من الجماعة والفصيلة والسرية ونهاية بالفرق والجيوش، معتزين باحتراف الجندية وما تحمله من مضمون العزة والشرف. أما مسألة إعداد مجندين متمرّسين بالقتال، مستعدين لخوض الحرب، فكانت أمنيـة، إذ أن الرأي العام الأمريكي لم يكن قد استعد بعد لقبـول تطبيق مثل هذه الخشونة على أبنائه.

صدر الأمر إلى (آيك) في شهر حزيران - يونيو - ١٩٤١ بالانتقال إلى معسكر الجيش الثالث، حيث عيّن مساعداً لأركان حرب قائد الجيش (الجنرال وولتر كروجر) فتسنى له بذلك الإطلاع علـى مـا كان يعانيه الجيش الأمريكي عامة من مشكلات لعلّ من أبرزها النقص في المدربين والوسائط التقالية، غير أنه عرف في الوقت ذاته أن التقدّم يسير بسرعة في الجيوش الأربعة التي تقرر تنظيمها بسرعة.

فقد أمكن حتى صيف سنة ١٩٤١ رفع عدد أفـراد الجيوش إلى المليون ونصف المليون - ما بين ضابط وجندي -، غير أنه لا زال هناك نقص واضـح في العربـات والدبـابات الحـديثة والمـدافـع المضـادة للطائرات. أما طائرات الدعم فلم يكن لها وجود. وكان الضعف الخطير الذي ظهر لأيزنهاور - آيـك - هو في وجـود حشد كبـير من المجنّدين الأغرار الذين عهد أمـر تدريبهم إلى ضبـاط تقدّمت بهم السن وضعفت بسبب الإهمال لقدراتهم العسكـرية، وصـارت لهم عقليـاتهم الخاصـة، فبات من الصعب إقـامـة جسر من الاتصـال والتفاهم بينهم وبين هؤلاء المجندين الشبان.

لم يكد - آيك - يستقرّ في مقرّ عمله الجديد - بقيادة الجيش الثالث -

حتى صدرت الأوامر بإجراء تحرك عسكري كبير ـ مناورة ـ في ولاية لويزيانا بهدف خوض معركة شبه حقيقية ضد الجيش الثاني، من أجل اختبار قدرة الجيشين على خوض حرب حقيقية حديثة، ومن أجل تحديد أوجه النجاح وعوامل الضعف، وفرز القادة ذوي الكفاءة عن أولئك الذين تجاوزهم الزمن وأقعدهم عن اللحاق بركب التطورات المستجدة. وقد حققت هذه الحركة ـ المناورة ـ أكثر مما كان متوقعاً، لا سيما على مستوى تدريب القادة الذين لم تتح لهم من قبل ممارسة قيادة فعلية لأكثر من فوج أو فرقة، فكان اشتراكهم في عملية حربية بين جيشين زاد عدد أفرادهما على نصف المليون جندي، أمراً غريباً عليهم كل الغرابة. وقد ظهرت للقادة جميعاً مدى الحاجة لتنسيق التعاون بين القادة وبين القوّات، وكذلك بين الأنساق المقاتلة والأنساق الخلفية، ودور الإمداد الإداري والتأمين الفني في المعركة الحديثة. وأتاحت هذه المناورة الكشف عن المواهب الواعدة في وسط القادة.

وقد بذل (آيك) أقصى ما يستطيعه من جهد لاكتساب معرفة بالمواقف الجديدة، والإحاطة بها إحاطة شاملة، مستفيداً في ذلك من دراساته النظرية وخبراته العملية، فلما فرغ من المناورة، عاد منهكاً إلى مقرّ قيادته، يوم ٧ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١، وأعطى تعليماته بتجنّب إيقاظه من نومه، وراح في سبات عميق وهو يحلم بإجازة لمدة أسبوعين يقضيها مع زوجته وإخوته وأولاده، يزيل فيها ما علق بجسمه من الإرهاق، وبفكره من الهموم.

الهجوم الجويّ على «بيرل هاربور»

استيقظ (آيك) من إغفاءته القصيرة، فزعاً، على صوت القرع الشديد على باب غرفته، فلما فتح الباب، بوغت بمساعده وهو يقف بالباب ليخبره عن إعلان حالة الحرب في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب هجوم اليابانيين على قاعدة (بيرل هاربور)(١) وتدمير الأسطول الأمريكي فيها.

وتبدد الحلم الجميل الذي كان يحلم به (آيك) بقضاء إجازة ممتعة. وبدأ العمل على الفور، إذا لم تمضِ ساعة على الهجوم الياباني، حتى اجتاحت الولايات المتحدة جائحة من الذعر، وبدأت الأوامر تنهال على قيادة الجيش الثالث ـ من الوزارة ـ بعضها يأمر بنقل مدفعية مضادة للطائرات إلى الشواطىء الغربية، حيث توهّم السكان لفرط الهلع أن الطائرات اليابانية تحلق فوق رؤوسهم، وبعضها يأمر باتخاذ الإجراءات المضادة لمجابهة احتمال قيام عملاء اليابانيين بأعمال تخريبية، وبعضها أيضاً لتنظيم حراسة المراكز الصناعية ومرافىء خليج المكسيك، مع تنظيم دوريات خشية تسرّب الجواسيس اليابانيين عبر

---

(١) بيرل هاربور: (PEARL - HARBOR) أو لؤلؤة الخليج (ميناء وقاعدة بحرية ضخمة في جزيرة هاواي (HAWAIIAN- ISLAND في أواهو (OAHU) وقد استخدمها الأمريكيون قاعدة لأسطولهم العامل في المحيط الهادي. وقد قام الأسطول الياباني بمهاجمة الأسطول الأمريكي في الساعة السادسة صباحاً من يوم ٧ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ (بحسب توقيت هاواي) فأغرقوا للأمريكيين ٥ سفن حربية و٣ مدمّرات وكاسحة ألغام و ٢٠٠ طائرة و ٢٣٥٠ قتيلاً. ولم يخسر اليابانيون إلاّ ٢٩ طائرة و ٥٥ رجلاً. ولم يفقد الأسطول الأمريكي أيّاً من حاملات طائراته الثلاثة التي كانت هدفاً أساسياً للهجوم الياباني، بسبب غياب هذه الحاملات عن القاعدة وقت وقوع الهجوم.

الحدود مع المكسيك. كما صدرت الأوامر بنقل بعض الوحدات العسكرية إلى الشواطىء الغربية خشية وقوع هجوم ياباني مباغت. وكان على (آيك) استقبال هذه الأوامر، وإصدارها إلى القوّات والوحدات، وكان لزاماً في هذه الظروف تجنّب الطريقة الاعتيادية - الروتينية - في إصدار الأوامر الخطية، وإرسال القوات بأوامر هاتفية، ونقل المدافع أحياناً بعربات الإسعاف، ونقل الجند بسيارات معطّلة أو بالقوارب النهرية الخ . . .

وبعد مضي خمسة أيام على هذه الحالة المضنية، رنّ جرس الهاتف المتصل بوزارة الحرب (صباح يوم ١٢ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤١) وإذا بالمتحدث على الطرف الآخر من الخط الهاتفي يقول: «أهذا أنت يا آيك؟» وأجاب أيزنهاور: «نعم». فعاد المتحدث للقول:

«إن الرئيس يأمرك بأن تركب طائرة، وتأتي إلى هنا في الحال. أخبر رئيسك أن الأوامر الخطية ستصله في حينه».

ماذا يريد الرئيس «الجنرال مارشال»؟ ترى هل هو مهتم بأمر الدفاع عن الفيليبين وهو يريد استشارة أيزنهاور بهذا الأمر؟ وهل سيحتفظ به في مقرّ القيادة؟ وشعر أيزنهاور بثقل يضغط على صدره. لقد أمضى حياته وهو يحلم بقيادة عسكرية في الميدان، وها هي الفرصة تظهر أمامه وهو في قيادة الجيش الثالث، فهل تفوته هذه الفرصة كما تجاوزته في الحرب العالمية الأولى عندما تمّ تعيينه في عمل إداري؟

واتصل آيك، بزوجته، ومشاعر الحزن تكاد تخنف صوته، خشية التعرّض لما لا يريده، وأخبرها أن تعدّ له ثيابه. وبعد ساعة كان قد استقلّ الطائرة في طريقه إلى واشنطن، للالتقاء مع قدره ونصيبه.

٢ ـ خيارات الحرب

ربما كان بالمستطاع الأخذ بقول القائلين: بأن الحرب مهنة، وأن القيادة فن. وتحتاج ممارسة المهنة إلى المعرفة والممارسة، كما تحتاج ممارسة الفن والإبداع فيه أيضاً إلى المعرفة والعمل. وقد بذل (آيك) معظم سنوات عمره في الاطلاع والبحث والاستقصاء والعمل، وجاءت المناورات الأخيرة على أرض لويزيانا لتكشف لأيزنهاور ـ قبل سواه ـ أهمية الدراسة والتطبيق العملي في الإعداد للحرب، ولكن رغم ذلك فقد بقي هناك فرق شاسع وبون بعيد بين ظروف المناورات وظروف العمل تحت نيران الحرب. وبالإضافة إلى ذلك، ومع الافتراض بإمكان إجراء التدريب تحت ظروف مشابهة لظروف الحرب ـ وهو افتراض يبقى نظرياً رغم تطور تقنيات التدريب الحديثة ـ، فإن ظروف الحرب الحديثة على المستوى الشامل ـ مثل الحرب العالمية ـ تختلف أيضاً عن ظروف الحرب المحدودة، حيث يتطلب العمل في الحروب العالمية أو الشاملة جهداً إضافياً لتنسيق التعاون بين جيوش أُمم شتى، وأجناس مختلفة، ولغات متباينة، مع افتراض استخدام وسائط قتالية واحدة أو متجانسة، ويظهر من ذلك أنه من الصعب تعلّم ذلك كله في ظروف السلم، وعلى أرض ميادين التدريب. وهنا تبرز أهمية اختيار القائد، وأجهزة القيادة القادرة على التكيف مع المستجدات المستمرة في ميادين الحروب، والتي تبقى أبداً المدرسة

العليا لتعلّم مهنة الحرب، وممارسة فن القيادة. غير أن تكاليف الحرب باتت باهظة جداً، سواء من حيث القدرة البشرية، أو من حيث الوسائط القتالية، ولم تعد مسؤولية القائد الكبير محددة بالحرص على حياة عشرات الجند أو المئات أو حتى الألوف، بل بات وقود المعركة يرتفع إلى عشرات الألوف ومئاتها.

وكذلك باتت وسائط القتال مرتفعة التكاليف، وبات من المحال تسليم أمانة حياة أبناء الأمة وعماد مستقبلها، وثرواتها المادية، ومصيرها لقائد لا تتوافر له كفاءات مميزة، ليس من أقلّها شأناً قدرة القائد المنتخب للقيادة على تمييز كفاءات الرجال التابعين له، ووضع كل في مكانه الصحيح، ومعرفة مميزات الأسلحة والوسائط القتالية، مع توافر المعرفة النظرية والخبرات الضرورية لإدارة الحرب، علاوة على ما هو مطلوب من الفضائل الحربية للقائد كالحزم والتصميم والمرونة والكفاءة البدنية والشجاعة والقدرة على إثارة حماسة الرجال والمحافظة على الروح المعنوية للقوّات. **فهل قَدّر الجنرال (مارشال) ذلك كله، ووضعه في اعتباره عندما وقع اختياره على (أيزنهاور - أو آيك) فاستدعاه لمقابلته؟.**

وهل كان يريد منه عملاً محدوداً يتناسب مع إمكانات محدودة أم كان يرغب إليه ممارسة دور كبير يتناسب مع قدرات (آيك) وإمكاناته؟ وهل كان سيسلمه لقدره ومسؤولياته أم كان سيضعه موضع الاختبار عن قرب قبل أن يسند إليه عملاً كبيراً؟ ولماذا وقع اختياره على أيزنهاور بالذات وهو لا زال برتبة عقيد، وفي الجيش آلاف ممن حملوا على أكتافهم رتباً أكبر؟

وصل أيزنهاور صباح يوم الأحد ١٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ سنة ١٩٤١، إلى مقرّ قيادة الجنرال مارشال، وأُعلِم عن وصوله، فاستقبله مارشال على الفور، وتحدّث معه وللمرة الأولى لأكثر من دقيقتين، وشرح له الموقف ـ بدون مقدّمات ـ وأطلعه مباشرة على الموقف في البرّ والبحر على جبهة المحيط الهادي ـ الباسيفيكي ـ ومما قاله له:

«. . . لن يتمكن الأسطول البحري من القيام بعمليات كبرى قبل مضي بضعة أشهر. وعلى الرغم من عدم تعرّض أي من حاملات الطائرات للأذى في بيرل هاربور، لأنها كانت بعيدة عن متناول الهجوم الياباني، إلاّ أن السفن المساعدة للحاملات باتت قليلة العدد، وقد صدرت الأوامر إليها بتجنب الاشتباك في أية معركة. وليس هناك ما يؤكّد عدم استغلال اليابانيين لضعفنا من أجل القيام بهجوم برمائي سريع على جزيرة هاواي، أو على الولايات المتحدة ذاتها. ولذلك فإن البحرية تشعر بضرورة المحافظة على الحاملات من أجل مراقبة التحركات اليابانية، وحتى نتمكن من استخدامها لغاية أخرى. وليس باستطاعة البحرية في الوقت الحاضر تقدير أو معرفة المدة الزمنية التي تحتاجها لإصلاح الأسطول ودعمه إلى أن يصبح قادراً على القيام بعمليات هجومية في المحيط الهادي.

ونظراً لضعف القوات الأمريكية في (هاواي) فقد اتفقت البحرية والحربية على إرسال الدعم إلى هناك بسرعة، وتعزيز القوات الجوية بالطائرات، وإعطائها الأفضلية على دعم أي مكان آخر في المحيط الهادي.

أما بالنسبة للفيليبين، فعندما شنت اليابان هجومها، كانت القوات الأمريكية قد بلغت الثلاثين ألفاً من المقاتلين، وتدعمهم ثلاث وحدات من مدفعية الميدان ووحدة من المدفعية المضادة للطائرات، وفصيلتان من الدبابات. وكانت القوات الجوية هناك تضم ٣٥ قاذفة قنابل من النموذج الحديث (ب ـ ١٧) بالإضافة إلى ٢٢٠ طائرة مقاتلة ـ بعضها لا يصلح للعمليات ـ. وقد تعرضت هذه القوى للخسائر منذ أول هجوم ياباني عليها، غير أن تلك الخسائر لا زالت مجهولة، وتحتاج القوات لدعم بالوسائط الضرورية، لكنها لا تحتاج للمواد التموينية ـ الغذائية، أو الذخائر، لأن الكمية الموجودة منها كافية لمدة طويلة، هذا إذا ما تمّ إبعاد تلك الكمية عن متناول العدو.

وبالنسبة للقوات البحرية في الفيليبين، فإنها غير كافية لصدّ أي عدوان، ولذلك فقد تمكّن اليابانيون من تعطيل أرصفة الأسطول في مرفأ (مانيلا) بقاذفاتهم يوم ١٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ مما اضطر الغواصات الأمريكية للاختفاء، كما اضطرت السفن السطحية للانسحاب، لأن جميع الشواهد كانت تشير إلى تصميم اليابانيين على اجتياح جزر الفيليبين بأسرع ما يمكن. والمشكلة هي كيف يمكن لنا ان نتدبّر أمرنا لمواجهة هذا الخطر؟».

احتاج الجنرال مارشال لعشرين دقيقة من أجل شرح الموقف. ثم باغت أيزنهاور بسؤاله: «ماذا يجب أن تكون عليه خطتنا للعمل؟». وأجابه أيزنهاور على الفور: «أمهلني بضعة ساعات ريثما أفكر في

الوضع الاستراتيجي في المحيط الهادىء عشيّة حادثة «بيرل هاربور».

الأمر؟» فقال له مارشال: «ليكن ذلك». ثم قام أيزنهاور بوداع الجنرال مارشال، وانصرف.

لم يتعرّض الجنرال مارشال خلال حديثه مع أيزنهاور، من قريب أو بعيد، لأهم عنصر في المشكلة. وهو التأثير النفسي الذي نجم عن معركة الفيليبين. ولعلّه قدّر بأنه إذا ما جهل أيزنهاور هذه المشكلة أو تجاهلها، فإنه لا يستحقّ أن يضع على كتفه شارة الرتبة التي كان يحملها.

ولقد انصرف أيزنهاور إلى مكتبه في غرفة من دائرة التخطيط، وانصرف للتفكير في وضع مخطط واضح وصريح يجعله أهلاً لمساعدة الرئيس الجنرال مارشال في أداء مهمته، ويُسهم في كسب ثقته. وكان عجز الأسطول عن تقديم أية مساعدة مشكلة في حدّ ذاتها. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت هناك مطالب عديدة ومتنوعة وردت من أمكنة مختلفة، بعضها جاء من الشواطىء الغربية، وبعضها جاء من جزر هاواي، وأخرى من رؤساء البلديات ومن أعضاء الكونغرس. فإذا ما تمّت الاستجابة لهذه الطلبات كلها، فإن حمولة السفن كافة لن تتمكن من الاضطلاع بها. فما العمل؟

لقد كان من المحال في تلك الظروف إرسال الإمدادات إلى الفيليبين. وفي الوقت ذاته، فقد كان لا بد من مساعدة الجيش الأمريكي العامل في الفيليبين حتى يتمكن من الاستمرار في مقاومته لأطول مدة ممكنة. وكانت الوسيلة الممكنة لتأمين هذا الإمداد هي الغوّاصات والطائرات بعيدة المدى. فرأى أيزنهاور أنه بالمستطاع

إنشاء قاعدة أمينة وقريبة من الفيليبين في شرق أستراليا. غير أن إقامة هذه القاعدة كان يتطلب تأمين خط المواصلات إليها، وكان ذلك بدوره يتطلب المحافظة على القواعد الأمريكية في هاواي وجزر فيجي ونيوزيلندا أو كاليدونيا الجديدة، بالإضافة إلى ضرورة تأمين الدفاع عن أستراليا ذاتها.

وظهر لأيزنهاور أنه بالإمكان الدفاع عن الممتلكات الهولاندية في جزر الهند الشرقية التي كانت تعتبر من أغنى بقاع العالم بمواردها، ومنع اليابانيين من غزوها، والإفادة من زيتها، فإذا ما أمكن حرمان اليابان من موارد الطاقة التي تحتاجها، فقد تضطر لإيقاف هجماتها، وعندها قد يصبح بالمستطاع تأمين قواعد للطائرات المقاتلة الأمريكية، التي تعاظمت الحاجة إليها لدعم العمليات الدفاعية.

اتخذ أيزنهاور قراره في خلوته، واستأذن بالدخول على الرئيس، فلما أَذن له دخل وقال: «**أيها القائد! إننا لا نستطيع إرسال المدد الكافي إلى جزر الفيليبين إلّا بعد زمن طويل، قد يكون أطول مما يستطيع جيشنا أن يصمد هنالك، ولكن الواجب يحتم علينا أن نمده الآن بما نستطيع، وإن شعوب الصين والفيليبين وجزر الهند الشرقية تنظر إلى ما نفعل. وقد يجدون لنا عذراً إذا حاولنا وأخفقنا، ولكنهم لن يجدوا لنا عذراً إذا ما ترددنا وتقاعسنا. ولا شكّ أن احتفاظنا بثقة هذه الشعوب وصداقتها هو أمر هام بالنسبة لنا، وعليه يجب أن لا نتردد أبداً، بل يجب أن نمضي قدماً، ونضحي ما أمكن بالمال والمعدات من أجل هذه الغاية**».

وأجاب الجنرال مارشال: «إني أتفق معك في الرأي، فابذل جهدك في سبيل إنقاذهم».

لقد ظهر واضحاً أن الجنرال مارشال كان قد وصل إلى النتيجة التي وصل إليها أيزنهاور ذاتها، واتخذ القرار ذاته، ولهذا فإنه لم يناقشه بشأنه، وكان أمره بتنفيذ هذا القرار إقراراً منه بصحته، ولكن كم هو وجيز هذا الأمر: «آبذل جهدك في سبيل إنقاذهم».

ومضى أيزنهاور للعمل بحماسة، وتعاون بصورة وثيقة مع رئيس دائرة الإمداد والتموين ـ اللواء بريهون سمرفيل ـ من أجل إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات الكثيرة التي انتصبت أمامه. وكان الجنرال مارشال يشرف بنفسه على متابعة العمل، كما كان يتدخل أحياناً لتذليل بعض العقبات، وأظهر اهتماماً خاصاً بالروح المعنوية للقوّات، وأصدر تعليماته بمنح المكافأة لكل وحدة من الوحدات العسكرية العاملة في الفيليبين، وعمل على ترفيع الجنرال (ماك آرثر) إلى أرفع الرتب العسكرية في الولايات المتحدة، ومنحه أعلى الأوسمة، وكان خير عون لأيزنهاور في تنفيذه لمهمته.

وصلت قافلة (بنسكولا) إلى مرفأ (بريز بين) يوم ٢٢ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١، وبدأ العمل فوراً لإنشاء القاعدة الأمريكية في أستراليا. ولقد كان وصول هذه القافلة إلى استراليا ضربة حظ، أو لعبة من لعب القدر، فعندما وقع الهجوم الياباني على بيرل هاربور، كان هناك عدد من السفن الحاملة للجند والطائرات والمعدات في طريقها إلى جزر الفيليبين، فأمرتها القيادة البحرية بالعودة إلى

الولايات المتحدة، أو تلجأ إلى مرفأ هاواي، خوفاً من الوقوع في قبضة اليابانيين. فما كان من السفن التي لا زالت قريبة من الولايات المتحدة إلّا أن عادت إلى قواعدها. أما السفن الخمسة الباقية فكانت بعيدة، فتوجهت إلى استراليا، حيث أفرغت حمولتها والتي ضمت خمسة آلاف جندي وكمية جيدة من الأسلحة والإمدادات. فكانت هذه الحمولة هي نواة القوة الضخمة التي أقيمت على أرض أستراليا، ومكّنت (ماك آرثر) من القيام بعدئذ بعملياته الهجومية ضد اليابانيين، وتحرير جزر الفيليبين.

استمرّ أيزنهاور، اعتباراً من ذلك اليوم، بإرسال الدعم والإمدادات إلى القاعدة الأمريكية في أستراليا وسواها من الجزر التي اتخذت رؤوساً لجسور العمليات. وأصبحت القوة العسكرية في ٢١ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٢ تزيد على ٢٤٥ ألف مقاتل، كان معظمهم في جزر المحيط الهادي، بالإضافة إلى ثلاثين ألفاً في آلاسكا وجزر ألوشيان. وارتفع عدد أفراد الجيش الأمريكي في البحر الكاريبي إلى ثمانين ألفاً، في حين لم يتجاوز حجم القوات الأمريكية في أوروبا الأربعة آلاف ما بين ضابط وجندي، ولكن كانت هناك فرقتان في طريقهما إلى هناك، كما نظمت قوة من ١٦ ألف جندي في جزيرة إيسلندة.

وعلى الرغم من أن القوات الأمريكية لم تكن قد اشتركت حتى تلك الفترة في الحرب ـ إلّا في جزر الفيليبين ـ، إلّا أنه كان لزاماً على القيادة الأمريكية الاهتمام بكل منطقة في العالم، في البرّ أو في البحر. وعلى سبيل المثال، كانت الجبهة الأمريكية في آلاسكا معرّضة لأي

هجوم قد يقوم به اليابانيون لإقامة قاعدة بريّة وجوية لهم هناك. وكان لزاماً على أمريكا الاحتفاظ بشواطىء البرازيل حتى تتمكن من اصطياد الغواصات الألمانية، التي قد تهدد خطوط المواصلات الأمريكية، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت مثل هذه المناطق ضرورية للمواصلات الجوية الأمريكية عبر المحيط الأطلسي، لا سيّما بعد أن استطاع الألمان السيطرة على منافذ البحر الأبيض المتوسط، فأصبحت مناطق وسط أفريقيا هي أقصر الطرق للوصول إلى العالم العربي، فكان لا بدّ من إقامة مطارات وقواعد جوية في تلك المناطق الحارّة.

ولما كانت روسيا حليفة للولايات المتحدة في تلك الفترة، فقد كان لزاماً على الأمريكيين أيضاً اتخاذ التدابير الضرورية لإيصال المساعدات لها حتى تتمكن من الصمود أمام العدو المشترك.

وكان العالم العربي، بما يحتويه من موارد بترولية ضخمة، من المناطق الأكثر أهمية، والتي كان يجب إبعادها عن نفوذ المحور لسببين: **الأول**: الاستناد إليها للوصول بالإمدادات إلى روسيا عبر إيران. **والثاني**: المحافظة على الثروة البترولية الحيوية للحلفاء كافة. وزيادة على ذلك، فقد كان لزاماً تحصين عشرات الجزر في المحيط الهادي، دونما إهمال للفيليبين وبورما، التي كانت تشكّل الممر الوحيد لإرسال المعدات والدعم لحلفاء أمريكا من الصينيين.

يظهر من خلال ذلك أنه لم يكن للولايات المتحدة خلال تلك الفترة خيارات محددة لخوض الحرب؛ فقد كان عليها الدفاع عن مصالحها وأهدافها في كل مكان، والعمل على كافة الجبهات، في

إطـار سياسـة استراتيجيـة دفاعيـة. وكان من شـأن هذه السيـاسة الاستراتيجية تشتيت القوى والوسائط والإمكانات، وتفريقها، غير أنه لم يكن هناك خيارات أخرى. وكان لا بدّ من الانتظار، ومتابعة تطورات الأحداث، لاتخـاذ نهج واضح، وقـد فرض ذلـك أعباء مـرهقة عـلى القيـادة الأمـريكيـة، وعـلى أيـزنهاور ـ المسؤول عن التخطيط ـ بصورة خاصة.

إن غياب الخيارات المحدّدة خلال تلك المرحلة من وضع مخططات العمليات الحربية ضد ألمانيا وضد اليابان؛ ذلك أن هذين البعيدين عن بعضهما البعض، كانا يطمعان في إقامة أمبراطورية واسعة تتوافـر لها موارد ضخمة، وكانا يمتلكان الآلة الحربية المتفوقة التي تمكنهما من تحقيق مطامعهما. ولم يكن باستطاعة الولايات المتحدة أن تبقى معزولة عن بقية أقطار العالم التي تتعرض لعدوان الدولتين المذكورتين، لا سيما وأن إحداهما ـ اليابان ـ قد قذفت في وجه أمريكا قفّاز التحدي، كما أخذت الثانية في محاولة عزل أمريكا عن حلفائها الطبيعيـين في أوروبا، فكان لا بد من الاستعداد لـمواجهة خصـومة الخصمـين، وسحق جهازهما الحربي.

قدم إلى واشنطن رئيس وزراء بريطانيا ـ السير ونستون تشرشل ـ ومعه هيئة أركان حربه وذلك في أواخر شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١. وجرى اتصال هيئتي أركان الحرب الأمريكية والإنكليزية في جناح دائرة التخطيط الحربي. وكان الغرض من المؤتمر الوصول إلى غايتين رئيستين: الأولى تأمـين الاتصال بـين القيادتـين الإنكليزيـة والأمريكية لتنسيق التعاون فيما بينهما، وتقرر إلحاق أحد ضبّاط هيئة

الأركان البريطانية بهيئة الأركان الأمريكية، وإرسال أحد ضباط هيئة الأركان الأمريكية للعمل في هيئة القيادة البريطانية. **أما الثانية فكانت تثبيت ما سبق أن تقرّر بتعيين الجبهة التي يجب إعطاءها الأفضلية في تجميع القوى والوسائط لضرب العدو. وقد استقر الرأي على مهاجمة العدو في أوروبا لسحق النازية.**

لقد تقرّر مهاجمة ألمانيا أولاً، على أساس أنها العدو الوحيد الذي تستطيع قوى الحلفاء الثلاث بريطانيا وروسيا وأمريكا مهاجمته دفعة واحدة. ولقد جعلت طبيعة الحرب كلاً من روسيا وإنكلترا أن تركّزا جهودهما ضد ألمانيا. ولم يبقَ مجال للاختيار أمام أمريكا التي اضطرت لمجاراة حليفتيها، لأنها إذا ما ركّزت جهودها ضد اليابان فقط فإن ألمانيا قد تتمكن منهما وتسحقهما، فتضطر الولايات المتحدة عندها، بعد انتصارها على اليابان، أن تواجه ألمانيا وحيدة. ولم يكن يومئذ من يستطيع أن يتنبأ بالزمن الذي تستطيع فيه روسيا أن تصمد تحت مطرقة الجيش الألماني الرهيب، ففضلت الولايات المتحدة أن تركّز قوتها في أوروبا.

عمل الجنرال مارشال في بداية شهر كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢، على إعادة تنظيم جهاز القيادة تنظيماً شاملاً، حتى تصبح أكثر فاعلية وأكثر قوة في مواجهة الاحتمالات الخطرة والمتوقعة. وقد شملت إعادة التنظيم تكوين لجنة مهمتها جمع المعلومات الحربية، واكتشاف نقاط الضعف والقوة في السياسة والاستراتيجية، وكذلك تلقّي أوامر رئيس هيئة الأركان ـ مارشال ـ وتوزيعها إلى الجهات المعنية، وقد أطلق على هذه اللجنة اسم (فرقة العمليات الحربية). وأسندت رئاسة هذه

الفرقة إلى أيزنهاور بعد ترفيعه إلى رتبة جنرال (في شهر آذار ـ مارس ـ ١٩٤٢). وما إن بدأ أيزنهاور عمله حتى وجد أمامه ركاماً ضخماً من العمل. فقد كانت وزارة الحرب تفتقر إلى (دائرة استخبارات) ذلك لأن من طبع الأمريكي احتقار كل ما له علاقة بالتجسس والجاسوسية في أيام السلم. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن القيادة العامة لم تبذل اهتماماً قبل الحرب لجمع المعلومات عما يجري خارج بلادها، ولم ترصد شيئاً في موازنة الدولة لأعمال التجسس فنجم عن ذلك نقص فاضح في المعلومات عن قوات العدو، وكان من المحال مجابهة العدو أو اتخاذ أي إجراء ضده، ما لم تتوافر معلومات دقيقة عنه.

٣ ـ الإعداد للحرب

لقد كان الافتقار للمعلومات هو نقطة الضعف الأساسية في عمل جهاز القيادة. وكان من المحال على أيزنهاور الانطلاق (بفرقة العمليات الحربية) ووضع المخططات للأعمال القتالية القديمة، ما لم تتوافر له معلومات دقيقة. فكان لزاماً عليه أن يبدأ قبل كل شيء بإعادة تنظيم مكاتب الملحقين العسكريين الأمريكيين العاملين في السفارات الأجنبية. والمعروف أن كافة الحكومات تعيّن عادة الملحقين العسكريين في سفاراتها لجمع المعلومات عن البلاد التي يعملون فيها. ولكن الولايات المتحدة لم ترصد نفقات لملحقيها على نحو ما تفعله الدول الأخرى، فكان يشغل هذا المنصب من مكّنته ظروفه المالية على الاضطلاع بهذا العمل، لا من يتحلّىٰ بالصفات التي تؤهله لجمع الأخبار والمعلومات وتدقيقها والتمييز بين ما هو مفيد منها وما هو غثّ لا يسمن ولا يغني من جوع.

ولما بدأ أيزنهاور بطلب المعلومات من الملحقين وصلته معلومات أذهلته باضطرابها وتنافضها وغموضها. ولدى تحرّي أيزنهاور للحقائق تبينّ له أن المسؤولية لا تقع على عاتق هؤلاء الملحقين بقدر ما تقع على كاهل القيادة التي لم تعمل منذ البداية على تعيين الأكفّاء لشغل هذه المناصب، ولم تعمل على إعدادهم فنياً وعلمياً للاضطلاع بأعباء عملهم، وكسب ثقة الآخرين والتعرّف على الناس واستخلاص المعلومات من مصادرها. والأهمّ من ذلك أنه لم توضع تحت تصرف الملحقين العسكريين ما يحتاجونه من الأموال اللازمة لاختراق الحجب الموصدة، والحصول على المعلومات الهامة.

وبدأ أيزنهاور عمله وسط غابة من الصعوبات والعقبات. وأصدر الجنرال مارشال أمره يوم ٥ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٢ بتعيين الجنرال جورج سترونغ رئيساً لدائرة الاستخبارات والجاسوسية، فانطلقت هذه الدائرة للعمل بقوّة وحماسة، وبدأ سيل المعلومات في التدفق بصورة منتظمة. ولم تكن هذه المعلومات دائماً دقيقة، غير أنه كان بالمستطاع تقويمها واستخلاص الحقائق عن الموقف في كل بقعة من العالم.

كانت التقارير التي ترد إلى أيزنهاور، خلال تلك الفترة، تتضمن ما هو مثير للفرح، وما هو مثير للحزن والأسى، وكان ذلك شيئاً طبيعياً. غير أن جبهات القتال كافة كانت تؤكّد في تقاريرها حقيقة أن الولايات المتحدة باتت ملتحمة في حرب عالمية يتوقف على نتيجتها مستقبل العالم ومصيره. وكان على الولايات المتحدة أن تستمر في إقامة القواعد في بعض الجبهات، مع الاستمرار في المقاومة على

جبهات أخرى لكسب الوقت، مع متابعة استعداداتها للقيام بهجوم مضاد في كافة أنحاء الأرض.

كان لزاماً على أيزنهاور دراسة مشكلات مختلفة، وقضايا متنوعة، فلجأ لمعالجة المشكلات والقضايا من خلال عقد المؤتمرات في مكتبه. وكان يحضر هذه المؤتمرات ممثلون عن قطاعات الجيش المختلفة، وأحياناً بعض موظفي الدولة ومدراء الصناعة، لاستشارتهم في المواضيع المختلفة والتي كانت تتطلب اتخاذ مقرّرات حازمة.

عقد رؤساء الدوائر في الجيش مؤتمراً يوم ٧ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٢ حضره أيزنهاور عن (فرقة العمليات الحربية). وعالج المؤتمرون قضايا محدّدة، منها إرسال طائرات إلى جزر الهند الشرقية الهولاندية، ونوايا الألمان تجاه غزو سوريا والعراق وتركيا. وهكذا وجدت الدوائر الأمريكية نفسها مرغمة على الارتباط ارتباطاً مباشراً بكل بقعة من بقاع العالم، وأصبحت أسماء كثيرة موضع دراسة واهتمام بعد أن كانت حتى الأمس، مجرّد أسماء غامضة على صفحات الخرائط.

جابه أيزنهاور في شهر شباط ـ فبراير ـ سنة ١٩٤٢ مشكلة لم يكن يتوقعها، وهي إنتاج طائرات لإنزال الجنود. ولما كان إنتاج هذه الطائرات مرتبطاً بالمخططات الهجومية، وكانت أمريكا يومها تحشد كل قواها للدفاع، فقد كان من المستبعد أن يتجه التفكير نحوها. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فقد كان إنتاج مثل هذه الطائرات من اختصاص البحرية، وهذا سبب ثانٍ لعدم التفكير بها، غير أن مسيرة الأحداث فرضت العمل لمجابهة احتمالات المستقبل.

ولدى اتصال أيزنهاور بالبحرية أفادت بأنه من الصعب إعداد الجيش بما يحتاجه من الطيّارين والملاّحين للعمل على هذه الطائرات، وتعهّد أحد كبار قادة الجيش (الجنرال سمرفيل) بتأمين ما هو مطلوب وأسرع للعمل، وأمكن له تحقيق النجاح. ولما أنجز مهمته، حاول نقل المدرّبين والاختصاصيين لدعم القوى البحرية، ولكن أيزنهاور اعترض على ذلك بقوله: «إن من لا يستطيع إعداد الملاّحين، لا يستحق أن يدعم بالمدرّبين». وقد أظهرت هذه الحادثة لأيزنهاور مدى الحاجة لوجود مركزية في القيادة تتولى تنسيق التعاون بين القوى البرية والبحرية والجوّية وذلك لتوفير الجهد والوقت.

شكّل الرئيس الفيليبيني ـ كيزون ـ حكومة في المنفى في أواخر فصل الربيع من سنة ١٩٤٢، وذلك بعد أن هرب في غوّاصة أمريكية قبل أن تستسلم جزر الفيلبين لليابانيين. وقد عرج في طريقه بصورة طبيعية على الولايات المتحدة، وبعد أسبوع من وصوله إليها قام بزيارة لأيزنهاور في مكتبه، وأطلعه بإسهاب على ما جرى في بلاده، وتعرّض لأسلوب التعبئة الذي تم تطبيقه، والعمليات الهجومية والدفاعية التي جرت على أرض الفيليبين. وضمّن حديثه اعترافه بالشكر لأمريكا، وعبّر عن تقديره لموقفها، وإن لم تستطع تقديم المساعدة الفعّالة في الوقت المناسب، ولكنه أظهر ثقته بحتمية تبدل الموقف، والعمل على تحرير الفيليبين. وذكر أيزنهاور بدوره، أن كافة الجهود كانت أعجز من أن تصدّ اليابانيين وتنقذ جزر الفيليبين من السقوط، وهذا ما دفع باتان للسقوط يوم ٩ نيسان ـ أبريل ـ، وتبعها استسلام معقل كوروجيدور في السادس من أيّار ـ مايو ـ ١٩٤٢.

كان تفكير أيزنهاور والقيادة الأمريكية مهتماً بمنح بعض القـوّات الأمريكية الخبرات القتالية الحقيقية وذلك قبل أن يحين الوقت لزجّ كل الجيوش في معركة حياة أو موت.

ولما كان الحلفاء يخوضون معاركهم في قارتي أفريقيا وآسيا، فقد كان من المناسب اغتنام هذه الفرصة لإشراك بعض القـوّات فيها، بدلاً من الاكتفاء بإرسال مراقبين حربيين فقط.

وظهر اقتراح مقبول ومعقول، وهو إرسال إحدى الفرق المدرّعة لـدعم الجيش البريـطاني في صحـراء مصر، وعكف عـلى دراستـه ومناقشته كل من أيزنهاور وعنـاصر جهاز القيـادة. وبرزت مشكلة خـلال البحث وهي مصير تلك الفـرقـة إذا مـا اضـطرت القيـادة الأمريكية لسحبها من أجل زجّها في جبهة أخرى. وتقرّر مجابهة مثل هـذا المـوقف بـأن يتم سحب الـرجـال، وتـرك الأعتــدة للجيش البريطاني. وتم الاتفاق على ذلك، إذ ظهر أن ترك الأعتدة لا يشكّل عقبة لا سيما وأن الولايات المتحدة كانت قد شرعت بإنتاج نوع جديد من الـدبّابـات أفضل من جيـل الدبـابات السـابق، وأنه سيكـون بالمستطاع تجهيز القوّات بالدبّابات والأعتدة الحديثة، عندما يحين وقت سحبها والحاجة إليها.

ما إن بدأ أيزنهاور بالبحث عن قائد يستطيع أن يسند إليه قيادة هذه الفرقة، حتى تذكّر رفيقه القديم (الجنرال جورج باتون)، ولكنه عندما طرح اسمه على القيادة، جُوبِه باعتراض أكثر من شخص، متجاهلين ما كان عليه باتون من صفات قيادية، وما توافر له من

خبرة في الدبابات. وأدرك أن الاعتراض هو بسبب فأفأة باتون عندما يتحدث، وبسبب تصرفاته الغريبة أحياناً. وأبرز أيزنهاور ما توافر لصديقه باتون من قدرة على التعاون مع حلفائه، وما يتميز به من إخلاص وولاء في سبيل القضية المشتركة، بالإضافة إلى أنه قائد من قمّة رأسه حتى أخمص قدمه، وأن قلبه أبداً معلقاً بعمله، لا تذهله المباغتات، ولا تُضعف من عزيمته المصاعب. ووافق الرئيس (الجنرال مارشال) على اقتراح أيزنهاور بتعيين الجنرال باتون قائداً للفرقة المدرّعة التي تقرّر إرسالها إلى مصر. فعمل أيزنهاور على استدعاء باتون إلى واشنطن، وسأله عمّا إذا كان على استعداد للتخلّي عن قيادة تدريب الفرق الجديدة من أجل تسلّم قيادة فرقة تشترك في معركة فعلية. ومع أنه كان يضطلع بقيادة فيلق في أمريكا، فإنه قبل أن يتسلم قيادة فرقة فقط، ولم يشعر أن ذلك يحطّ من قدره أو ينتقص من رتبته، على نحو ما فعله قائد آخر. وتم تعيينه في الحال.

كاد مشروع إرسال فرقة باتون إلى صحراء مصر ينتهي إلى الفشل، لا لسبب إلّا قلّة ما هو متوافر من السفن. فقد كان نقل فرقة مدرّعة إلى القاهرة يحتاج إلى ٤٥ سفينة شحن، بالإضافة إلى سفن نقل الجند. وكان ذهاب هذا العدد الكبير من السفن من أمريكا إلى رأس الرجاء الصالح، ثم الالتفاف حول سواحل أفريقيا الشرقية للوصول إلى القاهرة، يقتضي وقتاً طويلاً من الصعب على أمريكا خلاله الاستغناء عن هذه السفن التي يجب لها العمل لتأمين إمداد القواعد في مناطق أخرى من العالم لم تكن أقلّ أهمية ـ عند البعض ـ عن هذا المشروع الجديد.

أما أيزنهاور فقد خرج من هذه التجربة بدرس هام ومفيد، وهو أن اختيار الأشخاص لمراكز قيادية قد يصطدم بمعارضة لأسباب تقليدية، سطحية، وغير جوهرية ولا فنّية، ذلك أن كثيراً من الناس يخضعون لنوع من التقاليد أو القِيَم التي تبتعد بهم عن الإبداع والتجديد والقدرة على التمييز. وتأكّد أيزنهاور بأن اختيار قادة الوحدات والقطعات يجب أن يتم من بين الذين يفضّلون القيادة في ساحة المعارك لا من بين أُولئك الذين يفضلون البقاء في المؤخّرة، ويتمسكون بمقاعدهم الوثيرة.

استطاع أيزنهاور خلال فترة قصيرة أن يشكّل جهازاً يستطيع الاعتماد عليه للعمل بانسجام وبدقة تحت إشرافه وإشراف عدد من القادة الأكفّاء. وبات بإمكانه الانصراف للبحث والتفكير في الأمور الرئيسة مثل زيادة القدرة الانتاجية للمصانع وتعبئة القوى للإسهام بدور فعّال في الحرب إلى جانب الحلفاء.

وكان لا بدّ من التفكير بالجبهة التي يمكن العمل من خلالها، وطرحت مجموعة من الاحتمالات، مثل العمل إلى جانب القوات السوفييتية، لكن صعوبة الوصول بالقوات إلى هناك أدّى إلى استبعاد هذا الاحتمال. كما طرح احتمال العمل على جبهة البحر الأبيض المتوسط، ولكن السيطرة الألمانية ـ البحرية والجوية ـ أدّت بدورها إلى استبعاد هذا الاحتمال أيضاً. وطرح احتمال الهجوم عن طريق النروج، أو عن طريق إسبانيا والبرتغال، وظهرت صعوبات زجّ قوات ضخمة على مسارح هذه العمليات.

وتقرّر في النهاية اتّخاذ إنكلترا قاعدة للهجوم الرئيسي على أوروبا. فقد بقيت إنكلترا هي الإقليم الأقرب إلى الشواطىء الشرقية لأمريكا ـ عبر الأطلسي ـ، وهذا مما يساعد على إيصال المعدّات خلال وقت قصير، وإرجاع السفن مباشرة. وكان للجزيرة الإنكليزية مرافىء كثيرة تستطيع استقبال أكبر السفن العابرة للمحيطات وإفراغها بسهولة تامّة. ونظراً لقصر المسافة، فقد كان بالمستطاع تأمين سفن حراسة للقوافل من أجل مطاردة مجموعة الغوّاصات الألمانية التي تكمن في عمق البحار، والانقضاض على خصومها كالذئاب المفترسة. وبما أن بريطانيا هي بلد مستورد، لا يكفي نفسه بمتطلباته، فقد كان لزاماً حراسة طرق تموينها لتأمين حياتها. وبالإمكان الإفادة من سفن حراسة تلك الخطوط لإرسال الجيوش والمعدّات الأمريكية.

هكذا انتهى الأمر بعد المناقشة، والتعرّض لوجهات النظر المختلفة في مؤتمرات عديدة، إلى اتّخاذ إنكلترا قاعدة رئيسة لانطلاق الهجوم منها على شمال غرب أوروبا. ولكن، وحتى بعد أن اتخذ القرار بموافقة جميع الفرقاء، قام عدد ـ بينهم نفر من القادة العسكريين ـ بالمعارضة على أساس وجود التحصينات العظيمة التي أقامها الألمان على شواطىء أوروبا الغربية والتي باستطاعتها إحباط كل هجوم، هذا بالإضافة إلى توافر أعداد كبيرة من الطائرات الألمانية التي تستطيع إلحاق الدمار بقوّات الغزو قبل الوصول إلى الشاطىء.

كانت الصورة قاتمة؛ فباستطاعة الغوّاصات الألمانية الانقضاض على سفن الإنزال وإرسالها مع من فيها إلى قاع البحار، فإذا نجت

السفينة من خطر الجو والبحر، فإنها قد تصطدم بالألغام المزروعة في كل مكان من سواحل أوروبا فتدمّرها تدميراً، ومن أدرى من الألمان، ومن هو أمهر منهم بمثل هذه الأعمال الجهنمية؟ وإذن فكل هجوم من هذا النوع ضد وسائل دفاعية من هذا الطراز، إنما هـو ضرب من الجنون، إن لم يكن انتحاراً عسكرياً. وكانت مثل هذه الافتراضات التي قدّمها رجال المعارضة من خبراء الجو والبحر والبرّ، كافية لإحباط كل قرار. غـير أنه كـان لا بدّ من مهـاجمة ألمـانيا وسحق جهـازها العسكري، وكانت إنكلترا هي أفضل القواعد لانطلاقـة الهجوم. ونتيجة لذلك، فقد بات لزاماً معالجة أمر تلك التحصينات الألمانية على شواطىء الأطلسي، للإقلال من خطرها، ومن خطر الطائرات والمدرّعات والغوّاصات والألغام.

لا بـدّ لكل حـالة صعبـة من القيام بعمـل أصعب، ولصعاب الأحداث رجالها، ولم تعدم الولايات المتحدة ما تحتاجه من الرجال لمواجهة تلك الصعاب. ففي أحد الأيام، جمع الجنرال مارشال كبار قادته، واستـوضح منهم مـطولاً ما أعـدّوه من خطط، ومـا اتخذوه لمواجهة المباغتات. وقام هؤلاء بالشرح والتبسيط، وعالجوا الموقف من كافة الوجوه، وقدّموا ما تحتاجه مخططاتهم من البراهين، وقالوا إنهم على ثقة أنه بالمستطاع إعداد قوة جوية ضخمة تعمـل بالآلاف ـ لا بالعشرات أو المئات ـ لدكّ التحصينات الألمانية وتدمير طائرات الألمان وخطوط مواصلاتهم. وبعد أن أصغى الرئيس الجنرال مارشال بكل يقظة وانتباه لكل ما قيل، علّق قائلاً: «أحسنتم إني موافق». وبعدئذ

سأل قائد البحرية (الأميرال كنغ)[1] وقائد الجو (الجنرال آرنولد) فوافقا، ولم يبقَ إلّا أَخْذ موافقة الرئيس روزفلت، وبعد ذلك يمكن التقدّم لمحاولة إقناع الحلفاء البريطانيين، إذ كان واضحاً أن الفشل سينزل بالخطة من أساسها ما لم توافق بريطانيا عليها، وإلّا فكيف يمكن للأمريكيين جعل أرض الجزيرة البريطانية قاعدة لهم ما لم توافق حكومة بريطانيا وشعبها؟ . .

أمَرَ الرئيس الأمريكي روزفلت رئيس هيئة الأركان الجنرال مارشال بالتوجه إلى لندن ـ وبرفقته مستشاره الشخصي هاري هوبكنز ـ لمعالجة الموضوع. وعندما رجع كان الاتفاق قد تمّ بين الحكومتين الإنكليزية والأمريكية على اتخاذ إنكلترا قاعدة للهجوم على أوروبا (وكان ذلك في شهر نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٢).

وما أن عاد الجنرال مارشال من لندن حتى استدعى الجنرال أيزنهاور إلى مكتبه، وقال له بأنه لم تتح له خلال زيارته للندن فرصة الاطلاع على النشاط الأمريكي فيها، وأنه يرى أن الضبّاط الأمريكيين المقيمين في لندن يجهلون الخطوط العامة لمشاكل أمريكا،

---

(١) كنغ: (KING, ERNEST JOSEPH) أميرال أمريكي (١٨٧٨ ـ ١٩٥٦) تم تعيينه قائداً أعلى لقوات أسطول الأطلسي سنة ١٩٤٠، ثم أصبح قائداً للعمليات البحرية ـ الحربية من سنة ١٩٤٢ حتى شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٥، وعمل ممثلاً للبحرية الأمريكية في هيئة الأركان الأمريكية ـ الإنكليزية المختلطة. وقد طلب كينغ اعتمادات ضخمة لدعم البحرية في حربها ضد اليابان، ودخل مع (ماك آرثر) في نقاش حاد بشأن استخدام هذه الموارد في المحيط الهادي. أحيل على التقاعد سنة ١٩٤٥.

وأهداف وزارة الدفاع، لا سيما فيما يتعلق باتخاذ إنكلترا قاعدة لأضخم العمليات الحربية في العصر الحديث، ولذلك فقد كلّف أيزنهاور بالتوجّه إلى لندن لمعالجة المشكلات، وألّا يعود إلّا وفي جعبته مخططاً عاماً للتنظيم الذي يجب أن تأخذ به القوّات الأمريكية في أوروبا.

انطلق أيزنهاور لتنفيذ مهمته في النصف الثاني من شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٤٢، واتبع الطريق الجوي الشمالي الذي نظمته قيادة سلاح الجو الأمريكية، والذي أصبح فيما بعد عاملاً كبيراً في إنزال الهزيمة بقوّات المحور. ولقد عملت قيادة سلاح الجو من أجل تأمين هذا الطريق على إقامة مطار في شمال شرقي الولايات المتحدة، ومطاراً آخر في الأرض الجديدة، وثالثاً في غرينلاند، ورابعاً في إيسلندة، وخامساً في اسكوتلندة، فمكّنت هذه السلسلة من المطارات جميع الطائرات الأمريكية ـ حتى المقاتلة منها ـ أن تذهب جواً إلى أوروبا.

أمضى أيزنهاور عشرة أيام في لندن، عرف خلالها مدى الحاجة لقيادة جديدة، تحلّ محل مجموعة الضباط الذين أقاموا في بريطانيا، فجهلوا مدى التطوّر الذي أحرزته القيادة الأمريكية وقوّاتها. وفي يوم ٨ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢، رفع أيزنهاور تقريراً إلى القائد العام ـ الجنرال مارشال ـ ضمّنه مخططه لتنظيم قيادة موحّدة للقوات الأمريكية في أوروبا، من أجل السيطرة على القوّات البرية والبحرية والجوية. ولما سلّمه تقريره رجاه أن يقرأه بإمعان، فتفرّس الجنرال مارشال ملياً في أيزنهاور، ثم قال له: «سأقرأه بكل تأكيد، فقد تكون أنت الشخص الذي سيعهد إليه بأمر تنفيذ ما جاء فيه. وبناء

عليه متى تستطيع أن تسافر؟». وبعد مضي ثلاثة أيام فقط، أصدر الجنرال مارشال أمره بتعيين الجنرال أيزنهاور قائداً لجبهة أوروبا.

لقد كان من حقّ أيزنهاور أن يشعر بفرحة كبرى لتعيينه الجديد؛ فتولي قيادة ميدانية عليا هي أرفع ما يطمح إليه الجندي الحقيقي، ولقد كان أيزنهاور جندياً حقاً، غير أن شعوره بثقل المسؤولية، وإحساسه بخطورة العمل الذي أسند إليه، جعله يقف متهيباً. إنه طالما منّى نفسه بقيادة ميدانية وحلم بها، ولكن ها هي الأعباء المرهقة وهي تفسد عليه نشوة الفرح. لقد كان هذا التعيين هو البداية، مجرّد بداية. لقد أمضى سنوات عمره في عمل دؤوب وجهد مستمر، من أجل يوم كهذا، وها هو فجر اليوم الجديد وقد أشرق بنوره الساطع ليضع أيزنهاور في بؤرة الضوء، فهل تراه سيمضي على هدى وبيّنة من أمره؟ أم تراه سيتعثر بوهج الضياء، فيسقط متعثراً؟ وماذا سيبقى من طموحه وأحلامه؟ فليمضِ نحو قدره بعزيمة الرجال وتصميم الجنود. وكان لا بدّ له قبل انتقاله لمقرّ عمله الجديد من إجراء اتصالات مكثّفة مع المسؤولين والقادة العسكريين، للتعرّف عليهم عن قرب، ومعرفة مدى الدعم الذي سيلقاه منهم.

٤ ـ إنكلترا ـ قاعدة الهجوم على أوروبا

كان لزاماً على أيزنهاور القيام بزيارة للرئيس الأمريكي روزفلت. وتصادف يوم الزيارة أن كان رئيس وزراء بريطانيا تشرشل ضيفاً على الرئيس الأمريكي في البيت الأبيض، إلّا أنه لم يجرِ بين أيزنهاور والشخصيتين الكبيرتين أي حديث خاص، إذ تركّز الحديث على

حدث (سقوط طبرق في قبضة القوات الألمانية)، وهو الحدث الذي جلب الغمّ والكدر إلى نفوس الحلفاء في كلّ مكان. وكان مما أثار أيزنهاور وأدهشه، أنه لم يلاحظ أي تشاؤم في حديث الرئيسين، بل إن الأمر كان على النقيض من ذلك، فقد زادهم الفشل في الصحراء حماسة للتحوّل من الدفاع إلى الهجوم، ودفعهم للمزيد من التصميم على تحيق النصر النهائي.

قام أيزنهاور أيضاً بزيارة لقائد البحرية ـ الأميرال كينغ ـ وتأكّد منذ الوهلة الأولى صحة جميع ما قِيل عنه من إنه رجل حرب من الطراز الأول، جريء وحازم، يبدو خشناً في بعض الأحيان حتى أن جميع مرؤوسيه كانوا يرتجفون فرقاً مَن غضبه، ويتهيبونه. **ولقد شدّد كينغ خلال حديثه على النقطة الحاسمة في الموقف، وهي أن المهمة الخطيرة التي أسندت إليّ في بريطانيا، يجب أن تبدأ بالعمل الهادف والجريء لتوحيد ودمج الأسلحة والقوى الأمريكية المختلفة، تحت قيادة قائد واحد، من أجل تسهيل أمر الحملة التي لا يعرف أحد متى وكيف ستنتهي. وأكّد لي أنه سيبذل كل ما بوسعه حتى أكون أنا قائداً لقوّات البر والبحر والجو. وأردف أنه لا يريد أن يسمع كلاماً أحمق عن وجود ثلاث قيادات متعاونة، بل يجب أن تكون هناك قيادة واحدة وسلطة مسؤولة واحدة. وطلب إلي أن أتّصل به شخصياً في أي وقت عندما أُجابه عقبة في سبيل دمج القوّات الثلاث تحت قيادتي، من قبل أي قائد بحريّ.**

وكان لهذا الموضوع أهمية كبرى من وجهة نظر أيزنهاور، إذ لطالما جرى نزاع على السلطة ـ في الماضي ـ كلما جرت عمليات حربية

مشتركة بين القوّات البرّية والقوات البحرية، حيث كان كل فريق من الفريقين يزعم بأن السلطة ـ أو القرار ـ يجب أن يكون في قبضته، وعلى مسؤوليته.

غادر أيزنهاور واشنطن في أواخر حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢ ومعه بعض من اختارهم من معاونيه. وكان صعباً عليه فراق عائلته إذ لم يكن يعرف في هذه المرة المدة التي سيتطلبها تنفيذ مهمته الخطير، ولهذا أمضى اليومين الأخيرين اللذين سبقا رحيله مع زوجته وابنه. وما إن وصل إلى إنكلترا حتى تسلّم قيادته التي شملت جيش الولايات المتحدة في إنكلترا وإيسلندة.

ولّما كانت العادة في الحرب إطلاق إسم رمزي للقوّات وقياداتها على مسرح العمليات، فقد استحدث اسم (إيتوزا) وأطلقه على قيادته. وكان أول ما عمله أيزنهاور هو إعادة تنظيم جهاز قيادته، واختار أفضل العناصر القيادية التي يمكن لها العمل بحماسة وانسجام وكفاءة. وما هي إلاّ فترة قصيرة حتى سار العمل بانتظام ودقة في مقرّ القيادة.

غير أن أيزنهاور واجه في مقرّه بلندن مشكلة سرعان ما وجد حلاً لها. فقد عملت كثير من شخصيات العاصمة البريطانية البارزة على توجيه الدعوات المتتالية احتفالاً بقدوم أيزنهاور. وكادت كثرة الدعوات ـ على ما فيها من فائدة ـ تصرفه عن العمل، فنقل مقرّ قيادته إلى ضواحي لندن، وامتنع بعد ذلك عن قبول أية دعوة إلاّ إذا جاءت من رئيس الوزراء، أو أحد كبار القادة الإنكليز أو

الأمريكيين، إذا كانت مثل هذه الدعوات مرتبطة دائماً بالعمل.

أصبح باستطاعة أيزنهاور بعدئذ القيام بـزيارة للقـوّات الأمريكيـة في قواعدها. وكانت أول زيارة له لإحدى القواعد الجوية بمناسبة قيام ستّ طائرات قاذفة - برفقة سرب طائرات بريطانية - بالإغارة للمرة الأولى على أربع مطارات ألمانيـة في هولنـدا (يوم ٤ تمـوز - يوليـو - ١٩٤٢)، ثم تبع ذلك القيام بزيارات لبقية الوحدات والقوّات وفق برنامج محدّد.

كان أيزنهاور، خلال وجوده في لندن، يراقب عن كثب بريطانيا وهي تحشد رجالها ونساءها للحرب، وتعدّ المؤن والذخائر بأكثر ما لديها من الجهد، وترسل الفرق إلى جبهات القتال، وتنظم القوات التي ستشترك في عملية غزو أوروبا، وأيقن أن أمة تقدم مثل تلك التضحيات هي أمة جديرة بالحرية. وكثيراً ما مكّنته الفرص خلال تلك الفترة من الاجتماع بقادة الإنكليز في القوّات البرية والبحرية والجوية للتباحث في شؤون الساعة، وفيما يجب عمله للمستقبل.

وكان أيزنهاور يركّز حديثه في كل مرة على ضرورة إسناد قيادة قوّات الحملة، التي ستقوم بعمليـة الغزو، لـرجل واحـد، يتمتع بسلطة كاملة غير مجزّأة. وطبعاً كان أيزنهاور يتابع الموقف وتطوراته على كافة الجبهات، وكان كل ما يتمناه هو زيادة حجم المساعدات الأمريكية للإتحاد السوڤييتي حتى يتمكن من الصمود، إلى أن يتكامل جهاز الحرب الأمريكي الذي كان يتعاظم بسرعة مذهلة، وكذلك أن تستطيع بريطانيا الصمود في الهند حتى تمنع القوّات اليابانية من متابعة تقدّمها عبر آسيا نحو الغرب.

كان من أهمّ المواضيع، التي أعيد بحثها مرّات ومرّات، **هي تعيين الوقت الذي يبدأ فيه الغزو؛ إذ كان لا بدّ من مضي فترة زمنية كافية قبل أن يصبح بالمستطاع القيام بعملية حاسمة، وكانت الحاجة لحشد القوى وتأمين الوسائط القتالية هي السبب في التأخير، وقد تبيّن بنتيجة البحث أنه من الصعب القيام بأي عمل قبل نهاية سنة ١٩٤٣. ونظراً لأن فصل الشتاء في أوروبا لا يساعد على القيام بالعملية، فقد قرّر أيزنهاور وجهاز قيادته تحديد فصل الربيع من سنة ١٩٤٤ موعداً للهجوم الكبير.** **لكن روسيا كانت تلحّ باستمرار على حليفتيها ـ الولايات المتحدة وبريطانيا ـ القيام بالهجوم في سنة ١٩٤٢. وكان هناك خوف من أنه إذا لم تتم الاستجابة لرغبة روسيا فقد يؤدّي ذلك إلى نتائج خطيرة على جبهتها.**

وكان الرأي العام في الولايات المتحدة وبريطانيا وسائر أنحاء أوروبا يتوقع حدوث كارثة مأساة، إن لم تضطلع الولايات المتحدة بدور إيجابي وفعّال للتأثير على مجرى الحرب، في حين كان أيزنهاور وجهاز قيادته يدركون تماماً أن القيام بأية محاولة، من جانب أمريكا في سنة ١٩٤٢، ستكون محاولة فاشلة، وقد يكون ضررها أكثر من فائدتها، إذ أنها قد تؤخّر من موعد الهجوم الكبير. وزاد من خطورة الموقف، عندما أصدر الرئيس روزفلت أمره إلى قادته بالقيام بعملية بريّة في أوروبا سنة ١٩٤٢، من أجل إثبات الوجود، وليس من أجل القيام بدور حاسم. وظهرت أمام أيزنهاور ثلاث احتمالات لتنفيذ هذا الأمر:

أوّلها: إرسال قوات وأسلحتها إلى صحراء مصر الغربية ـ حول

رأس الرجاء الصالح ـ بهدف دعم الجيش البريطاني ـ الثامن ـ وتمكينه من الهجوم على رومل وقوّاته لطرده من المسرح الأفريقي .

وثانيها: القيام بغزو شمال غربي أفريقيا والتوجّه شرقاً، بينما يتجه الجيش البريطاني غرباً، فتطبق الكمّاشة الهائلة بفكيّها من الشرق والغرب على رومل، وجيشه، وتسحقه سحقاً.

وثالثها: الهجوم على رقعة صغيرة من شواطىء فرنسا ودعمها لتصبح رأس جسر لقوّات الغزو، وذلك إلى أن يحين الوقت للهجوم الكبير. ولقد أطلق على هذه العملية اسم (المطرقة).

لدى مناقشة هذه الاحتمالات، ظهر للأمريكيين يومها أن حلفاءهم الإنكليز لا ينظرون بعين العطف إلى موقف حلفائهم الأمريكيين. وأيقن القادة الإنكليز بفشل الخطة المتفق عليها منذ البداية والتي لم يتمكنوا من استيعابها، وهي الهجوم على أوروبا عبر القنال الإنكليزي . ولم يتمكن الأمريكيون بدورهم من إقناع الإنكليز بضرورة بقائهم في حالة من الجمود ريثما يتم لهم إكمال استعداداتهم؛ إذ كيف يمكن لك أن تقنع حليفك بأنه من الأفضل لك وله أن تمتنع أنت عن القيام بأي عمل لمدة طويلة، بينما يكون هو مشتبكاً في حرب ضارية على عدد من الجبهات؟ ولهذا فقد وقف أيزنهاور ذاهلاً وهو يتلقّى الاقتراحات تلو الاقتراحات، والخطة تلو الخطة، في محاولة لزحزحته عن موقفه. ولكن وجود أيزنهاور في لندن ومناقشاته مع السيد تشرشل ومع القادة البريطانيين، جعلته قادراً على فهم وجهات نظر الإنكليز تجاه قضية الهجوم عبر القنال، واستطاع إيجاد العذر لذرائعهم وحججهم.

وأخيراً حسم الجنرال مارشال الموقف عندما أعلن بوضوح في مؤتمر عقده في لندن: «بأنّه مهما كان القرار المتّخذ، فلا بدّ من أخذ وعد واضح وصريح من البريطانيين، بأن يجعلوا هدفهم الأول هو تسهيل عملية الهجوم المباشر، من جزرهم، على فرنسا ـ عبر القنال ـ لأن في ذلك توفيراً للوقت، وفعالية أكبر لسحق ألمانيا».

عملت الحكومتان البريطانية والأمريكية على دراسة الاحتمالات الثلاثة السابقة الذكر. وأخيراً **اتّخذت القيادة المشتركة قرارها، يوم ٢٤ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢، للقيام بغزو شمال أفريقيا الفرنسية من الغرب، وعلى أن يكون القائد الأعلى للقوّات الجوية والبرية والبحرية أمريكياً، وأُطلق على العملية اسم اصطلاحي (مشعل).** وتقرّر أن تتخذ الحملة مظهراً أمريكياً كاملاً، على أمل أن تكون منزلة الأمريكيين لدى الجيش الفرنسي في شمال أفريقيا محترمة حتى لا يقدموا أكثر من مقاومة ظاهرية، لا سيما وأن مركز بريطانيا كان في الحضيض لدى الفرنسيين بسبب مهاجمة البريطانيين للأسطول الفرنسي في وهران وداكار، وللقضاء على الفرنسيين الموالين لبيتان في سوريا ولبنان.

استدعى الجنرال مارشال لمقابلته الجنرال أيزنهاور يوم ٢٦ حزيران ـ يونيو ـ وأبلغه قرار اختياره قائداً لحملة الغزو الأفريقي، وطلب إليه كتمان الأمر إلى أن يتم الإعلان رسمياً من قِبل هيئة القيادة المشتركة رسمياً.

ومضى أيزنهاور لإعادة النظر في مخططات الحملة وتدقيقها، وإجراء

التعديلات الضرورية حتى إذا ما ظهر له أنها بلغت مرحلة الكمال، أصدر أمره للالتزام بها والمحافظة على قدسيتها ـ حتى كأنّها كتاب منزّل ـ. ولقد اقتضت هذه الخطة، القيام بهجوم شامل على ثلاثة مدن: كازابلانكا (الدار البيضاء) ووهران والجزائر، وذلك حتى يكون للجيش الأمريكي قاعدة تحمي مؤخّرته في المغرب (مراكش) بينما يندفع الجيش الإنكليزي من مدينة الجزائر ـ شرقاً ـ لاحتلال تونس. ولقد اقترح أيزنهاور تعيين جورج باتن قائداً للحملة على الدار البيضاء. ووافق الجنرال مارشال.

وجاء جورج باتن إلى لندن حيث قابل أيزنهاور ثم استأذنه بالعودة إلى أمريكا لإنهاء بعض أعماله قبل أن يتسلّم قيادته الجديدة. ولكنه لم يكد يصل إلى واشنطن حتى وصلت برقية إلى أيزنهاور تعلمه بأن باتن قد أثار مشكلة كبرى مع البحرية، مما دفع القيادة العامة إلى أن تصرف النظر عن تعيينه. وأدرك أيزنهاور حقيقة الموقف على الفور، بسبب معرفته لمزاج باتن وطبيعته التي تمنعه من التفكير بنتائج ما يتحدث به، فيورّط نفسه في مشكلات ومتاعب لم يكن يرغبها أو يريدها. ولذلك فقد أحتج أيزنهاور على فكرة إبعاده، وقال للقيادة: «إذا كان من عادة باتن أن يسبّب مشاكل في المؤتمرات والمناقشات، فمن المناسب إرساله إلى الجبهة على رأس جنوده، ومن السهل على القيادة الاستعاضة عنه بشخص آخر»[1]. وانتهت المسألة عند هذا الحدّ.

---

(١) حرب صليبية في أوروبا ـ ص ٥٠ ـ ٥١، وفيه رأي أيزنهاور بالجنرال باتن، كما يلي: =

قرّر أيزنهاور تكليف الفيلق الأمريكي الثاني ـ بقيادة الجنرال لويد فريدندال ـ بمهمة احتلال وهران في وسط الجبهة، نظراً لما عرفه عن هذا القائد من كفاءة عالية في التدريب، وقدرة تنظيمية كبيرة. وأسند إلى الجيش الإنكليزي الأول مهمة الهجوم على الطرف الشرقي من الجبهة، واحتلال مدينة الجزائر، وقد تمّ تعيين الجنرال رايدر لقيادة هذة الجيش بهدف إعطائه الظاهر الأمريكي على أن يخلفه في القيادة القائد الفعلي لهذا الجيش (وهو السير كنت أندرسن)[1] وذلك بعد أن يتم احتلال مدينة الجزائر.

= «كنت أعرف أن من عادة باتن إثارة سامعيه بأقواله الخيالية، مما جعل كثير من الناس الذين عرفوه ظاهرياً، يحكمون عليه بأنه رجل خشن وفظّ، ولو أوغلوا في معرفتهم لنفسيته، لوجدوا داخل تلك القشرة الخشنة نفساً صافية، وذهناً منظّماً، وقدرة على إصدار الأحكام الصحيحة، مما كان يؤهله لقيادة عمليات قتالية كبرى. وهو يعرف كيف يربح إخلاص مرؤوسيه، ويدرك بسرعة ما قد يلجأ إليه خصومه من مناورات. ولقد كان يطمح منذ بداية حياته العسكرية لاستلام قيادة ميدانية وخوض معركة. وقد دفعته هذه الرغبة، وذاك الطموح، للبحث كثيراً في رحاب التاريخ العسكري، ومطالعة سير القادة العظام. وإليك ما جرى لي معه لتدرك كنه طبيعته، وما انطوى عليه من قلب كبير: جاءني ذات يوم وطلب إلي صرف ثمانين ضابطاً من الخدمة بسبب تخاذلهم وجبنهم، وألحّ علي بأن أنفّذ له طلبه، فوافقت وطلبت أن يرفع إلي اقتراحاً خطياً بذلك. ويظهر أنه بعد انصرافه من مقابلتي، ندم على اتهامه لأولئك الضباط، وأخذ يؤجّل رفع الطلب الخطي أسبوعاً بعد أسبوع، مختلقاً العذر بعد العذر على تأخّره. وفي النهاية جاءني واعترف بأنه لا يستطيع تحميل ضميره الإثم في صرف أحد، ورجاني أن أمتنع بدوري عن ملاحقة أحد منهم».

(١) وصف الجنرال أيزنهاور الجنرال أندرسون بقوله: «الجنرال أندرسون، قائد اسكوتلندي النشأة، مقدام، يتفانى في سبيل الواجب، مستقيم وصريح إلى درجة =

أخذ أيزنهاور يجمع المعلومات عن مسرح العمليات، فتبيّن له أن هناك عدداً كبيراً من الضبّاط الفرنسيين وجنودهم ممن مزّقت نفوسهم مرارة الهزيمة والاستسلام للألمان، وكانت المشاعر الوطنية والغيرة على (فرنسا العظمىٰ) قد جعلتهم على استعداد للقيام بأي عمل لإزالة عار الهزيمة، فإذا ما قام الحلفاء بغزو مباغت، وكانت عملياتهم على درجة كافية من القوة، فإنهم سينضمون إلى قوات الحلفاء بعد عمليات دفاعية تظاهرية. وكان لا بدّ لنجاح العملية من الاحتفاظ بسرّيتها، وإحاطتها بتدابير الحيطة، ولهذا عمل أيزنهاور على عدم إطلاع أحد عليها، باستثناء كبار الوزراء والقادة المسؤولين من الإنكليز والأمريكيين.

مضت على أيزنهاور مدة ستة أسابيع وهو في عمل مستمرّ لإنهاء الاستعدادات، واستكمال التخطيط للعملية عندما علم أن كبير الدبلوماسيين الأمريكيين في شمال أفريقيا (المستر روبرت ميرفي)[1]

= الفظاظة، وكثيراً ما سبّبت له هذه الصراحة متاعب مع زملائه الإنكليز، بأكثر من متاعبه مع الأمريكيين. وعيبه الوحيد أنه خجول لا يعرف كيف يقوم بالتعريف عن نفسه. ولما كنت أعرفه جيداً، فقد احترمت فيه قلبه الكبير وشجاعته. ولا يستطيع أقسى المتحاملين عليه نقداً وتجريحاً إلّا أن يعترف له بعظمة الدور الذي اضطلع به حين وجّه للجيش الألماني الضربة القاتلة في تونس» (حرب صليبية في أوروبا - ص ٥١ - ٥٢).

(١) حرب صليبية في أوروبا - ص ٥٣. وفيه ما كتبه أيزنهاور عن (المستر روبرت ميرفي): «كان المستر ميرفي قد أقام طويلاً في شمال أفريقيا - وهو يعمل مبشراً بروتستانتياً - وذلك قبل أن يستدعيه الرئيس روزفلت ليجعله موضع ثقته، ويخبره عن النوايا الحربية التي اعتمدها الحلفاء في تلك المنطقة، فجعل همّه وهمّ مساعديه =

سيقوم بزيارة قريبة جداً للندن من أجل إطلاع (أيزنهاور) على حقيقة الموقف على مسرح أفريقيا الشمالية، وتقديم معلومات هامّة عن التيارات المختلفة في وسط الجيش الفرنسي، والاتجاهات لدى المواطنين العرب. ولقد أحطيت زيارة المستر ميرفي لمركز قيادة أيزنهاور في لندن بالحيطة والسريّة، واتخذ اسماً مستعاراً، وإرتدى ثياباً عسكرية، وحمل رتبة عميد، وذلك خلال رحلته من واشنطن إلى لندن، واستقبله أيزنهاور في ضاحية من ضواحي لندن، وأنزله بضيافته لمدة أربع وعشرين ساعة، عاد بعدها إلى واشنطن.

أخذ أيزنهاور من (ميرفي) أسماء الضبّاط الفرنسيين الموالين للحلفاء والذين كانوا على استعداد لدعم القوّات الأمريكية ومساعدتها. كما عرف أيزنهاور ميول رجال الجيش خاصة، واتجاهات المواطنين من العرب المسلمين. وذكر (ميرفي) أن أكبر مقاومة ستواجه الأمريكيين هي مقاومة (الجنرال أوغست نوغس) في المغرب ـ مراكش ـ حيث كان هذا الجنرال يشغل منصب وزير خارجية ملك المغرب. وقد شملت المعلومات التي قدّمها (ميرفي) للجنرال أيزنهاور، معلومات عن

= منذ ذلك اليوم، الاتصال بالرأي العام لجمع المعلومات ومعرفة ما خفي من النوايا والأهداف، واكتشاف الأشخاص الذين يضمرون العداء والحقد ضد ألمانيا وإيطاليا ـ المحور ـ ولكنهم لا زالوا في مراكزهم الإدارية أو العسكرية مدفوعين بواجب الولاء للسلطة القائمة في فرنسا، وليس من قبيل الإخلاص. وقد نجح ميرفي في عمله نجاحاً كبيراً بفضل ما توافر له من اللياقة والذكاء، وبفضل معرفته للّغة الفرنسية وإتقانها حتى كأنه واحد من أبناء فرنسا. وكان عمله في التبشير يضمن له الغطاء اللازم للتجوّل بحرية والإتصال بمن شاء، دون أية شبهة».



«روبرت مورفي»، عين «الولايات المتحدة» في مدينة «الجزائر» وأذنها، في حديث مع الجنرال الأميركي «مارك كلارك» في «لندن».

القوّات والتشكيلات الفرنسية في أفريقيا، وما يتوافر لها من الوسائط القتالية، ومستوى تدريبها، ومناطق معسكراتها، وما لديها من الطائرات والسفن الحربية. أما بالنسبة للمستوطنين الفرنسيين في الجزائر فكانوا يقفون على الحياد، فلا هم أصدقاء مخلصون، ولا هم أعداء موتورون.

وقد تبيّن لأيزنهاور نتيجة ما حصل عليه من معلومات أنه إذا ما صمّم الفرنسيون على المقاومة، فستقع معهم معركة دامية رهيبة. أما إذا ما انحازوا إلى جانب القوّات الأمريكية، فإنه سيكون بالمستطاع

احتلال الأهداف بسهولة، ومن ثم الاندفاع بسرعة لاحتلال تونس، والهجوم على رومل وقواته من المؤخرة.

اقترح المستر ميرفي على الجنرال أيزنهاور إرسال أحد مساعديه من الضبّاط للاتصال بأصدقاء أمريكا من القادة الفرنسيين في شمال أفريقيا، للاطلاع على نواياهم، والاتفاق معهم على ما يجب عمله. وتطوّع للقيام بهذه المهمة عدد من هيئة أركان حرب أيزنهاور، وتولّى قيادتهم الجنرال (ماك كلارك ـ مساعد أيزنهاور ـ). وأُحيطت العملية بنطاق مُحكم من السرّية، وقامت طائرة وغواصة بنقل الوفد الذي وصل سالماً إلى الجزائر. وجرت الأمور بنجاح وفقاً للخطة المرسومة ولكن الشبهات سرعان ما أحاطت بالمتعاونين مع الأمريكيين ـ من الفرنسيين ـ ولو لم يسرع ماك كلارك ومساعدوه إلى الاختفاء وركوب الغواصة لجرى اعتقالهم، واضطر عدد من الذين أظهروا رغبتهم في التعاون مع الأمريكيين، للاختفاء والهرب. وعاد الوفد وفي جعبته معلومات على غاية الأهمية، ومنها التأكيد على ما ذكره (ميرفي) من احتلال الحكومة الأمريكية لمركز مرموق في أنظار الفرنسيين، وذلك بالمقارنة مع كراهية هؤلاء الفرنسيين للإنكليز، ومقتهم لهم نتيجة ما سبق وقوعه من صدامات بين الطرفين.

قام أيزنهاور باطلاع رئيس الوزراء البريطاني ـ تشرشل ـ على ما توافر له من معلومات، فأظهر تشرشل اهتمامه، وأصدر أمره بإجراء العملية بطابع أمريكي كامل حتى يساعد على نجاحها، وقرّر أن ترتدي الوحدات البريطانية الثياب والشارات الأمريكية.

كانت الحماسة للعمل تتزايد يوماً بعد يوم، مع اقتراب موعد الغزو، وأُجريت المناورات وتدريب الجنود والبحّارة على الشواطىء الغربية لاسكوتلندا، حيث تم إنزال القوّات إلى البحر ثم الصعود إلى الشاطىء في بحر عاصف وجو قاتم، ولقد أشرف أيزنهاور على التدريب والمناورات، ولاحظ القادة وجود نقص في التدريب، وقصوراً في الأداء، فتمّت إعادة التمارين، ولكن دون الاضطرار لتأخير الموعد المحدّد للعملية، إذ كان من المتوقع القيام بأداء أفضل عندما تبدأ العملية الحقيقية.

وعلم أيزنهاور ـ من أحد قادة القوّات الأمريكية ـ أنه استلم مؤخراً كمية من مدافع البازوكا، والتي اعتبرت يومها أنها أفضل سلاح في يد جند المشاة ضد الدبابات.

ورجع أيزنهاور بذاكرته إلى ما كان عليه موقف أمريكا أيام السلم، وقارن ذلك مع ما وصل إليه الأمر من نشاط محموم في إنتاج أفضل الأسلحة والأكثر فاعلية، ولكن وصول هذه الأسلحة قد جاء متأخّراً، حتى أن القائد الذي تسلّم الأسلحة أعلن عن تذمّره لأنه لم يتمكن من تدريب جنده على استخدام السلاح الجديد، وقال: «إني أنا لا أعرف إلّا القليل عن البازوكا، وفاعليتها ضد الدبابات». ولكن لا بأس. فقد كان على هذا القائد وجنده ركوب البحر في اليوم التالي، وسيتم التدريب على أرض المعركة.

أقام أيزنهاور نظام التعاون بين القوّات على أُسس جديدة، وقد تلقّى خلال عمله تحذيرات كثيرة عن قيادة وحدات مشتركة إنكليزية ـ

أمريكية، وذلك بعد تجارب التعاون السابقة بين الإنكليز والفرنسيين (سنة ١٩٤٠). وقد أعرض أيزنهاور عن سماع كل تحذير قدمّه له أحد المتشائمين، أو اقتراح طرحه عليه أحد الانهزاميين، وساعده على ذلك ما لمسه بنفسه من صدق المتعاونين معه والعاملين تحت قيادته من القادة الإنكليز، ومنهم على سبيل المثال الأميرال السير أندرو كونهام الذي عيّنته القيادة الإنكليزية في رئاسة العمليات البحرية المشتركة ـ في أوائل فصل الخريف سنة ١٩٤٢ ـ، وعندما تعرّف عليه أيزنهاور للمرّة الأولى، وجد فيه قائداً من طراز أميرال البحر البريطاني الشهير (نلسون). فهو يعتقد بأن السفن لا تسير فوق سطح الماء إلاّ من أجل غاية واحدة: هي اكتشاف سفن العدو وإغراقها، وهو لا يفكر إلاّ بالهجوم. إنه رجل قوي وصعب المراس، ذكي ومستقيم، وهو مع كل صلابته يمتاز بشيء من الجاذبية مما حمل الذين عرفوه من جميع الرتب ـ سواء كانوا من الإنكليز أو الأمريكيين ـ على تقديره واحترامه ومحبّته. وقد تأكّدت فراسة أيزنهاور بهذا الأميرال خلال العمل المشترك، وحفظ له موقفه الذي ترك في نفسه أثراً لا يُمحى، عندما طلب إليه في خريف سنة ١٩٤٣ إرسال بعض سفن الأسطول الإنكليزي مع قوة من الجند إلى مرفأ تورنتو الإيطالي، والذي أشيع أنه قد زُرع بكثير من الألغام، فما كان من كونهام إلاّ أن قبل ركوب المجازفة على الفور، وقال لأيزنهاور: «يا سيدي! إن أسطول جلالته هنا ليصدع لأوامرك، وليذهب إلى حيث تشاء». فهل كان باستطاعة أيزنهاور أن يشكّ بعدما لمسه من صدق المشاعر، ومن الولاء والإخلاص للقضية المشتركة، بإمكانية تحقيق التعاون بين القوّات المشتركة.

٥ ـ مرصد القائد في جبل طارق

انتهت الاستعدادات، ولم يبق لأيزنهاور ما يفعله في لندن، فقرّر مغادرتها والانتقال إلى جبل طارق، وأشاع أنه ذاهب إلى واشنطن من أجل خداع رجال الصحافة، وأجهزة الجاسوسية المعادية، وساهم الرئيس روزفلت بنشر تلك الإشاعة حيث أعلن أنه أرسل بطلب أيزنهاور إلى واشنطن، ثم ركب أيزنهاور ومعاونوه وأجهزة القيادة خمس قلاع طائرة يوم ٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ سنة ١٩٤٢، ووصل الجميع بسلام إلى قاعدة جبل طارق، حيث استقبلهم حاكمها الجنرال ماسون ماكفرلسن، وأبدىٰ الكثير من حسن الضيافة، وأنزل ضيوفه في دار الحكومة. وبعد أن أخذ أيزنهاور قسطاً من الراحة، توجّه إلى مركز قيادته في قلعة جبل طارق، ووافاه إلى هناك الأميرال كننهام الذي سافر من لندن على متن طرّاد سريع. وأخذ أيزنهاور وقادته في دراسة التقارير عن العملية، وعن حالة الطقس، مع إعادة مراجعة عامة لكل ما سبق اتخاذه من إجراءات وما يجب اتخاذه من تدابير.

كان مقرّ قيادة أيزنهاور في جبل طارق، مظلماً ومقفراً، ولم يكن فيه مكان لاستيعاب المكاتب إلاّ في الممرّات السفلى تحت الأرض. وكانت الظلمة تكتنف الدهاليز، إلاّ من بعض أشعة القناديل الكهربائية. وكانت الدهاليز رطبة، والبرودة فيها مضنية حتى أن المراوح الكهربائية لم تتمكن من تحريك الهواء فيها. وزاد الأمر سوءاً بسبب رشح المياه عبر أقواس الدهاليز وقناطرها القديمة، حيث كان وقع النقاط المتساقطة يحدث أصواتاً مزعجة ذات لحن رتيب. وكانت هذه

الأصوات كافية لإحداث الاضطراب في تفكير أي إنسان مهما بلغ من الهدوء والسيطرة على الذات.

ولم يكن باستطاعة أيزنهاور اختيار مقرّ أفضل من هذا لقيادته، نظراً لحاجته للبقاء على مقربة من قادة القوىٰ البرية والبحرية والجوية المشتركة في عملية غزو أفريقيا، كما أنه لم يكن للحلفاء، في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢، أية بقعة من الأرض في جميع أنحاء أوروبا الغربية، وفي النصف الغربي من البحر الأبيض المتوسط، سوى منطقة جبل طارق، فهي حقاً القلعة التي جعلت غزو شمال غربي أفريقيا ممكناً، لأن غزواً برمائياً في العصر الحديث يحتاج قبل كل شيء للحماية الجوية. وكان مطار جبل طارق الصغير قبل الغزو مزدحماً بصورة عجيبة، حتى لم يبقَ فيه شبر واحد من الأرض إلَّا وغطته إما طائرة (سبيتفاير) أو برميل زيت، وكان ذلك جميعه عرضة لطائرات الاستطلاع الألمانية. وكان من الصعب العثور ولو على طريقة واحدة لإخفاء هذا الحشد الكبير، والأسوأ من ذلك كان وقوع القاعدة على تخوم الحدود الأسبانية، يفصلها عنها حقل ضيق من الأسلاك الشائكة فقط.

وكانت سياسة أسبانيا يومها متعاطفة مع ألمانيا، ولهذا لم يكن مستبعداً، أن تكون عيون عملاء المحور شاخصة لمراقبة ما كان يحدث على أرض القاعدة، فكان من المتوقع أن تظهر القاذفات الألمانية في كل لحظة لتدمرّ بقنابلها قوّات الغزو ووسائطها. وكان هذا الهاجس يؤرق أيزنهاور عندما كان يريد الاسترخاء والنوم، ويفكر في الأسباب

التي منعت الألمان من الهجوم على قوّات الغزو، فلا يجد سبباً إلّا تحقيق النجاح في إخفاء خطة الغزو.

ولا ريب أن القيادة الألمانية التي عرفت ازدحام قوافل السفن أمام مضيق جبل طارق، قد اعتقدت أن هذه القوافل لا تمثّل أكثر من محاولة جريئة لإمداد مالطا التي كانت معزولة عن كل إمداد وتموين. ولقد كان الخطر الجاثم على قوّات الغزو مصدراً للقلق والتوتر، ولكن على الرغم من ذلك، فإن أيزنهاور وجهاز قيادته لم يفقدوا روح المرح والشعور بالبهجة خلال تلك الساعات العصيبة، وهم في مرصدهم في جبل طارق. فقد كان الشعور باقتراب ساعة الصفر، وانتهاء مرحلة الانتظار والإعداد الطويلة، كافياً لتبديد قلق الرجال الذين شرعوا في تنفيذ المهمة الحاسمة، وهي المهمة التي نذروا أنفسهم لها، والتي كانت بحق أول عملية هجومية للحلفاء، إذ اقتصرت العمليات التي سبقتها على القتال الدفاعي - باستثناء تلك الاندفاعات التي قام بها البريطانيون في الصحراء، والتي كانت بدورها معارك كرّ وفرّ ما بين العلمين والبردية، ولم تصمد قوّات الحلفاء حتى في الدفاع واضطروا للانسحاب من دونكرك وباتان وهونغ كونغ وسنغافورة وطبرق. وإذن فلا غرابة إن هيمن جو من الحبور والبهجة على أيزنهاور وجهاز قيادته، وهم يتابعون مرور الساعات القليلة التي باتت تفصلهم عن ساعة الصفر.

قام أيزنهاور بجولة تنقّل خلالها بين القوافل، وقد كانت بعض السفن تسير مسرعة، في حين كانت سفن أخرى تسير متمهّلة، وجميعها تندفع من شمال الأطلسي نحو أهدافها المحددة لها على

شواطىء أفريقيا الشمالية الغربية، وكان عليها عبور مضيق جبل طارق للوصول إلى الجزائر ووهران، فكانت جنباتها معرّضة لفوهات المدافع التي قد تقذف حممها في أية لحظة لمصلحة النازيين، بينما كانت سفن أخرى قادمة مباشرة من الولايات المتحدة ومتجهة نحو الدار البيضاء وسواها من المرافىء القريبة المجاورة لها على شواطىء الأطلسي.

عاد أيزنهاور من جولته إلى مرصده، وسار عبر دهاليز مقرّ قيادته، ولم يكن هو أو أحد من عناصر قيادته يشعر بالقلق بسبب انشغالهم جميعاً بمتابعة العمل، والتفكير فيما قد يعترض التنفيذ من عقبات مباغتة.

وبدأت السفن انطلاقتها ليلاً، وما هي إلاّ فترة حتى وصلت إلى أيزنهاور برقية تعلمه بغياب الغوّاصات والطائرات الألمانية، وأيقن أيزنهاور أن القيادة الألمانية قد احتفظت بطائراتها وغوّاصاتها للانقضاض على قوافل سفن الحلفاء عند اقترابها من مالطا. وكانت السفن الناقلة للقوّات، من أجل الهجوم على الدار البيضاء، قد صادفت عاصفة هوجاء منعتها من الاقتراب من الشاطىء، فكان لا بد لها من البقاء في عرض البحر والقيام بجولات قصيرة في أماكنها، وكان ذلك يجعلها هدفاً سهلاً للغواصات الألمانية أو الطائرات القاذفة. وكاد أيزنهاور يصدر إليها الأمر بالتوجّه نحو قاعدة جبل طارق، عندما وصلته برقية ـ في الفجر ـ تقول إن العاصفة قد أخذت بالإبتعاد، وأنه قد بدأت عملية الإنزال بنجاح. وجثا أيزنهاور على ركبتيه شكراً للّه أن بدّد مخاوفه، ووضع حداً لقلقه.

وهكذا أشرقت شمس يوم ٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ على يوم جديد، يختلف عن سواه من الأيام. فقد غصّ البحر بما يحمله من السفن، وبدأت موجات متلاحقة من الجند بالتقدم عبر الشاطىء. ووصل إلى أيزنهاور أول تقرير محزن؛ فقد أصيبت السفينة (توماس ستون) بطوربيد وهي تتجه إلى الجزائر، وعلى مسافة تبعد ١٥٠ ميلاً عن المدينة. وشعر أيزنهاور بالغمّ والكدر، وانتابه القلق على مصير جنود المشاة الذين كانت تحملهم السفينة والذين كان عددهم كبيراً. غير أن قلق أيزنهاور سرعان ما تبدّد عندما وردته برقية أخرى تعلمه أن الإصابة قد عطّلت السفينة ولكنها لم تغرقها، وأن سفن الحراسة قد أخذت على عاتقها نقل جند المشاة إلى الجزائر، وأن تأخير وصولهم عشرين ساعة لن يؤثّر على مجرى العملية.

كانت قيادة الحلفاء في لندن تعتقد أن (الجنرال جيرو)[1] يستطيع أن يحمل الجيش الفرنسي في شمالي أفريقيا على الانحياز إلى جانب قوات الحلفاء. وعلى هذا فقد كلّف أيزنهاور المستر مورفي بمحاولة إنقاذ الجنرال من سجنه في جنوبي فرنسا. ونجحت المهمة بفضل أصدقاء أمريكا من الفرنسيين فهرب الجنرال جيرو من سجنه ليلاً، ووصل إلى الشاطىء حيث كانت تنتظره إحدى الغوّاصات الإنكليزية

(١) الجنرال جيرو: (GIRAUD- HENRY)، جنرال فرنسي، ولد في باريس (١٨٧٩ ـ ١٩٤٩). تولى سنة ١٩٤٠ قيادة الجيش الفرنسي السابع، ثم قيادة الجيش التاسع، وألقي به في السجن بعد انتصار ألمانيا على فرنسا، وساعده الحلفاء على الهرب من فرنسا إلى الجزائر، ثم اشترك مع الجنرال ديغول في حكم فرنسا بعد تحريرها من الاحتلال الألماني.

بقيادة الكابتن رايت من البحرية الأمريكية، فحملته إلى مكان محدّد في عرض البحر حيث التقطته إحدى السفن الأمريكية الطائرة، وحملته مع ثلاثة من معاونيه إلى مقرّ قيادة أيزنهاور. وما إن وقع بصر أيزنهاور عليه، حتى وجد فيه جندياً كاملاً رغم أنه كان يرتدي الثياب المدنية. فهو إنسان طويل القامة (٦ ـ أقدام تقريباً) منتصب القوام، جريء، تظهر عليه علامات الخشونة، لم تنتقص من هيبته ما علقت بثيابه من الأوساخ والأوحال، ولا ما مرّ عليه من تجارب مريرة في أثناء الحرب، وما عاناه من سجن، وبقي محتفظاً بوقاره، وبمضاء عزيمته.

وما إن بدأ أيزنهاور حديثه معه، حتى تبيّن له أنه أساء فهم الغاية التي تمّ إخراجه من فرنسا من أجلها، فتوهّم أنه سيستلم القيادة العامة لجيش الحلفاء الذي سيهاجم أفريقيا، وقال بصراحة إنه غير مستعد، بعدما تجشمه من متاعب، وما تعرّض له من أخطار، أن يقبل مركزاً أقلّ من ذلك. وبدهي أنه لم يكن باستطاعة أيزنهاور قبول خدماته بهذا الشرط، وأعلمه أن القصد من الاستعانة به هو إرساله إلى أفريقيا لاستلام قيادة الفرنسيين فيها ممن يرغب في الانضمام إليه والعمل تحت قيادته للقتال إلى جانب قوّات الحلفاء. وأطلعه أنه لولا الخوف من الصدام مع الفرنسيين الذين يعتبرهم الأمريكيون أصدقاء لهم، لما تمّت الاستعانة به، لأن العدو الحقيقي هو ألمانيا، وهو العدو الذي أذلّ كبرياء فرنسا العظمىٰ، ولا يزال جاثماً على صدرها، فما أخلق به أن يعمل لتسهيل عملية الانتصار على العدو المشترك.

وأجاب جيرو بجرأة: «لا يسمح لي شرفي الشخصي ولا شرف فرنسا بقبول أقل من القيادة العامة».

وأجـابه أيـزنهاور: «**إنه من المحـال تعيين أي قـائد عـام بقرار شخصي، إذ أن تعيين القائد العام قد تمّ بعد مباحثات ومشاورات من قِبل حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا، ثم إنه ليس هناك من يقبل الخضوع لأوامره من الضبّاط والجنود، لا سيّما وأنه لا يوجد بين قوات الحملة ولو جندي فرنسي واحد. ثم إن هناك خوف من عداء الفرنسيين، فكيف يمكن تسليم القيادة إلى فرنسي؟**».

وردّ الجنرال جيرو: «**لا يستطيع الجنرال جيرو قبول مركز ثانوي في هـذه القيادة، لأن مـواطنيـه لا يـريـدون منـه أن يلطّخ شرفـه العسكري**».

وكان موقف جيرو مثيراً للشفقة لا سيما وأنه ترك عائلته رهينة في قبضة الألمان، كما أنه، هو ذاته، قد تعرّض للمتاعب والأخطار حتى يتعاون مع الحلفاء، ولكن ليس بالشكل الذي كان أيزنهاور قد حدّده له.

تدخّل المستشاران السياسيان للجنرال أيـزنهاور في الحملة، وهما المستر فريمان مانيوس من وزارة الخارجية الأمريكية، والمستر وليم ماك من وزارة الخارجية البريطانية، فاقترحا على أيزنهاور تسمية الجنرال جيرو قائداً عاماً بالإسم، مـع احتفاظ أيـزنهاور بالقيـادة الفعلية، اعتقاداً منهما أن اسم (الجنرال جيرو) قد يحوّل الموقف من كارثة محتملة إلى نصر مبين. ولكن الجنرال أيـزنهاور رفض الاقـتراح، وتمسّـك بموقفه، وقال بأنه إذا لم يقبل الجنرال جيرو برأيه، فإن الحملة ستسير حسب الخطة المحددة لها. واستمرت المباحثات إلى ما بعد منتصف

الليـل، ولكن دون جـدوى. ونهض الجنـرال جـيرو، وقـد قـرر الانصراف، وودّع أيزنهاور بقوله: «**سيتخذ الجنـرال جيرو مـوقف المشاهد من العمليـة**»، على أنـه استدرك فـأظهر استعـداده لمقابلة أيزنهاور في الصباح.

ومضى أيزنهاور لمتابعة عمله، وأرسل تقريراً مفصّلاً عن مقابلته مع الجنرال جيرو إلى القيادة العامة. وجاءه الجواب بأن القيادة توافق على كل ما قاله، وأنها تأسف لما أضاعه من الوقت في هذه القضية التافهة.

أما الجنرال جيرو، فقد أمضى ما بقي من ساعات الليل مفكراً في المـوقف. وعندمـا أقبل صبـاح اليوم التـالي (يوم ٨ تشرين الثـاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢) توجّه لزيارة أيزنهاور، وأعلمه أنه مستعدّ للقبول بما عرضه عليه. وأظهر أيزنهاور سروره، ووعد جيرو بأنه إذا ما نجح فيما انتدب من أجله، فإنه سيعمل على تعيينه حاكماً إدارياً وعسكرياً للمنطقة كلها وذلك حتى يحين الموعد الذي يستطيع فيه السكان هناك ـ العرب المسلمون ـ أن يقرّروا مصيرهم بأنفسهم.

كان أيزنهاور قد أخذ في استلام التقارير طوال الليل عن تطورات عمليات الإنزال. وعرف في الصباح أنه قد تمّ احتلال الجزائر، وفقاً للخطة الموضوعة، ودون مقاومة تذكر، وذلك بفضل الاتصالات التي قام بها المستر ميرفي مع القادة الفـرنسيين ومـع (الجنرال جـوان)[1]

---

(١) الجنرال جوان: (JUIN - ALPHONSE PIERRE) وُلد في مدينة بونة في الجزائر (إقليم قسطينـة) سنة ١٨٨٨. وتولى قيادة القوّات الفرنسية في أفريقيا الشمالية سنة ١٩٤٢، ثم قاد الفيلق الفرنسي في الحملة الإيطالية سنة ١٩٤٤ وقاتل إلى =

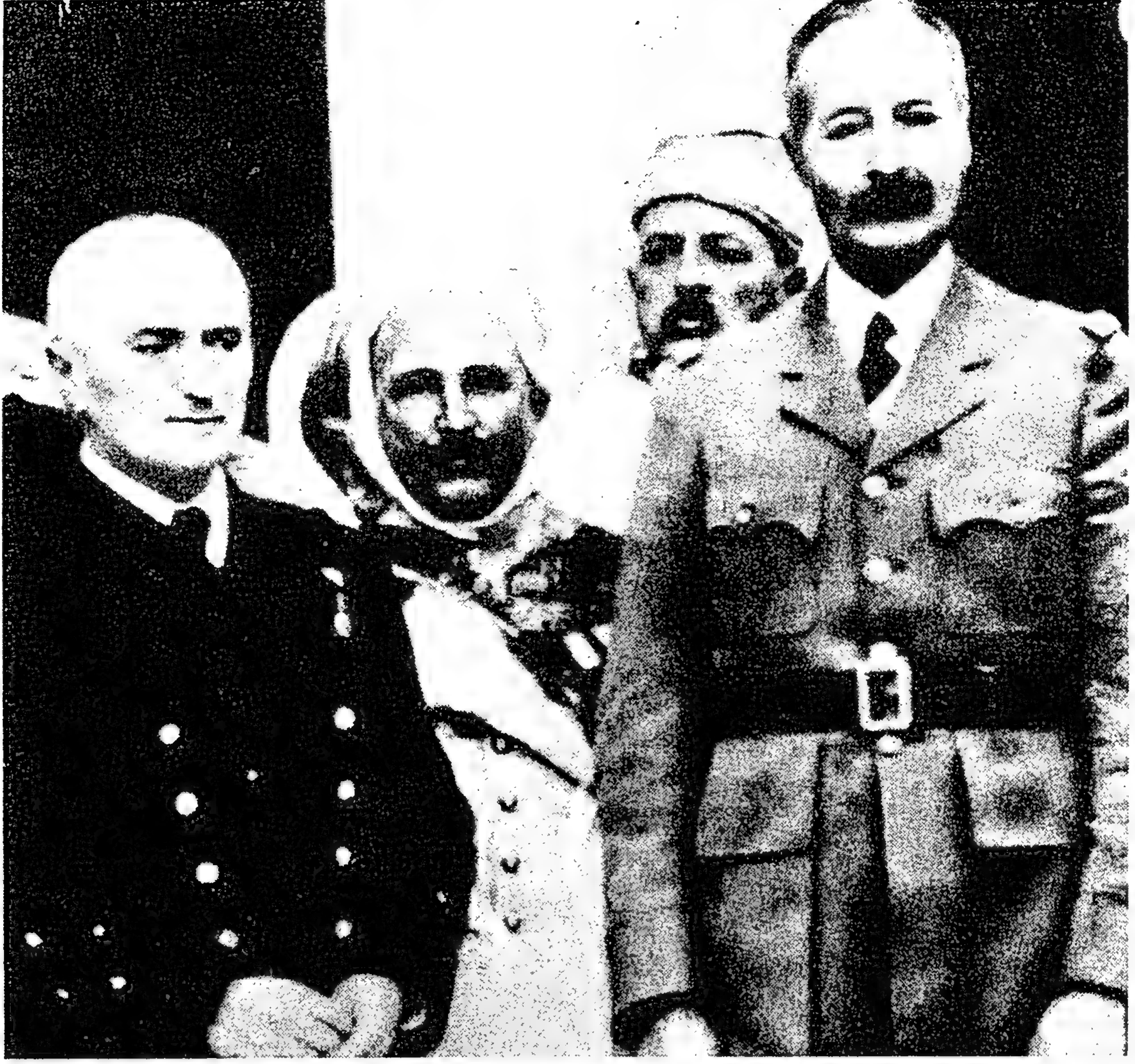
بصورة خاصة، وبات لزاماً التفكير في المرحلة التالية وهي الاندفاع نحو تونس.

أما في وهران فقد استطاعت قوات الإنزال الوصول إلى البرّ، غير أنها اصطدمت بالمقاومة الشديدة من جانب البحرية الفرنسية. غير أن الموجات الأولى من قوّات الغزو خاضت معركتها بجرأة شديدة، ودعمتها الفرقة المدرّعة الأمريكية الأولى، مما حمل الفرنسيين على إظهار استعدادهم في اليوم التالي لدخول المفاوضات من أجل وقف القتال. وتوقف إطلاق النار يوم ١٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢.

بقي الموقف على الجبهة الغربية ـ قرب الدار البيضاء ـ غامضاً، لا سيما في خليج ليوتي، ولقد جابه الجند هناك صعوبات في الإنزال، فبعد أن ابتسم لهم البحر، وسمح لهم بالإنزال، عاد فأعلن عن غضبه، وبدأ هياج الموج في منع كل دعم بالقوى والوسائط للقوّات التي نجحت في الوصول إلى البر خلال فترة سكون البحر، ثم انقطعت الأخبار من هناك عن أيزنهاور. وكانت الاتصالات اللاسلكية مشوشة للغاية، فحاول الاتصال بالجنرال باتن ـ باتون ـ بواسطة الطائرات الخفيفة غير أن المقاومة الفرنسية أسقطتها، وعندها طلب إلى الأميرال كننهام إعارته سفينة سريعة، للقيام بالمهمة، وأرسل أحد معاونيه على متن هذه السفينة لاستطلاع الموقف.

أرسل أيزنهاور معاونه ـ الجنرال كلارك ـ برفقة الجنرال جيرو، جواً

= جانب الحلفاء. وعيّن مقيماً عاماً في المغرب سنة ١٩٤٧، ثم أصبح مفتشاً عاماً للقوّات الفرنسية، وقائداً للقوّات البرية في قطاع أوروبا الوسطى سنة ١٩٥١.



الجنرال «جيرو» (إلى اليمين) والأميرال «دارلان» في مدينة «الجزائر»، في تشرين الثاني ١٩٤٢.

إلى مدينة الجزائر، يوم ٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ، بهدف عقد اتفاقية مع المسؤولين الفرنسيين للتوقف عن القتال، وانضمام الجيش الفرنسي إلى قوّات الحلفاء للقتال ضد الألمان. غير أن الفرنسيين استقبلوا جيرو ببرود تام، وتجاهلوه كلياً. ولما حاول الاتصال بهم عن طريق الإذاعة، ليخبرهم بأنه عينّ قائداً أعلى للقوّات الفرنسية في شمال أفريقيا، ودعاهم، بناء على الصلاحيات المعطاة له، إلى أن يتوقفوا عن مقاومة الحلفاء والانضمام إليهم، لم يستمع إليه أحد، وكان ذلك ضربة شديدة لآمال أيزنهاور وآمال الحلفاء الذين توقعوا أن يكون (الجنرال جيرو) ذا فائدة كبيرة لهم.

ولعل من أسباب فشل (جيرو) في مهمته، وجود (الأميرال دارلان)[1] يومها ـ مصادفة ـ في مدينة الجزائر، حيث جاء ليعود ابنه المريض فيها. وكان وجود الأميرال دارلان ضربة حظّ، فقد بات أسيراً في قبضة القوّات الأمريكية.

وهنا واجهت أيزنهاور مشكلة جديدة: تراه ماذا سيفعل بدارلان؟ هل يلقيه بالسجن؟ ولكن كيف يسيء معاملته، وباستطاعته إعطاء الأوامر للأسطول الفرنسي في مرفأ طولون ومرفأ (داكار)[2] لينضم إلى الحلفاء وعندها تزول من أمام قوّات الحلفاء عقبة خطر تتهددهم في البحر الأبيض المتوسط؟. وتذكر أيزنهاور ما قاله له تشرشل عندما كان في لندن: «**لو تسنّى لي أن ألتقي بدارلان، ومع شدّة كرهي له، لزحفت مسروراً على يدي ورجلي مسافة ميل، أملاً بأن أتمكن من كسب أسطوله إلى صفوف الحلفاء**».

إن وجود دارلان في قبضة أيزنهاور قد فتح له فرصة جديدة، ذلك أن الضبّاط الفرنسيين كانوا على قناعة بوجوب التصرّف على أساس الشرعية والقانون، وكثيراً ما ذكروا أن قبولهم لوقف القتال مرتبط بصدور الأمر عن السلطة الشرعية، فإذا تلقّوا الآن أمراً من رئيسهم الشرعي دارلان بوقف القتال، فإن ذلك سيكون حجة شرعية

---

(١) الأميرال دارلان: (DARLAN - FRANÇOIS) أميرال فرنسي، ولد في نيراك (NÉRAC) (١٨٨١ ـ ١٩٤٢). اغتيل في الجزائر، حيث كان نائباً لرئيس الحكومة بيتان في الجزائر سنة ١٩٤١، ثم قائداً أعلى للقوات البرية والبحرية الفرنسية سنة ١٩٤٢.

(٢) داكار: (DAKAR) عاصمة السنغال، ولها ميناء هام على المحيط الأطلسي.

لانضمامهم لقوات الحلفاء.

وقد تأكّدت هذه الحقيقة من خلال اتصالات ـ الجنرال ماك كلارك ـ حيث رفض كل قائد فرنسي قابله الانضمام مع جنوده إلى قوّات الحلفاء، إلّا إذا تلقّى بذلك أمراً من السلطة، لأن الجميع قد أقسموا يمين الولاء والإخلاص (للماريشال بيتان)[1] ذلك الإسم الذي نزل منهم في شمال أفريقيا منزلة القداسة، ولم يشعر أحد منهم بأنه في حل من القسم الذي التزم به، إلّا إذا تلقّىٰ أمراً من الأميرال دارلان، قائدهم الشرعي الذي يمثّل بيتان.

وقد أرسل ـ كلارك ـ برقية إلى الجنرال أيزنهاور يوم ١٢ تشرين

---

(١) بيتان: (PÉTAIN - PHILIPPE) ماريشال فرنسا. ولد في كوشي لاتور (CAUCHY - LA - TOUR) من إقليم بادوكاليه (PAS - DE - CALAIS) (١٨٥٦ ـ ١٩٥١). تولى سنة ١٩١٦ قيادة الدفاع عن فردان ضد الألمان. وأصبح في أيار ـ مايو ـ سنة ١٩١٧ قائداً لجيوش الشمال والشمال الشرقي، ورفع إلى رتبة ماريشال سنة ١٩١٨. وعيّن وزيراً للحرب سنة ١٩٣٤، ثم سفيراً لفرنسا في مدريد سنة ١٩٣٩. وأصبح رئيساً للدولة الفرنسية خلال فترة الاحتلال الألماني لفرنسا. وقد رفض إقامة مقرّ حكومته في باريس المحتلّة، وجعل مقره في مدينة فيشي (VICHY) من سنة ١٩٤٠ حتى سنة ١٩٤٤، ولهذا أطلق على حكومته اسم الفيشيين. ودخلت حكومته في صراع مع حكومة فرنسا الحرة التي شكّلها الجنرال ديغول في إنكلترا. وقد اعتبر الفيشيون أن الديغوليين هم عصاة متمردين بينما اعتبر الديغوليون أن الفيشيين هم خونة لتعاونهم مع الألمان النازيين. فلما دخل الحلفاء باريس، وتولى ديغول السلطة فيها، حُوكم بيتان وحكم عليه بالإعدام يوم ١٥ آب ـ أغسطس ـ سنة ١٩٤٥، ولكن هذا الحكم استبدل بالنفي ـ الإبعاد ـ مدى الحياة نظراً لكبر سنّ بيتان، ونظراً لماضيه المجيد، فقضى بقية أيام حياته في جزيرة يو (YEU).

الثاني ـ نوفمبر ـ ذكر فيها: «بأن دارلان هو الفرنسي الوحيد الذي يمكن له تأمين التعاون مع الأمريكيين في شمال أفريقيا». وأيقن أيزنهاور عندها أنه يجب عليه مجابهة القضية ومعالجتها دون الرجوع إلى واشنطن ولندن، وذلك بهدف كسب الوقت وتوفير الدماء والجهد، وتجنباً لتحكم العداء إذا ما استمر الصراع لفترة أطول بين الأمريكيين والفرنسيين، بحيث يصعب بعدها تحقيق أي تعاون بين الطرفين، ثم إن القضية هي قضية عسكرية بالدرجة الأولى. وكان لدى أيزنهاور تفويض للتعاون مع أية سلطة ـ أو حكومة ـ فرنسية في أفريقيا الشمالية. وعلى هذا اتخذ أيزنهاور قراره بمجابهة المشكلة، حتى لو كان ذلك سبباً في إنهاء خدمته. وكان أيزنهاور يدرك جيداً أن التعاون مع أي سياسي فيشي يخلق نفوراً وإشمئزازاً، وردّ فعل سلبي، في كل من إنكلترا وأمريكا لدى كل من لا يعرف ويلات الحرب. وصمم أيزنهاور على أن يقصر تدخله على الناحية العسكرية المحلية فقط، وذلك دون النظر إلى المفاهيم والاتجاهات السياسية، فصحب الأميرال كننهام، واستقل الطائرة، وتوجّه إلى الجزائر يوم ١٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ، وعقد فور وصوله إليها مؤتمراً مع الجنرال كلارك وقنصل أمريكا العام ـ المستر ميرفي ـ اللذين أطلعا أيزنهاور على مجريات الأمور وتطوراتها، وأعلماه أن دارلان قد أصدر أوامره إلى جميع القادة الفرنسيين بوقف القتال، يوم ١٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ الأمر الذي دفع (بيتان) إلى إعلان براءته من دارلان، وصرفه من الخدمة، فحاول دارلان عندها إلغاء أمره السابق، لكن ـ كلارك ـ لم يسمح له. ثم وصلت الأخبار إلى الجزائر بأن الألمان قد

اجتاحوا جنوب فرنسا، فما كان من دارلان إلّا أن أعلن بأن الألمان قد خرقوا معاهدة سنة ١٩٤٠، ولذلك أصبح مستعداً لأن يتعاون بكل حرية مع الأمريكيين. وفي الوقت ذاته، فإن الجنرال جيرو الذي صدم بإعراض الفرنسيين عن الخضوع له، واتباعه قد بات مقتنعاً تماماً بأن دارلان هو الرجل الوحيد الذي يستطيع قيادة أفريقيا الشمالية إلى جانب الحلفاء. وعندما اجتاح الألمان جنوبي فرنسا ذهب إلى دارلان، وقدّم نفسه للتعاون معه. وعلم أيزنهاور أيضاً أن القتال قد توقّف في الدار البيضاء تنفيذاً لأوامر دارلان. وشرع أيزنهاور على الفور باتخاذ الترتيبات لعقد معاهدة مع الفرنسيين، وأجرى الاتصالات الضرورية، وأمكن الوصول بسرعة إلى هذه المعاهدة التي نصّت على تعاون الفرنسيين مع جيش الحلفاء، وأن يضعوا تحت تصرف أيزنهاور كل ما يسهل له مهمته لاحتلال الأمكنة الضرورية لنجاح عملياته العسكرية، بما في ذلك المرافىء والخطوط الحديدية والمطارات وطرق المواصلات البرّية، وذلك مقابل عدم تدخّل الحلفاء في شؤون البلاد وإدارتها الداخلية، والتي تولاها الأميرال دارلان الحاكم المدني والعسكري للمنطقة. ووافق دارلان على تعيين الجنرال جيرو على رأس قيادة القوّات العسكرية الفرنسية هناك.

واجهت أيزنهاور بعد اتفاقه مع الفرنسيين مشكلة ثانية، وهي أن سكان البلاد الأصليين، من العرب المسلمين، كانوا يتعاطفون مع نظام فيشي (بيتان) الذي قضى على كل نفوذ لليهود في أقطار المغرب العربي ـ الإسلامي، فإذا ما ثار هؤلاء ضد الحلفاء وتعاونوا مع الألمان، فإنهم يستطيعون تعريض قوّات الحلفاء للكارثة. فأعلن

أيزنهاور بأن احتلال شمال أفريقيا هو من أجل اتخاذها قاعدة في الحرب ضد هتلر، وليس لأهداف سياسية أو مطامع توسعية أو بسط نفوذ، وأن وجود الحلفاء قد تمّ بالاتفاق مع الحكومة الشرعية. والتزم أيزنهاور وعناصر قيادته في سلوكهم، النهج الحذر لتجنب كل ما من شأنه خلق الصعوبات.

كان من نتيجة الاتفاق مع دارلان أن أصبحت السنغال (أو أفريقيا الغربية الوسطى) تابعة بدورها للحلفاء. وقام أيزنهاور بالاتفاق مع حاكمها (بيير بواسون) بعقد معاهدة تعاون سمحت لقوات الحلفاء باستخدام موانىء السنغال وقواعدها الجوية.

بينما كان أيزنهاور غارقاً حتى أذنية في حل هذه المشكلات الشائكة، وصلته رسالة من رئيس أركان حربه، الذي تخلّف مؤقتاً في لندن، جاء فيها: «... بما أن عملية المشعل قد سارت بنجاح، فقد ورد اقتراح من المقامات العليا بالتوقف عن حشد القوىٰ والوسائط على مسرح شمالي أفريقيا، حتى يتسنى لنا التحضير للهجوم الرئيسي». وبوغت أيزنهاور، إلاّ أنه كان يعرف وجود الميل لدى بعض المسؤولين البعيدين عن الجبهة إلى التفاؤل بأي نجاح صغير يتم إحرازه. فأرسل على الفور ردّه الذي جاء فيه:

«إني أُعارض بشدّة أي إجراء تتخذونه بهذا الشأن، لأن الموقف لم يتضح بعد، بل على العكس، فلا زالت هناك مقاومة من جانب الفرنسيين، والشعب لا يعتبرنا أصدقاء له، وحالة المواصلات سيئة، فإذا لم ترسل إلينا قوّات الدعم بوفرة فإننا نصبح بحالة سيئة. وكان

لزاماً التحدّث عن الطـرق المناسبة لزيادة الإنتاج، وبحث الوسائل لدعمنا بدلاً من التحدّث عن إجراء تخفيض في الدعـم، وذلـك إلى أن يتم لنا تطهير أفريقيا الشمالية.

إن علينا أن نضع الخطط لعمليات المستقبل، ولكن لا بدّ لنا من متابعة الجهد وفق الترتيب السابق حتى نكمل العملية بعد الأخرى، تجنباً لأي فوضى أو اضـطراب. ولقد خسرنـا حتى الآن عدداً من السفن، ونحتـاج إلى طائـرات لاستخدامهـا في الاحتياط ولحـماية قوافلنا، وزيادة على ذلك، فإن خطر قيام الألمان بهجوم عن طريق أسبانيا لا زال قائماً. واعلموا أن الخوف لم يتسرّب إلى مخيلتي حتى أصبحت أخشى الأشباح، وأستنجد من الـذئب، ولكني أقول إذا كانت بدايتنا جيدة، فيجب لهـذه البدايـة أن تقودنـا للانـدفاع إلى الأمام، حتى لا تصاب البداية الناجحة بما يدمّرها ويقضي عليها».

لم يتـأخر ردّ الفعـل على إنـزال قوات الحلفـاء. وانطلق الألمـان لاجتياح تونس، وقاموا بإنزال وحدات لهم جواً، بعد ظهر يـوم ٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ. وبدأت قوّاتهم بالتدفق بسرعة إلى مسرح العمليات التونسي. وبات لزاماً على أيزنهاور التحرّك بسرعة لمجابهة الخطر القادم من الشرق.

ولقد كان الهدف الأول للغزو هو احتلال المرافىء والموانىء ما بين الدار البيضاء والجزائر، لمنع المحور ـ ألمانيا وإيطاليا ـ من استخدامها قواعد لغواصاته، وللزحف منها شرقاً من أجل الالتقاء مع القوّات البريطانية الزاحفة من الشرق.

وها هو الهدف قد تحقّق مع ما تم إنجازه من نجاح في المرحلة الأولى للغزو، وبات بإمكان أيزنهاور توجيه الجهد نحو الشرق للإطباق على قوّات المحور في شمالي أفريقيا من الغرب بينما تطبق القوات البريطانية من الشرق تحت قيادة السير هارولد ألكسندر لإعادة فتح طريق البحر الأبيض المتوسط لسفن الحلفاء.

٦ ـ إدارة الحرب في تونس

بدأ الجيش الثامن هجومه بقيادة الجنرال السير مونتغومري، فانطلق من العلمين، يوم ٢٣ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٢، واستطاع إلحاق الهزيمة بقوّات المحور، ثم مضى في أعقاب القوات الألمانية الإيطالية خلال مرحلة انسحابها وتراجعها. وأدرك أيزنهاور أنه إذا ما استطاع التقدم إلى خطوط المحور وقطع مواصلاته، فإنه بالإمكان مساعدة الجيش الثامن على إحراز النصر الحاسم.

وكانت الطائرات والقوّات البحرية البريطانية قد نجحت في قطع مواصلات المحور في النصف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، وذلك بفضل امتلاكها لقواعد قوية في مالطا ومصر، فإذا ما تمّ التقدم بقوات الغزو من تونس، فإنه يصبح بالمستطاع الحدّ من مدى مواصلات المحور في شمال أفريقيا. وهكذا فكلما تقدم الحلفاء من الشرق ومن الغرب، تناقصت فرص اتصال المحور بقوّات رومل، إلى أن يتم الإطباق على القوّات الألمانية ـ الإيطالية، والقضاء على وجود هذه القوات في ليبيا وتونس.

كانت عملية تقدّم قوات أيزنهاور نحو الشرق تتطلب إقامة مطارات متتالية، وذلك حتى يصبح بالإمكان مجابهة طيران المحور. وكانت موانىء بزرته وتونس وصفاقس وقابس، وهي أعظم الموانىء في تونس، تحت قبضة قوات المحور. وكان احتلال بزرته وتونس بسرعة من شأنه حرمان قوّات المحور من كل إمداد يصل عن طريق روما. ولهذا تم دفع الجيش البريطاني الأول بقيادة الجنرال أندرسن، في منتصف شهر شرين الثاني ـ نوفمبر ـ للتقدّم بسرعة من أجل احتلال تونس وبزرته. ولكن تقدم الجيش البريطاني الأول اصطدم بعقبات متتالية:

أولها: ضعف قوات هذا الجيش.

وثانيها: نقص السفن مما حرم هذا الجيش من إمكانات الدعم بالقوّات اللازمة وفي الوقت المناسب.

وثالثها: ضعف قدرة خطوط المواصلات البرية؛ إذ لم يكن هناك إلّا خط حديدي واحد ما بين الجزائر وتونس، كما كانت الطرق المعبّدة ـ الإسفلتية ـ معطّلة.

ورابعها: رداءة الأحوال الجوية وهطول الأمطار بغزارة كبيرة، مما تسبب في تعطيل الطرق وإغراق المطارات، في حين كانت الطائرات الألمانية تنطلق من مطارات جيدة لا تعطّل الأمطار من إمكاناتها.

ولقد ازداد الأمر سوءاً، قرب البر التونسي من مراكز قوّات المحور في صقليا، مما ساعد هذه القوّات على التدفق بسرعة متزايدة، وساعة في إثر ساعة، إلى أرض تونس.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات جميعها، فقد اندفع الجيش البريطاني الأول معتمداً في تقدّمه على السرعة والجرأة للتعويض عما كان يعوزه من النقص في القوى والوسائط القتالية، وأمكن له بفضل تحرّكه البرّي والبحري، الاستيلاء على مرفأ فيليبفيل ومرفأ بونه (عنابة)، كما استطاع احتلال مدينة قسنطينة. ولكن طائرات المحور وغوّاصاته تمكّنت من إصابة الميناء والسفن، في كل مدينة من المدن الثلاث، بأضرار بالغة.

ولم تتوقف قوّات الجيش البريطاني الأول ـ بقيادة أندرسن ـ عن متابعة تقدمها، واستطاع الأسطول البريطاني بقيادة كوننغهام من تقديم الدعم للقوّات البرية التي اضطرت في النهاية للتوقف عندما اصطدمت بدفاع القوّات الألمانية ـ الإيطالية.

نقل أيزنهاور مقرّ قيادته من جبل طارق إلى الجزائر في يوم ٢٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢، مما أتاح له فرصة إجراء تفتيش القوات، ومتابعة أعمالها. ولقد اصطدم بأول عقبة عندما نزل في مطار وهران، حيث غاص في الوحل لمجرد مغادرته الطائرة، ولم يتمكن من السير ولو خطوة واحدة، حتى وصل جرار ـ تراكتور ـ فوضع ألواحاً من الخشب للسير عليها، وعندها أدرك مدى الصعوبات التي ستواجهها قوّاته طوال فصل الشتاء.

قامت الطائرات الألمانية بالإغارة على الجزائر في الليلة التي وصل فيها أيزنهاور إليها، وفي الليلة التالية، وركزت قصفها على المرفأ والسفن الراسية فيه، كما أنزلت بعض قنابلها في المدينة، وأحدثت

أضراراً في الممتلكات وخسائر في الأرواح. ولم يكن بالمستطاع مجابهة الطائرات الألمانية نظراً لغرق السفينة التي كانت تحمل وسائط الدفاع الجوّي. ولكن ومع انتهاء شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ أمكن تنظيم دفاع جيد استطاع إسقاط عدد كبير من الطائرات الألمانية، مما حملها على الابتعاد عن المدينة، خوفاً من الإصابة.

وتأكّد أيزنهاور من فاعلية وسائط الدفاع الجوي عندما التقطت أجهزة الرصد والمراقبة برقية صدرت عن قائد أحد الأسراب القاذفة الألمانية وقال فيها لقيادته: «**سقطت جميع قنابلنا في مدينة الجزائر تنفيذاً لأوامركم**». في حين شاهد أيزنهاور، وجميع أفراد القوات، الطائرات الألمانية وهي تسقط قنابلها في البحر، بعيداً عن المدينة بأكثر من ثلاثين ميلاً، فاتخذ أيزنهاور، من ذلك، دليلاً على انهيار الروح المعنوية للطيارين الألمان، وأمر بنشر الخبر بين الجنود والسكان، مما أدّى إلى رفع الروح المعنوية لأفراد الجيش الأمريكي.

عمل أيزنهاور ثلاثة أيام ولياليها في مقرّ قيادته الجديد، وانطلق بعدها ـ مع مساعده الجنرال كلارك ـ لتفقد جبهة القتال، واضطر للتوقف مرّات كثيرة بسبب إغارات الطائرات الألمانية المتواصلة، وسمع الجنود مرّات وهم يردّدون: «**أين اختفت طائراتنا اللعينة؟ ماذا جرى حتى أننا لا نرى إلّا طائراتهم؟**».

وقال أيزنهاور في نفسه: «هكذا، عندما يسيطر العدو على الجو، تسيطر الشتائم على ألسنة الجنود». ومضى في رحلته حتى إذا ما اقترب من الحدود التونسية علم باحتدام القتال بين القوات الإنكليزية

والقوات الألمانية. وقيل له: «**من هنا وصاعداً لا يستطيع أحد أن يبقى حياً. النيران شديدة والدمار شامل، وعلى جنودنا أن يتراجعوا لأنه من المحال على الأحياء أن يعيشوا وسط جهنم كهذه**».

ولكن أيزنهاور تابع تقدّمه، وكم كانت دهشته كبيرة عندما وصل إلى ميدان المعركة، ولمس بنفسه الروح المعنوية العالية للقوّات وهي تخوض معركتها الضارية في ظروف غير متكافئة. وقرّر أيزنهاور عندها دعم الجبهة دون أي تأخير، ودون أي انتظار ريثما تكمل القوات استعداداتها للهجوم الشامل. وأصدر أمره إلى الطائرات الأمريكية بالتوجه شرقاً لدعم الجيش الإنكليزي وتوجيه الضربات المركّزة ضد خطوط مواصلات العدو، ومقاومة طائراته. ثم بدأت الإمدادات الأمريكية في الوصول على دفعات متتالية ومنتظمة لدعم الجيش الإنكليزي الأوّل.

كما أصدر أيزنهاور أمره بسحب بعض وحدات الفرقة المدرعة الأولى، وبعض وحدات فرقة المشاة الأولى لدعم الجيش الإنكليزي الأول. وأمر أيضاً بتوزيع الفرقة الأمريكية ٣٤ على النقاط الحساسة في خطوط المواصلات من أجل حمايتها من الأعمال لتخريبية، وذلك لأن الألمان عملوا على إنزال وحدات من المظليين لتدمير الجسور والأنفاق وعقد المواصلات على مسافات بعيدة، مما حمل أيزنهاور على الاستعانة بوحدات من الفرنسيين لحماية هذه الأهداف، ولا سيما في الليل.

شجاعة وخبرة أو دراية وقوة تحمّل أو صبر على المكاره، تلكم هي

الصفات الثلاث الواجب توافرها في أي جندي حقيقي. ولقد توافرت هذه الصفات لدى جنود الغزو، إلّا أنها لم تستطع التغلّب تماماً على ما تكاتف ضدها من عدو متمرّس بأساليب القتال، وأحوال جوية صعبة وطبيعة جغرافية وعرة.

ولقد استطاع الألمان امتلاك بعض الوحدات الآلية ـ الميكانيكية ـ في مطلع شهر كانون الأول ـديسمبرـ مما مكّنهم من شنّ هجمات مباغتة محدودة أرغمت قوّات الهجوم على التراجع عن بعض مواقعها، أمام مدينة تونس. وحالما توقفت عمليات هجوم الجيش البريطاني الأول في شمال تونس، وانتقل إلى الدفاع، أصيبت القوّات بانتكاسة قاسية. إذ وقعت بعض الأخطاء خلال عملية الانسحاب أدّت إلى فقدان المعدّات والذخائر التي كانت مرسلة من فرقة المدرعات الأمريكية الأولى، كما أصيبت الفرقة الأمريكية الثامنة عشرة بخسائر فادحة، وأبيد فوج بريطاني كامل، فاقترح قائد الجيش الإنكليزي الأول ـ الجنرال أندرسن ـ أن يتم التخلي عن (مجاز الباب) وهو مركز اتصالات مهمّ بين القوات الأمريكية وبين القوات الفرنسية المنتشرة إلى يمينها.

ولمّا كانت تلك المنطقة مناسبة جداً لانطلاقة الهجوم عندما تكتمل الاستعدادات، فقد رفض أيزنهاور الاقتراح، وأمر بإجراء الاستعداد للهجوم. وعمل الجميع بحماسة وعلى امتداد ٢٤ ساعة في اليوم، من أجل تنظيم الهجوم والإعداد له. ولما اكتملت الاستعدادات تم تحديد يوم ٢٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٢ موعداً للهجوم على تونس.

وغادر أيزنهاور الجزائر قبل موعد الهجوم بيومين، واستقل السيارة نظراً لصعوبة تحليق الطائرات في ذلك الجو العاصف. وصادف في طريقه صعوبات هائلة إلى أن وصل إلى مقرّ قيادة الجيش الإنكليزي الأول قرب تونس، ورافق الجنرال أندرسن في زيارته لقرية سوق الخميس القريبة من قاعدة انطلاق الهجوم. واقترح أيزنهاور قيام عدد من الوحدات الصغرى باحتلال بعض النقاط الحساسة في النهار، وذلك تمهيداً للعملية الكبرى التي ستبدأ مع هبوط الظلام. وكان المطر ينهمر بغزارة، ومع ذلك خرج أيزنهاور لإجراء استطلاع شخصي لمنطقة الهجوم، وبينما هو يتابع استطلاعه وقع بصره على حادثة أقنعته بأنه من المحال القيام بالهجوم. فقد رأى على بعدة عشرة أمتار من الطريق درّاجة نارية وقد غاصت في حقل من القمح، وحاول أربعة من الجنود إخراجها، وبعد جهد مضنٍ نجحوا فقط بالتمرغ هم ذاتهم بالوحل، فانسحبوا وتركوا الدرّاجة وقد غاصت بدرجة أكبر مما كانت عليه من قبل.

ورجع أيزنهاور إلى مقرّ القيادة وهو كسير القلب، وأصدر أمره بتأجيل الهجوم وهو يشعر بمرارة. وبات لزاماً عليه إجراء بعض التعديلات على خطوط الدفاع ومراكز القوّات، مع تحصين المناطق غير الموحلة والتي قد يستغلها الألمان للهجوم على الحلفاء.

لا ريب في أن مثل هذه المواقف قد تؤدّى إلى الإحباط المعنوي، ولكن مهما كان الوضع فإنه يجب عدم صدور أي شيء عن القيادة العامّة يوحي بالضعف أو التخاذل، لأنه إذا ما ظهر على القائد شيء

من اليأس، فسرعان ما تنتشر هذه الحالة في كل ناحية وتؤدّي إلى عواقب وخيمة.

كانت القوّات الفرنسية في تونس قد ربطت مصيرها بمصير قوّات الحلفاء منذ منتصف شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ واحتلت مراكز حساسة وخطرة إلى الجنوب من الجبهة، وهي لم تمارس دوراً فعّالاً في القتال بسبب افتقارها للأسلحة الحديثة. ولما رأى أيزنهاور أنه من المحال احتلال القطر التونسي، في هجوم الشتاء، أمر بتنظيم خط دفاعي يمتد إلى ما وراء المطارات، وذلك للمحافظة عليها واستخدامها لانطلاق الطائرات لضرب خطوط المواصلات الألمانية عندما يتم الانتقال من الدفاع إلى الهجوم. وكان هذا الخط يمتد من ثلبتا وسوق عربة، ويتطلب الدفاع عنه بحزم إذ أن فقده لا يعني فقط ضياع المطارات، وإنما كان يعني إحباطاً للروح المعنوية للمقاتلين بقدر ما يشكّل إغراء للمواطنين العرب للانقضاض على الحلفاء في حالة ضعفهم، أو ظهور هذا الضعف.

أمر أيزنهاور باتخاذ الإجراءات الضرورية لإحباط أي هجوم جانبي قد تقوم به القوّات الألمانية، فتمّ تنظيم عدد من المراكز الدفاعية على امتداد المسافة ما بين تبسة وقفصة، وأسند أمر حمايتها للمتطوعين من الفرنسيين الذين تم دعمهم بوحدة من المظليّين الأمريكيين بقيادة العميد (أدسون راف). واستطاعت وحدة المظليين هذه القيام بعمليات جريئة شغلت القوات الألمانية أسابيع عديدة، كما أمر أيزنهاور بإرسال الفيلق الأمريكي الثاني بكامله إلى تبسة لدعم

الدفاع ومجابهة كل هجوم ألماني محتمل، وحماية الجناح الجنوبي لقوّات الحلفاء ما بين صفاقس وقابس.

لقد ظهر لأيزنهاور أنه من المحال تعيين قيادة واحدة لجميع قوّات الجبهة، بسبب التنافر القائم بين العناصر المكوّنة لهذه الجبهة، وعلى سبيل المثال: فقد رفض الفرنسيون رفضاً قاطعاً العمل تحت قيادة إنكليزية، وهددوا بإعلان الثورة، مما حمل أيزنهاور على العمل مع ثلاث قيادات: الجيش الإنكليزي العامل في طرف الجبهة الشمالي، وله قيادته الإنكليزية، والجيش الفرنسي العامل في الوسط وقيادته فرنسية، ثم الجيش الأمريكي العامل على الجناح اليميني في الجنوب وقيادته أمريكية. وأقام أيزنهاور مقرّ قيادته في موقع متقدّم من الجبهة حتى يبقى قريباً من القيادات الثلاثة.

وبقي الموقف على هذا التنظيم حتى منتصف شهر كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٣ عندما قامت قوة ألمانية صغيرة بهجوم قوي على جبهة الفرنسيين وأرغمتهم على التراجع، ونشأ عن ذلك وضع خطير، مما تطلب إعادة تنظيم الجبهة وسدّ الثغرات.

وأفاد أيزنهاور من هذا الموقف فأصدر أمره بتعيين قائد الجيش الإنكليزي الأول ـ الجنرال أندرسن ـ قائداً عاماً للجبهة، ثم قام بزيارة لقائد الجيش الفرنسي ـ الجنرال جوان ـ وشرح الأسباب التي دفعته لهذا الإجراء، كما أطلع بعدئذ الجنرال جيرو على ما اتخذه من إجراءات وتدابير في مجال إعادة التنظيم. وتشكلت الجبهة على خط ما بين بنزرت شمالاً وقفصة جنوباً، وكان هذا الخط الدفاعي ضعيفاً

بسبب افتقاره للقوّات الاحتياطية، بعد أن تمّ حشد معظم القوى المتوافرة في الجبهة.

لم يكن الضعف كامناً في التشكيل العسكري فحسب، بل كان الموقف السياسي يعاني من ضعف مماثل. ولقد حاول المستر ميرفي وزميله ممثل إنكلترا هارولد ماكميلان إصلاح العلاقات بين الإدارة الفرنسية وبين حكّام البلاد الأصليين ـ من العرب ـ، غير أن جهودهما ذهبت هباء لاصطدامها بألاعيب دارلان من جهة، ولعدم اهتمام جيرو بالإصلاح السياسي من جهة ثانية. وكان كل إلحاح من جانب أيزنهاور وعناصر قيادته على الفرنسيين بضرورة تعديل القوانين ـ الاستعمارية ـ وإصلاح الوضع، يقابل بمزيد من العسف والظلم وهضم الحقوق، مما أكّد غياب النوايا الحسنة. وعندما جرت محاولة الإطاحة بالعناصر المشبوهة، برزت عقبة إيجاد من يحل محلّها. ولم يكن من حق أيزنهاور وأجهزته التدخّل وفقاً للإتفاقات المعقودة مع دارلان بالتدخل في الشؤون الداخلية. وبقيت الجبهة الداخلية مصدر قلق دائم لأيزنهاور، وزاد الأمر سوءاً اغتيال دارلان يوم ٢٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٢.

كان أيزنهاور يوم اغتيال دارلان في مقرّ قيادة الفيلق البريطاني. وما إن علم بالخبر حتى أسرع بالعودة إلى الجزائر، ووقف حائراً فيما يجب عليه عمله. لقد عرف أن الجنرال جيرو لا يهتم بالسياسة ولا يعنى بأمر نظام ديمقراطي في البلاد، وكان كل جهده منصرفاً لتأمين الذخائر والأسلحة والمواد التموينية، وتشكيل فرق جديدة لدعم جهد

الحلفاء، فبرهن بذلك على نواياه الحسنة، إلاّ أن مواهبه الإدارية لم تكن لتؤهله لإدارة البلاد في تلك الفترة الحرجة.

وانصرف أيزنهاور لاستشارة المسؤولين الفرنسيين، فأشاروا جميعهم بتعيين الجنرال جيرو حاكماً إدارياً لشمالي أفريقيا. ولما لم يكن أيزنهاور راغباً في تقليد نهج النازيين في تعيين الحكّام وخلعهم في بلاد غير تابعة لأمريكا أو خاضعة لها، فقد ترك الأمر للفرنسيين، وأصدر أمره بناء على إجماعهم بتعيين جيرو محل دارلان.

علم أيزنهاور في شهر كانون الأول ـ ديمسبر ـ ١٩٤٢، بأن الرئيس روزفلت والمستر تشرشل، سيصلان إلى الدار البيضاء لعقد مؤتمر قمّة في شهر كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٣، وبرفقتهما عدد من الخبراء المدنيين والعسكريين، وكان لزاماً على أيزنهاور إعداد الأمكنة الصالحة لإسكانهم وتسهيل مهمتهم.

وتساءل أيزنهاور عن السبب لعقد المؤتمر في أفريقيا حيث لا زال الخطر قائماً، وقد يتهدد حياة الرئيسين، ترى هل لأنهما يتوقعان قدوم ستالين للاجتماع بهما؟ أم لجعل الرأي العام العالمي على ثقة من إعطاء الأهمية الكبرى لاحتلال شمال أفريقيا وإخراج الألمان والإيطاليين منه؟ ولكن مهما كان السبب، فإن باستطاعة القاذفات الألمانية الوصول إلى هناك، كما لا زال عدد كبير من مواطني البلاد غير مستعدّ لقبول وجودنا وسياستنا، وقد يقوم أكثر من واحد من المتطرفين بأعمال عنف تؤدّي إلى نتائج وخيمة. ومن أجل ذلك، فلا بدّ من اتخاذ كافة تدابير الحيطة والحذر.

عقد المؤتمر في موعده المحدد، وجرى أثناء البحث استدعاء عدد كبير من القادة والجنود من الإنكليز والأمريكيين لاستطلاع آرائهم واستخلاص المعلومات المتوافرة لديهم ومعرفة آرائهم. وأمضى أيزنهاور يوماً كاملاً في المؤتمر بسبب تراكم الأعمال عليه، وشرح للمؤتمرين الموقف العسكري في الشمال الإفريقي. وفي المساء، قام الجنرال مارشال بإعلام أيزنهاور أن الرئيس روزفلت يودّ أن يلتقي به على انفراد. ولما ذهب لمقابلته وجده مزهواً متفائلاً يتدفق حيوية ونشاطاً، فاعتقد أن مرحه إنما هو صادر عن تمكّنه من الابتعاد لبضعة أيام عن مشاغل الدولة في واشنطن، وحضوره مؤتمراً في زاوية نائية محفوفة بالخطر، كانت قبل شهرين فقط مسرحاً للأعمال القتالية. ولاحظ أيزنهاور أنه على الرغم من شدّة انتباه الرئيس روزفلت واهتمامه بالمشاكل التي تواجه الحلفاء حالياً، فإنه كثيراً ما كان يتطلع ببصره نحو أُفق المستقبل، لِوَضْع أُسس حل المشاكل التي ستبرز بعد وقف القتال وإعلان الهدنة. وأبدى اهتماماً خاصاً عندما أطلعه أيزنهاور على ما توافر له من معلومات، وعمّا يفكر به بشأن بعض تلك الشخصيات الفرنسية.

وتمّت في تلك الخلوة مراجعة ما برز من مواقف سياسية وعسكرية خلال الأسابيع العشرة الماضية، فأبدى سروره بما تمّ إحرازه من نجاح. ولكن عندما أخذ أيزنهاور في التعرّض إلى ما قد تواجهه القوّات من خطر في فصل الشتاء، ظهر عليه الشك بشأن تلك المخاوف. واتفقت وجهات نظر أيزنهاور مع الرئيس روزفلت على أن قوات المحور، مهما بلغت من القوة في شمال أفريقيا، فإنها لن تستطيع

الصمود طويلاً أمام الجيش البريطاني الثامن والجيوش المتقـدمة من الغرب. ثم وجّه الرئيس روزفلت سؤالاً مباغتاً لأيزنهاور فقال له: «متى تتوقع أن يستسلم جيش العـدو في شمالي أفـريقيا؟» فـأجاب أيزنهاور بأعظم نبوءة صدرت عنه طوال مدة الحرب، عندما قال: «١٥ أيّار ـ مايو ـ ١٩٤٣».

وتبـين لأيزنهاور من خـلال حديثه مع الـرئيس روزفلت، أن الرئيس لا يحاول التمييز بين مـوقف القوات الأمـريكية في شـمال أفريقيا، وبين موقف جيش الاحتلال العسكري، وذلك عندما شرح له التدابير والإجراءات التي تتعلّق بالمواطنين العرب من جهة، والتي تتعلق بالجيش الفرنسي، والإدارة الفرنسية من جهـة ثانيـة. فكان يشير بضرورة إصدار الأوامر والتعليمات وفرضها. واضطر أيزنهاور لتذكير الرئيس بأنه قد تمّ الاتفاق منذ البداية على دخول المنطقة على أساس أقرب إلى التحالف منه إلى الاحتلال بقوة السلاح، ولذلك فـإن الجهود المبـذولة تتجـه إلى التحـرّك بحـذر من أجـل إدخـال إصلاحات أساسية على الحكم والإدارة، وتسهيل الأمر لقيام حكومة شعبية.

كانت أهمّ نقطة وردت في حديث الرئيس روزفلت مع أيزنهاور هي التأكيد على عملية غـزو أوروبا عبر القنال الإنكليزي، واعتبار روزفلت بأن النصر الذي تمّ إنجازه في أفريقيـا ما هـو إلّا مقدمـة للهجوم الكبير. وعندما التقى أيزنهاور بتشرشل بعدئذ أكّد له هذه النقـطة ذاتها، إذ قـال له: «أيهـا القائـد! لقد سمعت بـأننـا نحن البريطانيين نرغب في إسقاط عملية الغـزوالكبرى من حسابنا. إن

ذلك ليس صحيحاً. فقد أعطيت وعداً، و إني مصمم على المحافظة عليه. إلّا أنه أمامنا الآن فرصة عظمى يجب علينا ألّا ندعها تفلت من قبضتنا، وعندما يحين الوقت المناسب، فإن بريطانيا على استعداد للقيام بأكبر من قسطها في عملية الغزو».

لم يصدر عن الرئيس روزفلت والمستر تشرشل التصريح الخاص بإرغام ألمانيا على قبول مبدأ (الاستسلام بدون قيد ولا شرط) إلّا بعد أن غادر أيزنهاور الدار البيضاء بفترة طويلة.

ولكن الأمر الهام بالنسبة لأيزنهاور هو اتخاذ قرار في هذا المؤتمر بوضع قوات الجيش البريطاني الثامن، وجميع أسلحته، تحت قيادة أيزنهاور، وذلك عند وصول هذا الجيش إلى تونس، على أن يصبح (الجنرال ألكسندر)[1] مساعداً لأيزنهاور في قيادة القوّات البرية، ويبقى الأميرال البريطاني (كوننغهام) قائداً للبحرية، ويصبح الماريشال الأمريكي ـ تيدر ـ قائداً للقوات الجوية. وقد بدأ تنفيذ هذه القرار اعتباراً من شهر شباط ـ فبارير ـ ١٩٤٣.

---

(١) الجنرال ألكسندر: (ALEXANDER, SIR HAROLD RUPERT) مُنح لقب أمير تونس (EARL OF TUNIS). فيلد ماريشال بريطاني (١٨٩١ ـ ١٩٦٩). خدم في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) على الجبهة الشمالية الغربية في أوروبا ـ فرنسا ـ، ثم خدم في الهند سنة ١٩٣٥، وتولى قيادة الفرقة البريطانية الأولى ١٩٣٨ ـ ١٩٤٠، ثم خدم في بورما من شباط ـ فبراير ـ حتى آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٢، ونقل بعدها قائداً عاماً للقوات البريطانية في الشرق الأوسط. وأصبح قائداً عاماً لقوات الحلفاء في أفريقيا سنة ١٩٤٣ ـ تحت قيادة أيزنهاور ـ ثم قائداً أعلى لقوات الحلفاء في حوض البحر الأبيض المتوسط سنة ١٩٤٤، وكان مسؤولاً عن متابعة غزو إيطاليا.

وشعر أيزنهاور بـالسعادة، لتـوحيد القيـادة، وضمان مـركزيـة السلطة، وهو ما كان يبحث عنه أيزنهاور باستمرار. وكان القرار المهمّ الثاني الذي تم اتخاذه في هذا المؤتمر أيضاً هو القيام بغزو صقلية بعد أن تتم عملية القضاء على قوّات المحور في شمالي أفريقيا.

علم أيزنهاور، في مطلع شهر شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣، أن رومل يقوم باستعدادات كبيرة للقيام بهجوم واسع على مجنبة قوات الحلفاء، وأنه سحب وحدات قوية من جبهة طرابلس لزجّها على جبهة تونس. وأشارت المعلومات الأولية إلى أن الهجوم الألـماني سيتركـز على ممر فندق، فأصدر أيزنهاور أوامره لتشديد الحراسة على الممرّات جميعها، وبوضع القوّات في حالة الاستعداد القصوى، لا سيّما منها الوحدات المدرّعة والـوحدات الآليـة ـ الميكانيكيـة ـ. وتبين لأيـزنهاور، لدى دراسة الموقف عـلى الجبهة، أن قـطاع الفيلق الأمريكي الثـاني هو أضعف القطاعات نظراً لامتداد جبهة هذا القطاع لمسافة طويلة (ما بين قفصة جنوباً وفندق شمالاً). وعند الوصول إلى هذه النتيجة، قـرر أيزنهاور إنهاء اجتـماعاتـه مع قـادة التشكيلات ـ في الجـزائر ـ والانتقال بسرعة إلى مقرّ قيادة الفيلق الأمريكي الثاني لمعالجة الموقف على الطبيعة.

غادر أيزنهاور مدينة الجزائر بعد منتصف ليل ١٢ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣، وعقد في طريقه عدداً من المؤتمرات بحث خلالها أمر الهجوم الألماني المتوقّع. ووصل بعد ظهر يوم ١٣ شباط ـ فبراير ـ إلى مقرّ قيادة الفيلق الثاني، فوجد أن قائد هذا الفيلق ـ الجنرال فريدندال ـ قـد

اتّخذ مقرّه في وادٍ سحيق يصعب الوصول إليه، يقع إلى الجنوب من تبسة، وكان بعيداً عن خط الجبهة.

وسمع أيزنهاور وهو في مقرّه أصوات المطارق ورنين المعادن، وعندما سأل عن الخبر، قيل له إن المهندسين يحفرون نفقاً في جانب الجبل لحماية ضبّاط هيئة أركان الفيلق. فسأل ما إذا كان المهندسون قد أعدّوا خطوطاً دفاعية في لمقدمة، فقِيل له بأن هذا العمل هو من مسؤولية مهندسي الفرقة المنتشرة على خطوط النار الأولى. فكانت هذه هي المرة الأولى التي شاهد فيها أيزنهاور اهتمام قيادة الفرق بإقامة ملاجىء للقيادة قبل الاهتمام بتنظيم الخطوط الدفاعية الأولى، وتقديم الدعم الهندسي لها.

مضى أيزنهاور لتفقّد فرق الفيلق: فرقة المدرّعات الأمريكية الأولى، وفرقة المشاة الأمريكية الأولى، وفرقة المشاة الأمريكية الرابعة والثلاثين. وقد رأى أيزنهاور خلال جولته ظواهر كثيرة تثير القلق، أولها وأهمّها: شعور الوحدات بالأمن والبعد عن الخطر، إلى حد إهمال تنظيم الدفاع عن الممرّات الحساسة والخطرة. وثانيتها: إهمال التدريب وعدم الاهتمام بمتابعة برامج التمارين اليومية. وثالثتها: عدم زرع الألغام. وعندما وجه أيزنهاور نقده لعدم زرع الألغام، أخرج الضابط المسؤول خارطته من جيبه بزهو وخيلاء وقال إنه سيبدأ بعملية زرعها قريباً. وعندها طلب أيزنهاور من قادته التعلّم من الألمان الذين كانوا ينظمون مواقعهم الدفاعية القويّة، وينشرون وحداتهم، ويركزون رشاشاتهم ويربصون مدافعهم، ويزرعون

حقول الألغام، بعد ساعتين فقط من احتلالهم لمواقعهم الدفاعية الجديدة.

كان أكبر خطأ اكتشفه أيزنهاور هو أن فرقة المدرّعات الأولى لم تكن في وضع يسمح بالعمل بكامل قوّتها وفاعليتها باعتبارها تنظيماً قتالياً واحداً، وذلك لأن الجنرال أندرسن أمر بأن يعسكر نصفها قرب فندق، حيث توقع أندرسن أن يتم من هناك الهجوم الرئيسي للألمان، فعمل على الاحتفاظ بهذا النصف لاستخدامه قوة احتياطية، بينما عمل على توزيع ما بقي من الفرقة في وحدات صغرى تمّ نشرها في كل أنحاء جبهة الفيلق الثاني. واطلع أيزنهاور خلال جولته على تقارير الاستطلاع، فوجد أنها كلها تؤكّد ابتعاد القوّات الألمانية. وأمضى ما تبقّى من الليل في مناقشة الموقف مع قادة القطاع. **وعاد من جولته قبل فجر يوم ١٤ شباط ـ فبراير ـ وتوقّف قليلاً عند سبيطلة، حيث وصلته بعض أصوات الطلقات المتفرّقة، ثم تابع سيره نحو مركز القيادة، وما إن وصله حتى تسلّم تقريراً عن بدء الهجوم الألماني**، ثم أخذت التقارير في الوصول تباعاً وهي تحمل المعلومات عن قاعدة انطلاق الهجوم وقوّته واتساعه ووجهته.

ولكن الجنرال أندرسن لم يصدّق ما حملته إليه التقارير من معلومات، اعتقاداً منه بأن الهجوم الألماني سيتقدم من فندق وليس من فايد وسيدي أبو زيد، فبقي في حيرة من أمره، ولم يتخذ شيئاً من الإجراءات الفعّالة لصدّ الهجوم إلّا بعد أن تضخّم وتطور إلى درجة خطيرة جداً.

وأدرك أيزنهاور على الفور ضرورة إرسال الدعم الفوري، فرجع إلى مقرّ قيادته في الجزائر، وأصدر أمره بأن يتوجّه كل جندي شرقاً نحو الجبهة لإيقاف زحف العدو، ورجع أيزنهاور بعدها إلى الجبهة، فعرف أن القوّات الأمريكية قد قاتلت قتالاً مجيداً خلال تراجعها، وأنها اضطرت للجلاء عن ممرّ القصرين الحصين.

أرغمت القوّات الأمريكية على إخلاء المطار الأمامي الواقع قرب ثالا، ولكنها لم تخسر شيئاً لا في الطائرات ولا في الرجال والوقود.

وكان هناك مطار آخر قرب نقطة مواصلات مهمة ـ فيما وراء تبسة بقليل ـ وقد صمم الفيلق الثاني على الاحتفاظ به مهما بلغت التضحيات. كما استطاعت الفرقة الرابعة والثلاثون أن تثبت زحف الألمان، وتؤخرهم قرب ثعلة، وذلك إلى أن وصلت الدبابات والمدفعية الإنكليزية من الشمال، وأخذت في تدمير القوّات المتقدمة للهجوم الألماني في الشمال، ثم شاركتها مدفعية الفرقة التاسعة الأمريكية في عملية التدمير.

وبعد أسبوع من القتال العنيف، وفي يوم ٢١ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣، بدأ الضعف يظهر على الهجوم الألماني الذي استنزفت قوّاته، وبات يعاني من صعوبة المواصلات، والنقص في تموين وحداته الأمامية، وأصبحت قوّاته في غرب (القصرين) معرّضة لأي هجوم مضاد.

وأمكن في يوم ٢٢ شباط، فبراير، وقف الهجوم الألماني تماماً،

فاقترح أيزنهاور على قائد الفيلق الثاني ـ الجنرال فريدنـدال ـ القيام بهجمات مضادة محدودة، تدعمها نيران المدفعية، للإسراع في القضاء على قوات الهجوم الألماني، لكن فريدندال امتنع عن القيام بمثل هذه الهجمات، اعتقاداً منه بأن القـوات الألمانيـة ستعيد تنـظيم أمورهـا للإنطلاق بهجوم جديد خلال ٢٤ ساعة. ولم ينازعه أيزنهاور، ولو أنه كان من الصعب عليه رؤية هذه الفرصة السانحة وهي تضيع دون الإفـادة منها لضرب جـانب القوات الألمـانية المكشـوف عنـد (ممرّ القصرين). واتضح في اليوم التالي أن الألمان قد نجحوا في سحب معظم قوّاتهم تحت جنح الظلام، وتحت ستار الضباب، فـانطلقت قوّات الجبهة بكاملها للمطاردة إلى أن وصلت إلى القاعدة التي انطلق منها الهجوم الألماني.

وتبين لأيزنهاور خطورة ما ارتكبه هو بالذات من أخطاء، عندما لم يعمل منذ البداية على دمج القوّات الفرنسية في إطار القيادة الواحدة، ثم عندما لم يصحح بسرعة خطأ الفيلق الأمريكي الثاني الذي نشر قوّاته على جبهة واسعة ففقد القدرة على العمل ككتلة واحدة. ولاحظ أيـزنهاور أيضاً أخـطاء القوّات وأهمّهـا ضعـف الاستطلاع الـذي لم يتمكن من كشف الهجوم في وقت مبكر، ثم الاستسلام لأفكار سلفية عندما وقع الهجوم، مما أدّى إلى تأخير ردّ الفعل على الهجوم، ومجابهته بحزم منذ البداية. وكذلك عدم وضع قوات استطلاع للسيطرة على الممرّات الجبلية، بالإضافة إلى ضعف التدريب على مستوى القـادة والجنود. وكان **ثمن هذه الأخطاء في (معركة القصرين)، التي استمرت من يوم ١٤ حتى يوم ٢٣ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣، فادحاً، فقد خسرت**

القوّات الأمريكية ١٩٨ قتيلاً و ٢٦٢٤ جريحاً و ٢٤٥٩ أسيراً ومفقوداً.

كانت معركة القصرين نقطة تحوّل حاسمة في الصراع، إذ صار بالمستطاع الانتقال من الدفاع إلى الهجوم. وعلى الرغم من استمرار القوّات الألمانية بشن هجمات محدودة، إلاّ أنه بات واضحاً أن هذه الهجمات هي من أجل تحسين بعض المواقف الدفاعية. وكانت هذه الهجمات تستنزف من قدرة الألمان وإمكاناتهم بأكثر مما كانت تستنزفه من قدرات الحلفاء وإمكاناتهم. وانصرف أيزنهاور لإعادة التنظيم الشامل للقوى والوسائط استعداداً للهجوم النهائي على تونس. وفي هذه الأثناء كان الجيش البريطاني الثامن يتابع تقدّمه من الشرق بقيادة مونتغومري، فخاض معركة خط ماريت بداية من ليل ٢٠ آذار - مارس - ١٩٤٣، وهي المعركة التي انتهت بتأمين الاتصال مع قوّات الفيلق الأمريكي الثاني.

باتت القوات الألمانية - الإيطالية - بعد معركة مارت - أو ماريت - مطوّقة بقوات الحلفاء من الجنوب والغرب، بينما كان البحر يحاصرها من الشمال والشرق، ففقدت بذلك حريّة عملها العسكري، ولم يبقَ لها إلاّ أن تنتظر مصيرها.

قام أيزنهاور بزيارة لمونتغومري بعد معركة خط ماريت، فرأى جيشاً وقد ضمّ جنسيات شتى وألواناً مختلفة ولغات كثيرة، فعرف أن أفريقيا لم تشاهد منذ أيام هاني بعل - هانيبال - جيشاً مختلطاً كمثل هذا الجيش الذي ضم جنداً من الإنكليز والأوستراليين والنيوزيلانديين

والهنود والبولنديين والتشيك والإفرنسيين والأستراليين ومن أفريقيا الجنوبية وعرباً وأمريكيين.

انصرف أيزنهاور بعدئذ إلى متابعة الصراع مع القـوّات الألمانيـة الإيطالية المحاصرة، مع إعادة التنظيم للقوّات والوسـائط، وإجراء الاستعدادات في الوقت ذاته للقيام بغزو صقليا، فتم سحب الفيلق الأمريكي الثاني من الجبهة وأسندت قيادته إلى عمر برادلي، وأقيم له معسكر على الشاطىء الشمالي لتونس. كما أرسل الجنرال باتون إلى قيـادة الجيش السابـع للإشراف عـلى الاستعدادات من أجـل غزو صقليا. وأثناء ذلك كان الجيش البريطاني الثامن بقيادة مونتغومري يتابع تقدّمه نحو خط ـ آنفيد فيل ـ وهو خط حصين جداً، استطاع الألمان بواسطته إيقاف تقدّم مونتغومري. وظهر واضحاً أنه بات من الضروري القيام بهجوم عام من كل الجبهـات للقضاء عـلى بقايـا القوّات الألمانية ـ الإيطالية.

وتم وضع الخطة لتنسيق التعـاون بين القـوّات البرّيـة والجويّـة والبحرية، كما وضعت خطة خداعية، **وتقرّر أن يبدأ الهجوم العام يوم ٥ أيّار ـ مايو ـ ١٩٤٣**. وعنـدما انـطلقت القوّات لتنفيـذ هذا الهجوم اصطدمت بمقاومة الألمان الضارية في كل مكان، إلاّ أنه أمكن التغلّب على المقاومات المتتالية بعد تضحيات كبيرة.

ووصل الصراع المريـر حتى نهايته يـوم ١٢ أيـار ـ مايـو ـ وتحولت الأعمال القتالية إلى مطاردة وإلى عملية جمع للأسرى. فتم أخذ ٢٤٠ ألفاً من الأسرى بينهم ١٢٥ ألفاً من الأسرى الألمـان. وقد اقـترح

بعض القادة على أيزنهاور الاجتماع إلى كبار القادة الألمان والإيطاليين، جرياً على التقليد القديم في تكريم جند الأعداء عند وقوعهم في الأسر، إلاّ أن أيزنهاور رفض هذا الاقتراح على أساس أن «**الحملة الصليبية التي يقودها والتي تحمل كل معاني الشرف والحرية والأهداف السامية، إنما هي حملة ضد عدوّ شرير وحاقد عمل على إهدار الكرامة الإنسانية وأذلّها واستعبدها، وهي حرب ضد القِيَمْ الفاسدة وليست بين المرتزقة من الجنود. ولهذا فلا مجال للمجاملة**». وأصدر أمره باستجواب الأسرى والحصول على ما يتوافر لهم من المعلومات.

أصبح باستطاعة أيزنهاور الانصراف لتنفيذ قرار الرئيسين روزفلت وتشرشل في الدار البيضاء بشأن غزو صقليا، والتي كانت تشطر البحر الأبيض المتوسط إلى قسمين. فكانت سيطرة الألمان عليها تسمح باستخدام طائرات المحور للهجوم على سفن الحلفاء وإلحاق الضرر والأذى بها.

ولقد أفادت المعلومات أن هناك ٣٠٠ ألف جندي يدافعون عن صقليا، معظمهم من الإيطاليين، وبينهم أقلّ من فرقتين ألمانيتين، غير أن تلك المعلومات لم تحدد ما إذا كان الإيطاليون سيقاتلون بعناد وضراوة، أم أنهم سيخوضون حربهم بدون اهتمام بالحرب.

٧ ـ تجربة الحرب في صقليا وإيطاليا

ما إن بدأ أيزنهاور بالتخطيط لغزو صقليا، حتى طرحت عليه اقتراحات باحتلال سردينيا وكورسيكا بدلاً عن صقليا، وكان لزاماً

على أيزنهاور اتخاذ القرار المناسب والذي عبّر عنه بما يلي:

«**إذا كانت الغاية من الحملة هي الهجوم على إيطاليا، فالأفضل احتلال سردينيا وكورسيكا، لأنهما تجابهان إيطاليا على امتداد شواطئها الغربية، إذ إن إنزال القوّات على أرض الجزيرتين، سيرغم الألمان على نشر قواتهم وتوزيعها من الطرف الجنوبي حتى أقصى الشمال، الأمر الذي يمنع الألمان من حشد قوة ضاربة في نقطة واحدة، تستطيع إحباط أي غزو وتمنع حدوثه. أما إذا كانت الغاية من الحملة هي فتح المتوسط، فلا بدّ من غزو صقليا**».

ووافق الجنرال مارشال على رأي أيزنهاور، لأنه خاف من إلغاء الاتفاق بغزو فرنسا عبر القنال الإنكليزي إذا ما نجح الهجوم على إيطاليا، وشدّد على غزو صقليا.

تقرر أن يشترك في غزو صقليا جيش أمريكي من خمس فرق، بالإضافة إلى الجيش البريطاني الثامن الذي دُعم بفرقة كندية وصلته حديثاً من إنكلترا. وتقرّر أيضاً إنزال القوات على ثلاث مناطق متباعدة؛ فتقوم قوات بريطانية بالإنزال على أرض الشاطىء الشرقي لصقليا، وتحاول احتلال (سيراقوزة) بأسرع ما يمكن للإفادة من خليجها ومينائها، وتقوم القوات الأمريكية بالإنزال على أرض الزاوية الجنوبية الشرقية للجزيرة، فيما تقوم قوات مختلطة بالإنزال على أرض الشاطىء الشمالية الغربية. وتعمل هذه القوات الثلاث على التحرّك بسرعة للإلتقاء في وسط الجزيرة، ثم تندفع للوصول إلى مضيق مسينا. وعيّن الجنرال ألكسندر قائداً عاماً للقوات البرية.

وقد اعتمد أيزنهاور في خطة الهجوم على ما بات متوافراً للحلفاء، من قدرة بحرية للنقل والدعم، ومن قدرة جوية قادرة على حرمان طائرات المحور من كل تدخّل، كما اعتمد أيضاً على إمكانات زجّ المظليين بقوات لم يعرفها تاريخ الحرب من قبل (فقد بلغ مجموع القوات ١٦٠ ألف رجل و ١٨٠٠ مدفع و ٦٠٠ دبابة و ٣٢٢٦ سفينة).

سبقت عملية الإنزال غارات متواصلة ضد الأهداف العسكرية (مهابط الطيران والطرق والمنشآت) في صقليا وإيطاليا وسردينيا مع الاستيلاء على ثلاث جزر صغيرة على الطريق بين تونس وصقليا بإتجاه مالطا وهي (بانتالاريا ولينوزي ولامبودسا) خلال الفترة بين ١٠ و ١٣ يونيو - حزيران - ١٩٤٣. وتمّت حماية حركات القوّات المكلّفة بالمهمة على جناحيها بقوات فرقتين بحريتين: الأولى بإتجاه الرأس الغربي لصقليا، والأخرى باتجاه اليونان. ثم اتجهت المجموعات إلى مناطق تجمعها في عرض البحر - غرب مالطا وشرقها - يوم ٩ تموز - يوليو -. وكان الجو عاصفاً ورديئاً للغاية، ورغم ذلك قامت ٥٠٠ طائرة و ١٣٧ طائرة شراعية بالإقلاع من جنوب تونس والإنزال على أرض العمليات؛ حيث تم إنزال لواء بريطاني محمول بالطائرات الشراعية في منطقة سيراقوزة، بينما تم إنزال كتيبة مظليين أمريكية في منطقة جيلا. وتشتت هذه الوحدات المختارة والمنتقاة بسبب شدة الرياح وعنفها، ولكن مجرّد وجودها ونشاطها نشر الاضطراب والفوضى في صفوف القوّات الإيطالية - الألمانية.

وتم الإنزال الليلي البحري لمعظم القوّات بعد ذلك بساعات

قليلة، وسبق الإنزال قصف جوي عنيف للمدفعية الساحلية.

تلخصت العمليات بعد ذلك بقيام الجنرال باتون بالهجوم على اتجاهين من الشرق إلى الغرب، مع امتداد الشاطىء الجنوبي، ثم من الجنوب نحو الشمال، من داخل الجزيرة نحو باليرمو، مع تحوّل نهائي في الاتجاه نحو شمالي شرقي مسينا.

ومقابل ذلك عمل الجيش الثامن بقيادة مونتغومري على احتلال المناطق الجبلية الصعبة، مع إجراء مناورات على اتجاهي الشرق والغرب، وكان هدفه الوصول إلى مسينا التي سقطت يوم ١٦ آب ـ أغسطس ـ أي بعد ٣٨ يوماً من المعارك الضارية خسر فيها الحلفاء ٣١ ألفاً من جنودهم بينهم ٥ آلاف قتيل، ومقابل ذلك خسرت قوات المحور ٣٥ ألف قتيل وجريح، و ١٣٢ ألف أسير منهم ٣٧ ألف أسير ألماني. ولم يعد الحلفاء مفصولين عن إيطاليا إلاّ بمضيق مسينا.

وتسارعت الأحداث، وحلّ الماريشال (بادوليو)[1] محل موسوليني الذي اعتقل وفرضت عليه الإقامة الإجبارية. فقام بادوليو بإجراء مفاوضات مستفيضة ـ سريّة ـ انتهت بعقد هدنة نشرت نصوصها يوم ٨ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٣. وأمكن تحييد الأسطول الإيطالي وشلّه يوم ١٢ أيلول ـ سبتمبر ـ، كما شرع الألمان بالانسحاب من جزيرة

---

(١) بادوليو: (BADOGLIO - PIÈTRO) ماريشال إيطالي، ولد سنة ١٨٧١، وأصبح حاكماً على ليبيا ـ برقة وطرابلس ـ سنة ١٩٢٨، ثم نائباً للملك في أثيوبيا ـ الحبشة ـ سنة ١٩٣٦، ثم رئيساً للوزراء بعد سقوط موسوليني سنة ١٩٤٣. ودخل في مفاوضات سرية طويلة مع أيزنهاور، انتهت بتوقيع معاهدة الهدنة.

سردينيا يوم ٨ أيلول ـ سبتمبر ـ، إلّا أنهم أحكموا قبضتهم بقوة على إيطاليا ودفعوا قوّاتهم بسرعة حتى منطقة نابولي.

عمل أيزنهاور على تقويم الرجال والمواقف في معركة صقليا، فقدر (للجنرال برادلي)[1] كفاءته القيادية العليا، ولهذا فعندما استشاره الجنرال مارشال فيمن يقترحه لقيادة القوّات الأمريكية في بريطانيا، رشّحه لهذا المنصب. ووافق الجنرال مارشال، وانتقل عمل برادلي إلى إنكلترا.

وكذلك فقد نظر بتقدير كبير إلى ما قام به الجنرال باتون، وقال عنه:

«ليس من شك في أن ـ باتون ـ طالب حرب حاد الذكاء، سريع الفهم، يقدّر السرعة في العمليات الحربية قدر حقّها، ويعطيها أهميتها، لأن السرعة تساعد الجنود على إضعاف ما يتمتع به العدو من ميزات. وأهم من ذلك أنها تجعل الذي يقوم بها قادراً على استثمار

---

(١) الجنرال برادلي: (BRADLEY, OMAR NELSON) جنرال أمريكي، ولد سنة ١٨٩٣، وأصبح مدرّساً في الكلية الحربية الأمريكية (ويست بوينت) سنة ١٩٣٤، ثم مديراً لمدرسة المشاة في فورت بينينغ سنة ١٩٤١، وعُيّن قائداً لفرقة المشاة الأمريكية الثامنة سنة ١٩٤٢ وعينّ قائداً للفيلق الأمريكي الثاني في معركتي تونس وصقليا سنة ١٩٤٣. وأصبح قائداً للجيش الأمريكي الأول في النورماندي سنة ١٩٤٤. وعينّ رئيساً لهيئة الأركان الأمريكية سنة ١٩٤٨، ثم أصبح أول رئيس لهيئة الأركان الأمريكية المشتركة في ١٦ آب ـ أغسطس ـ سنة ١٩٤٩، وأُحيل على التقاعد في ١٤ آب ـ أغسطس ـ سنة ١٩٥٣. اشتهر بأنه من هواة دراسة التاريخ العسكري. وكان دوره بارزاً في عمليات اجتياح الغرب.

نجاح العملية بعد الأخرى، دون أن يترك مجالاً للعدو أن يعدل خطوطه ويجمع قوّاته ليقوم بالهجوم، وإن نجاح السرعة في الخطوة الأولى يمهّد الطريق نحو نجاح أسرع في الخطوة التالية، مما يؤدّي في النهاية إلى تدمير الروح المعنوية للعدو وسلبه إرادة القتال. وإن السرعة التي لا يعتريها الكلل في مطاردة العدو تعود على من يقوم بها بأغلى جائزة في الحروب وأثمنها.

يجب على القادة والجنود اغتنام الفرص للاندفاع بتصميم وعناد من أجل ضمان السرعة، وعلى القائد الأعلى إعداد الوحدات والجنود للعمل بسرعة بعد نجاح كل عملية. ولا يستطيع الجيش أن يعمل بسرعة في الحروب إلّا إذا عمل القائد على إعداد الجنود والوسائط والمواد التموينية، وعرف كيف يوزعها، فإذا فشل في ذلك عرّض جنوده للخطر، أما إذا نجح فإنه يحصل على أعظم الانتصارات بأقلّ ما يمكن من الإصابات. وتتطلب السرعة درجة عالية من التدريب وجرأة وقدرة على الحركة، وثقة بالنفس ومعنويات عالية وقيادة ماهرة، بالإضافة إلى ضرورة توافر وسائط النقل التي يجب أن تبقى جاهزة أبداً للعمل. وقد توافرت للجنرال باتون كل هذه المتطلبات، فكان نجاحه ضربة قوية هزّت كيان الدولة الإيطالية ـ وتصدّع بناء موسوليني ـ[1] فسقط من الأعلى إلى الأسفل».

---

(١) موسوليني: (MUSSOLINI - BENITO) رجل دولة إيطالي (١٨٨٣ ـ ١٩٤٥) اعتنق الاشتراكية في البداية، ثم نظم الحزب الفاشي سنة ١٩١٩، واستولى على السلطة سنة ١٩٢٢ عن طريق ما أطلق عليه اسم (مسيرة روما). وعقد مع هتلر =

جابهت أيزنهاور، بعد الاستيلاء على صقليا، مشكلة إقامة إدارة حكومية مدنية لاستلام زمام الأمر من يد القادة العسكريين. وكانت الحكومتان الأمريكية والبريطانية قد أعدّتا للأمر عدّته، فدرّبتا عدداً من الإداريين والفنيين، وفتحت المدارس الخاصة لتحقيق هذه الغاية. وقد عمل هؤلاء الإداريون على الاضطلاع بواجباتهم على مؤخرة القوّات. وكان نجاحهم أو فشلهم يؤثّر على الأعمال القتالية. فإذا عرفوا كيف يستميلون الناس وإقناعهم بالخلود إلى الهدوء والسكينة فإنهم يضمنون سلامة المواصلات وحماية إمداد القوات وأمنها. أما إذا فشلوا فاستفزوا الأهلين واستثاروهم، فإن هؤلاء الأهالي قد يقومون بأعمال التخريب والتدمير واغتيال الجنود وغير ذلك مما يخلق الاضطراب والفوضى. وكان عدم ظهور أي شيء من هذه الأعمال برهاناً أكيداً على نجاح هؤلاء الإداريين والفنيين في عملهم.

كان الاستيلاء على صقليا هو البداية لتطوير الأعمال القتالية؛ فقد استطاع مونتغومري أن يتسلل بفرقتين عبر مضيق مسينا في إحدى الليالي، دون أن يلقى أية مقاومة.

وهكذا أصبح غزو الحلفاء للقارة الأوروبية أمراً واقعاً منذ يوم ٣ أيلول - سبتمبر - ١٩٤٣ عندما اخترق مونتغومري مضيق مسينا. وبعد خمسة أيام، أي في يوم ٨ أيلول - سبتمبر - توافرت المعلومات

= حلفاً لدخول الحرب (باسم دول المحور) سنة ١٩٤٠ وقد وقع انقلاب ضده سنة ١٩٤٣، وقتل بطريقة بشعة (يوم ٢٨ نيسان - أبريل - ١٩٤٥) في قرية كوم (CÔME) حيث كانت قد فرضت عليه الإقامة الإجبارية فيها.

لدى أيزنهاور بأن المعسكر الإيطالي في (ساليرنو) قد أبدل بقوات ألمانية قوية جداً، وأن عملية غزو ساليرنو ستصطدم بمقاومة عنيفة تبلغ ذروتها بعد اليوم الرابع من بداية الإنزال، فتقرر تنفيذ الإنزال بقوة أربع فرق بالإضافة إلى فرقتين يتم زجهما بعد ذلك. وكان لا بدّ لتحقيق النجاح من الاستيلاء على مطار (فوجيا) الواقع عند كعب قدم إيطاليا الشرقي ـ بجوار تورنتو ـ. وقد أخذ الأميرال كوننغهام ـ البريطاني ـ على عاتقه إنزال القوات في ساليرنو، ونجح بإنزال فرقة المظليين على اليابسة، دون أية مقاومة، مما خفف الضغط عن مونتغومري، فتقدّم جنوده بسرعة وأمكن لهم تأمين اتصال جناحهم الأسر بميمنة الجيش الأمريكي قرب خليج ساليرنو (يوم ١٦ أيلول ـ سبتمبر ـ) بينما اتصل جناح قوات مونتغومري الأيمن بفرقة المظليين البريطانية، واندمج معها، ونجح في الاستيلاء على مطار فوجيا في الوقت ذاته.

علم أيزنهاور وهو يتابع معركة ساليرنو، في أخطر مراحلها، بأن الرئيس روزفلت قد اتّفق مع المستر تشرشل على عقد مؤتمر لهما في القاهرة. وسبق المستر تشرشل الرئيس روزفلت، فوصل إلى مالطا واجتمع طويلاً بأيزنهاور، ودار البحث في شؤون الحرب عامة. ولكن المستر تشرشل ركّز على الموضوع الذي كان يشغل تفكيره، وهو **مهاجمة ألمانيا من أضعف النقط، وتوجيه الضربة إلى معدتها حيث لا دروع ولا تحصينات، وما زالت اليد على المحراث. فمواصلة الهجوم من الجنوب أضمن، لأن هتلر أقام جهازاً دفاعياً في الشمال يصعب التغلب عليه. ولطالما ردد على مسامع أيزنهاور كلّما ذكر أمامه**

خطة الغزو من الشمال: «لنحذر من أن تصطبغ أمواج الأطلسي بدماء الشبيبة الأمريكية والإنكليزية، أو تغصّ الشواطىء بما يتراكم عليها من أجسادهم». وكان أيزنهاور كلما سمع المستر تشرشل وهو يظهر حماسته لغزو أوروبا من الجنوب ـ عبر إيطاليا ـ ويزهد في الثانية وينهى عنها، يعتقد بأن المستر تشرشل إنما ينظر إلى الأمور بعين السياسي، ويرى أن الهجوم من الجنوب يبقي البلقان في حظيرة الغرب ويحرم روسيا من ابتلاعه، في حين كان ينظر أيزنهاور إلى الأمور من الزاوية العسكرية فحسب، فهو يريد أن يسحق خصمه بأقرب الطرق وأقصرها. ولقد أفاد تشرشل من إقامته في مالطا، فأقام حفلاً في قصر الفرسان القديم في مالطا، وعلّق على صدر أيزنهاور وعلى صدر الجنرال ألكسندر وسامين باسم ملك بريطانيا العظمى.

دُعي أيزنهاور بعد ذلك بأيام قليلة للذهاب إلى وهران لاستقبال الرئيس روزفلت، ودارت بينه وبين الرئيس الأمريكي أحاديث عامة. ثم علم في حديث له مع الجنرال مارشال والأميرال كينغ حيث أنزلهما في ضيافته إنقاذاً لهما من الرسميات المتحتمة عليهما وهما في حاشية الرئيس، علم أنه كان قد تمّ الاتفاق بين الرئيسين على تعيين قائد بريطاني للغزوة المتوقعة لفرنسا. ولكنه لما ظهر للرئيس روزفلت أن معظم القوات التي ستقوم بها هي من الأمريكيين، أبلغ رئيس الوزراء البريطاني المستر تشرشل بأن الرأي العام الأمريكي يحتجّ إذا كانت الحملة أمريكية في معظمها ولكن قيادتها في أيدٍ إنكليزية، ولذلك فهو لا يقبل إلّا بتعيين قائد أمريكي، وقبل المستر تشرشل على



الجنرال ألكسندر.

مضض لأنه كان قد وعد (آلان بروك)[1] بالقيادة. وبناءً على ذلك فستصبح القيادة في البحر الأبيض المتوسط بيد أحد القادة الإنكليز، لأن معظم الجنود هنا هم من البريطانيين. كما علم أيزنهاور أيضاً بأن الرئيس روزفلت كان يريد تعيين الجنرال مارشال قائداً لغزو أوروبا، إلّا أن كينغ قد عارضه في ذلك، لأن انشغال مارشال في القيادة، وابتعاده عن الجبهة الداخلية في أمريكا وعن هيئة قيادة الحلفاء، سيؤدّي إلى نتائج سيئة. أما بالنسبة لتشرشل فقد امتعض لفشله في عدم تعيين صديقه (آلان بروك) قائداً للحملة على أوروبا، إلّا أن الاقتراح بتعيين مارشال قد أبهجه، إذ أن ذلك يعني بأن أمريكا ستلقي بثقلها في كفّة الميزان ـ للغزو ـ.

اجتمع أيزنهاور مرة ثانية بالرئيس روزفلت في صبيحة اليوم التالي، ودار الحديث في موضوع الغزوة الكبرى، وأظهر الرئيس روزفلت مدى ما يعلقه عليها الرأي العام الأمريكي ـ خاصة ـ من الآمال، وأشار إلى أنه كان يرغب في تعيين مارشال لقيادة الحملة، إلّا

---

(١) آلان بروك: (BROOKE, SIR ALAN FRANÇIS) فيلد مارشال بريطاني (١٨٨٣ ـ ١٩٦٣) كان ضابطاً في المدفعية خلال الحرب العالمية الأولى، ثم عيّن قائداً لمدرسة المدفعية سنة ١٩٢٩. ثم مدرّساً في معهد الدفاع البريطاني، ١٩٣٢. وعيّن قائداً للفرقة الآلية ١٩٣٧. ثم قائداً للدفاع المضاد للطائرات ١٩٣٨ ثم قائداً أعلى للجبهة الجنوبية ١٩٣٩، ثم قائداً للفيلق الثاني الذي رافق الحملة البريطانية إلى فرنسا سنة ١٩٣٩. وقد نجح آلان بروك في سحب فيلقه من دونكرك في الوقت المناسب سنة ١٩٤٠ فعيّن قائداً للجبهة الجنوبية، ثم رئيساً لهيئة الأركان البريطانية ١٩٤١. وعمل بشكل وثيق مع المستر تشرشل طوال فترة الحرب.

أنه من الصعب عليه الاستغناء عنه نظراً لما يتمتع به الجنرال مارشال من الشعبية الكبيرة في أمريكا، بالإضافة إلى ما يتحلى به من سداد الرأي.

وختم حديثه بقوله: «اللعب بالنار هو حماقة، وقد يكون من السخف تقويض أركان فريق تجلّت مهارته في عمله لنقيم مكانه فريقاً نجهل إمكاناته».

وغادر روزفلت وهران في اليوم التالي، وانتقل إلى القاهرة بعد أن طلب إلى أيزنهاور أن يلحق به إلى هناك بعد يومين أو ثلاثة.

تبين لأيزنهاور خلال مباحثات القاهرة، أن وجهات النظر كانت متطابقة إلّا في نقطة واحدة؛ فقد أراد الإنكليز استثمار الحملة الإيطالية إلى أبعد مدى حتى ولو أدّىٰ ذلك إلى تأخير غزو فرنسا من الشمال، إلّا أن الأمريكيين رفضوا البحث في كل ما من شأنه إضعاف الغزوة الكبرى أو تأخيرها، على أنهم مستعدون للتعاون مع الإنكليز قدر استطاعتهم في البحر الأبيض المتوسط، ولكن ليس على حساب ما هو أهم. وقال الإنكليز إنه إذا شدّد الحلفاء ضغطهم على إيطاليا ودعموا قوّاتهم بالرجال والأعتدة كما يلزم فإن غزو فرنسا عبر القنال يصبح ثانوياً، لأن ألمانيا قد تنهار تحت الضربات المسدّدة إليها من الجنوب.

وطرح أيزنهاور رأيه في هذا الموضوع، والذي تلخّص بعدم التعهد للقيام بأي نشاط في البحر الأبيض المتوسط على حساب غزو أوروبا

من الشمال، إلاّ أنه يجب الاحتفاظ بقوة كافية في إيطاليا لإشغال عدد من الفرق الألمانية. وقد تبنّى المؤتمر هذا الرأي وقرّر تنفيذه.

أُتيحت الفرصة لأيزنهاور من أجل الاجتماع من جديد بالرئيس روزفلت الذي أنعم عليه في حفل رسمي بوسام الاستحقاق من الدرجة الأولى. وحصل أيزنهاور على إجازة لمدة يومين، أفاد منها لزيارة الأقصر ومشاهدة آثار حضارة مصر القديمة، ثم انتقل إلى بيت المقدس ـ جواً ـ وزار بيت لحم، وبعض الأماكن المقدّسة، ثم رجع إلى القاهرة، فيما ذهب الرئيسان روزفلت وتشرشل لعقد مؤتمر طهران مع الزعيم ستالين.

ما إن استقر أيزنهاور في عمله ـ في إيطاليا ـ حتى جاءه إعلام بأن الرئيس روزفلت سيمرّ بونس في طريق عودته من طهران إلى



«ستالين»، و «روزفلت»، و «تشرتشل» في مؤتمر «طهران»، في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٣.

واشنطن، وتوجّه أيزنهاور إلى تونس ليكون في استقبال رئيس بلاده. وتلقّى وهو في طريقه برقية من الجنرال مارشال جاء فيها: «**تطلبت الترتيبات الجديدة نقلكم من المتوسط**». وعندما وصل الرئيس روزفلت، وجلس أيزنهاور إلى جانبه في السيارة، بادره الرئيس روزفلت بقوله: «**ما رأيك يا آيك؟ ستصبح القائد العام للغزوة الكبرى**» وردّ أيزنهاور: «**إني أقدّر يا سيدي أهمية هذا المنصب وما يترتب عليه من تبعات، وأرجو اللَّه أن يساعدني حتى أكون عند حسن ظنكم بي**».

وعقّب روزفلت، بأنه لم يصمم بعد على إعلان تعيين أيزنهاور في منصبه الجديد، ولذلك يفضّل أن يبقى أمره سراً حتى تحين اللحظة المناسبة، وأنه لم يتم بعد العثور على اسم فخم يطلق على مركز أيزنهاور الجديد، لأن ما يحيط بالاسم من أبهة له مفعول خاص في التأثير على النفوس.

عاد الرئيس روزفلت إلى واشنطن بعد زيارة قصيرة لمالطا وصقليا، وما لبث أن أذاع بأنه سيلقي خطاباً مهماً في ليلة عيد الميلاد (٢٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٣). وفي الوقت المحدد، ألقى خطابه الذي ذكر فيه تعيين أيزنهاور قائداً عاماً للغزوة الكبرى التي أطلق عليها اسم: «القائد الأعلى لحملة قوىٰ الحلفاء».

بات لزاماً على أيزنهاور مغادرة مسرح العمليات الذي أحبه، وعرف فيه حلاوة الخدمة الميدانية. ولكن كان لا بدّ له قبل رحيله من اتخاذ بعض الإجراءات، ومنها تعيين مساعد أمريكي للقائد

الإنكليزي الذي سيحل محله في قيادة عمليات البحر الأبيض المتوسط ـ الجنرال ويلسون ـ وكان على هذا المساعد الأمريكي أن يتولى في الوقت ذاته قيادة الجيش الأمريكي على هذا المسرح من مسارح العمليات، مع ما يتبع ذلك من أعباء إدارية ومشاكل الإمداد والتموين، والترفيع والعقوبات وتأمين الاتصالات والمراسلات مع القيادة العليا. وهنا توجّه أيزنهاور بتفكيره إلى ما يحتاجه من القادة الأمريكيين والإنكليز على مسرحي إيطاليا وبريطانيا. وكان متفقاً مع الجنرال مارشال على أن يتم تعيين كل رجل في المكان الذي يناسبه، حتى يستطيع هذا الرجل الإسهام بأكبر قسط ممكن في المجهود الحربي. وأسرع لكتابة رسالة إلى الجنرال مارشال يوم ٢٣ كانون الأول ـ ديسمبر ـ سنة ١٩٤٣، جاء فيها:

«لا أرى من الضروري تعيين قادة للجيوش البريطانية والأمريكية في أول مرحلة، لأن ذلك قد يؤخّر من الإجراءات المطلوبة لتنسيق التعاون بين قوّات البرّ والبحر والجو. وعندما يصبح تعيين القادة ضرورياً، فإني أود تعيين القائد الذي اشترك معي في المعارك، وذاق طعم الحرب الفعلية. ولا أرى من هذه الناحية أفضل من تعيين الجنرال برادلي قائداً عاماً للجيوش الأمريكية في الغزوة الكبرى، على أن يكون الجنرال باتون قائداً لأحد الجيوش، والجنرال هودجز سمبسن قائداً لجيش آخر. وأتمنى أن يعيّن الجنرال دوفرز قائداً للقوات الأمريكية في المتوسط، وأن يبقى الجنرال كلارك في الاحتياط لقيادة الحملة التي ستقوم بغزو فرنسا من الجنوب».

أخذ أيزنهاور في إجراء إعادة تنظيم للقوات وللوسائط، مع تبديل

في القادة، وبينما هو على وشك مغادرة أفريقيا إلى إنكلترا يوم ١٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٤، تلقى برقية من الجنرال مارشال طلب فيها إلى أيزنهاور الحضور بسرعة إلى واشنطن من أجل مقابلته ومقابلة الرئيس روزفلت لمدة قصيرة، قبل انتقاله إلى مقرّ عمله الجديد. ولكن أيزنهاور طلب تأجيل الزيارة إلى ما بعد وصوله إلى لندن والإقامة فيها فترة قصيرة لدراسة الموقف فيها. وجاءه الرد: «عَيِّنْ من تشاء محلك في إدارة الحرب لمدة عشرين دقيقة، وأسرع إلى واشنطن».

ولم يعد لأيزنهاور خيار، فتوجه إلى واشنطن بعد أن أَعلم المستر تشرشل. ورجع بعد أسبوع تقريباً إلى أفريقيا لإنجاز بعض الأعمال، ثم عاد إلى لندن فوصلها يوم ١٥ كانون الثاني ـ يناير ـ وشرع على الفور بممارسة دوره في الإعداد للغزوة الكبرى. وشعر منذ اللحظة الأولى بالفارق الكبير الذي بات مميزاً بين هذه البداية، والبداية التي سبقتها قبل عام تقريباً عند التخطيط لغزو شمال أفريقيا. لقد حلّ النظام محل الفوضى، وحلّت الثقة والأمل محل الشك والتردّد، إنها خبرة الحرب.

«إن الوحدة في القيادة، والتعاون بين عناصرها، وتنسيق التعاون بين عمل القوى البرية والبحرية والجوية هي أساس النجاح في الأعمال القتالية»

أيزنهاور.

الفصل الثاني

١ ـ حروب ما قبل الحرب.

٢ ـ أطول يوم في التاريخ.

٣ ـ ماذا حدث في الأرنيم؟

٤ ـ التوقف الإجباري والتقدّم القسري.

٥ ـ الأردين ، والجهد اليائس.

٦ ـ الهجوم الحاسم ـ والنهائي.

٧ ـ أيزنهاور ـ وإدارة الحرب.

٨ ـ رجل المبادىء.

١ ـ حروب ما قبل الحرب

تتميز مرحلة الإعداد للحرب، بصراعاتها الصامتة ضد عوامل كثيرة، ليس من أقلّها أهمية وضع المخططات الدقيقة والمحكمة لأعمال القوّات خلال المراحل المتتالية، وتحديد الواجبات المختلفة للتشكيلات والوحدات المقاتلة، واختيار القادة والوحدات، وتنسيق التعاون، وحشد القوى، وإجراء التجارب، ودراسة التطورات المحتملة على جبهة العدو ومواقف قوّاته علاوة على دراسة أرض العمليات والأحوال الجوية الخ. . . ولا بدّ من أن تسير مرحلة الإعداد على كافة الصُعد والمستويات في آن واحد، ووفق جدول زمني دقيق.

وإذن فليس من الغريب أن يطلق على مرحلة الإعداد المضنية اسم (حروب ما قبل الحرب). ولقد انطلق أيزنهاور بحماسته كلها لخوض حروب ما قبل الحرب ومعه جهاز قيادة أُحْسَنَ اختيار عناصره بدقة، فكان معه مارشال الجو السير آرثر تيدر والجنرال عمر برادلي والجنرال السير برنارد مونتغومري والجنرال سباتس والأميرال السير برترام رمزي، وكلهم قد عرف الحرب وخاض تجربتها ومارس القيادة فيها، وعرف أهمية دمج العناصر المختلفة للعمل بقوّة واحدة. وتم تعيين مارشال الجو السير ترافورد ميلوري ـ الذي اكتسب خبرة واسعة في معارك الجو التي حدثت في سماء بريطانيا ـ قائداً عاماً لسلاح

الحلفاء الجوّي. وانضم جورج باتون إلى جهاز القيادة، فكان الملازم الدائم للجنرال أيزنهاور في كلّ أعماله. ثم اختار أيزنهاور مقرّ قيادته في ضاحية من ضواحي العاصمة البريطانية، وأطلق عليه اسم «المركز الأعلى لحملة قوّات الحلفاء» واختصره بكلمة «شاف».

كان الأمر الذي تلقّاه أيزنهاور لبناء خطّته، بسيطاً، ومختصراً، وأهم ما جاء فيه:

«إنكم ستعملون على غزو أوروبا بالتعاون مع حلفائنا. وعليكم أن تقوموا بعمليات تهدف إلى التوغل في قلب ألمانيا وتدمير قوّاتها المسلّحة».

وعلى هذا فقد كان (مبدأ التدمير) هو المبدأ الذي يجب له أن يهيمن على كافة الأعمال القتالية. فاعتبرت النقط الجغرافية الهامّة في قلب ألمانيا هي تلك التي تجهز القوّات بالأعتدة والمواد التموينية. ولما كان وادي الرور هو المركز الأساسي لصناعة الذخائر وإمداد الجهاز الحربي الألماني بالأسلحة، فقد اعتبر أنه أهمّ نقطة في غرب ألمانيا ويليه في الأهمية حوض السار.

أما بالنسبة للطرق الطبيعية التي تجتاز نهر الراين للوصول إلى قلب ألمانيا، فقد كانت هناك ثلاث طرق رئيسة: أوّلها يقع شمالي وادي الرور. وثانيها يمر في منطقة فرانكفورت وثالثها يمرّ جنوباً في منطقة ستراسبورغ،وكان الطريق الشمالي هو أفضلها لثلاثة أسباب رئيسة: أوّلها أن طبيعة الأرض الواقعة إلى الشمال من وادي الرور، وقرب نهر الراين، تصلح جداً للأعمال الهجومية. وثانيها أن التقدّم فيها يمكن

من الوصول إلى حوض الرور مباشرة بعد عبور نهر الراين وبذلك يتم حرمان الجيش الألماني من أهمّ معامل تسلحه. وثالثها: هو أن هذه الطريق الشمالية تقع قريباً من البحر. فإذا ما تمّ احتلال مرفأ أنتويرب[1] فإنه يصبح بالمستطاع تأمين الإمدادات والمواد التموينية بسهولة أكبر لقوّات الغزو. وبعد مناقشات كثيرة، وإجراء تعديلات متتالية، تم وضع المبادىء الأساسية للخطة كالتالي:

أولاً: إنزال القوّات على شواطىء النورماندي في فرنسا.

ثانياً: تجميع القوى والوسائط من أجل خوض المعركة الحاسمة في منطقتي بريتاني والنورماندي، وتدمير الخطوط الدفاعية الألمانية، والانطلاق إلى ما وراء الطوق الذي يحاول الألمان إحكامه حول قوّات الإنزال، على أن تجري عمليات الإنزال الفنية في المرحلتين الأولى والثانية تحت قيادة مونتغومري.

ثالثاً: مطاردة القوّات الألمانية على جبهة واسعة ـ عريضة ـ بمجموعتين من الجيوش، وتركيز معظم القوّة في الميسرة من أجل الاستيلاء على المرافىء، والوصول إلى حدود ألمانيا، وتهديد وادي الرور، بينما تسير ميمنة القوّات نحو الجنوب الشرقي للاتصال بالقوّات الزاحفة من جنوبي فرنسا.

رابعاً: إعادة تجميع القوى والوسائط القتالية على الحدود الغربية

---

(١) أنتويرب: (ANTWERP) هو الاسم الفلامنكي لمدينة أنفرس (ANVERS) وهي مدينة بلجيكية، لها خليج من أضخم موانىء العالم وأكثرها نشاطاً على مصبّ نهر الإسكوت (ESCAUT).

لألمانيا، وذلك بعد احتلال موانىء بلجيكا وفرنسا. والقيام بهجوم عام مركّز تشترك فيه المشاة والمدرّعات والمدفعية والطائرات لتدمير القوّات الألمانية غربي نهر الراين، مع العمل في الوقت ذاته على احتلال رؤوس جسور عبر النهر.

خامساً: شنّ هجوم مزدوج ومتلاقي (كماشة) على حوض الرور لتطويق وإبادة القوّات الضخمة التي حشدتها ألمانيا لحماية تلك المنطقة الحساسة، ومن ثم احتلال جميع الأراضي الألمانية، وإنهاء الحرب.

بقي من الضروري بعد ذلك تحديد وقت، أو موعد الهجوم، وكان الرئيسان الأمريكي والإنكليزي قد وعدا ستالين بأن يبدأ الهجوم في شهر أيار ـ مايو ـ مع إمكانات التأجيل لبضعة أيام تبعاً لحالة المناخ والظروف الجوية. وكان هذا التوقيت مناسباً من وجهة نظر العمليات، إذ كان يسمح للأعمال القتالية باستثمار فصل الصيف، والوصول إلى حدود ألمانيا قبل حلول فصل الشتاء، مما يحرم في الوقت ذاته ألمانيا من تنظيم خطوط دفاعية جديدة. وكانت المعلومات تشير إلى أن المدّ في القنال الإنكليزي يرتفع بشكل مناسب في أوائل أيار ـ مايو ـ مما يسمح لقوارب الإنزال بالوصول دون كبير عناء إلى الشواطىء الفرنسية.

أخذ أيزنهاور في استقبال عدد من الضبّاط الوافدين إليه من واشنطن، منذ بداية فصل الربيع، حاملين إليه تقارير شفهية ذات طابع سرّي جداً عن آخر ما وصل إليه الألمان من إنتاج وتطوير الأسلحة الجديدة، بما في ذلك الأسلحة الجرثومية والذرّية. وكان مما

علمه أيزنهاور أن العلماء الأمريكيين قد أحرزوا تقدّماً كبيراً في أبحاث هذين السلاحين، وأن العلماء الأمريكيين قد استنتجوا عن طريق التنبؤ العلمي المراحل التي وصل إليها العلماء الألمان. وقد تمّ تأكيد هذه المعلومات عن طريق شبكات الجاسوسية الأمريكية في أوروبا. كما جاءت الصور الجوية فأبرزت مواقع بعض القواعد الغريبة في شكلها والتي قد تكون هي مراكز أبحاث هذه الأسلحة وإنتاجها.

حشدت أمريكا وبريطانيا أكبر العلماء والفنيين - التقنيين - والباحثين للمساعدة على تقديم المعلومات عن آخر ما وصل إليه الألمان من ابتكارات، وتحديد الأمكنة التي يعملون بها، وذلك حتى يتم توجيه القاذفات لضرب وتدمير كل بقعة، قد ينشأ الخطر منها على الحلفاء وقوّاتهم، لأن عملاء الحلفاء في ألمانيا لم يتمكّنوا في البدء من معرفة أي شيء عن الأسلحة الجديدة ولا عن أمكنة صنعها، إلاّ أن علماء الحلفاء والخبراء استطاعوا تزويد أيزنهاور قبل بداية الغزو بالمعلومات الدقيقة عن مكان وصفات وإمكانات الأسلحة الألمانية الجديدة.

وجد أيزنهاور، مع اقتراب شهر أيّار - مايو - من بدايته، أنه مضطر إلى تأخير موعد بداية الغزو حتى مطلع شهر حزيران - يونيو - بسبب ضرورة تعديل مخطط الغزو الذي قدم إليه، إذ كان هذا المخطط يقضي بزج ثلاثة فرق فقط على جبهة ضيقة، بينما وجد أيزنهاور أنه من الضروري إنزال خمسة فرق في الموجة الأولى للهجوم. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت هناك ضرورة لاستخدام أكبر عدد من القاذفات لتدمير الخطوط الدفاعية الأمامية، ولمباغتة ما ترسله القيادة الألمانية من

قوات، وتدميرها، مع قصف خطوط المواصلات. وكان المناخ في شهر أيار ـ مايو ـ سيّئاً، والسماء ملبّدة بالغيوم الداكنة، مما كان يعيق الطائرات القاذفة من تنفيذ واجباتها. واتخذت في الوقت ذاته التدابير لتنفيذ الخطة الخداعية، لإيهام القيادة الألمانية وتضليلها عن منطقة الإنزال وجعلها تعتقد بأن الإنزال سيتم في منطقتي بادوكاليه ودونكرك، وهما المنطقتان الأكثر قرباً من إنكلترا، واللتين تتوافر فيهما موانىء جيّدة. وكان المخطط العام للعملية يقضي بإنزال قوّات للحلفاء في جنوب فرنسا في وقت واحد مع الإنزال في شمالها.

وتبيّن أنه لن تتوافر السفن الضرورية لإنزال القوّات في الجنوب مع بداية شهر أيار ـ مايو ـ بسبب انشغال الأسطول الأمريكي في عمليات المحيط الهادي ـ ضد اليابان ـ وهذا ما دفع مونتغومري للكتابة في يوم ٢١ شباط ـ فبراير ـ، طالباً إلغاء عملية الجنوب، إلّا أن أيزنهاور رفض الإلغاء، واقترح تأجيل عملية الجنوب لبعض الوقت وتأخيرها قليلاً عن عملية الإنزال في الشمال، بحيث يتم إرسال السفن الضرورية من القنال الإنكليزي بعد الإنزال في النورماندي وبريتانيا.

برزت أمام أيزنهاور مشكلة خطيرة عند وضع خطة (القصف الاستراتيجي) للنقاط الحساسة في خطوط المواصلات الألمانية على الأراضي الفرنسية، والتي كانت مميزة بارتفاع كثافتها السكانية، بحيث أشارت التقديرات إلى أن عمليات القصف ستقضي على حياة ثمانين ألفاً من المدنيين الفرنسيين على أقلّ تقدير، وهذا ما دفع الرئيس البريطاني تشرشل إلى إرسال رسالة لأيزنهاور رجاه فيها

تجنّب أي نشاط يؤدّي إلى هلاك عدد كبير من الفرنسيين ـ لأسباب إنسانية أولاً ـ ومن أجل معاملة الشعب الفرنسي معاملة الصديق، واكتساب ودّه وإخلاصه أيام الحرب وبعدها.

نتيجة لذلك اتخذت التدابير للحدّ من الخسائر المحتملة. فتم إنزال المنشورات بواسطة الطائرات لتحذير السكّان، والطلب إليهم بالابتعاد عن مناطق الخطر قبل وقوع الغارات، مع إرسال التحذيرات بواسطة الإذاعة ـ الراديو ـ. وأمكن الإفادة من هذه الوسيلة في إطار الخطة الخداعية، فتمّ تحذير سكان منطقة بادوكاليه بصورة خاصة، لجعل الألمان يتأكّدون بدرجة أكبر أن هذه المنطقة ستكون هي المعرّضة للإنزال. وهكذا، وفيما كانت أعمال القصف مركّزة على خطوط المواصلات، كانت الطائرات القاذفة تتابع عملها في قصف المنشآت البترولية والمعامل في ألمانيا ذاتها، مع تحدّي سلاح الجو الألماني، وحمله على الاشتراك في المعارك الجوية لإنهاكه واستنزافه قبل البدء بالغزو.

شملت التحضيرات إقامة موانىء اصطناعية وأرصفة عائمة، مع إجراء مناورات تدريبية على عمليات الإنزال، وإعداد الوسائط الهندسية الضخمة لإصلاح الموانىء والخطوط الحديدية والطرق البرية والجسور وإنشاء المطارات، مع اتخاذ التدابير للإمداد والإخلاء. وقد أشارت الحسابات في تلك الفترة أن الفرقة تحتاج إلى إمداد يومي بوزن سبعة أطنان، فكان لزاماً تكديس ما يكفي من الأعتدة والمواد التموينية، واتخاذ التدابير لنقلها وإيصالها إلى الفرق في ميادين القتال، دونما أية إعاقة.

عندما اقترب موعد انتقال أيزنهاور وقيادته إلى الشواطىء، بدت أجزاء إنكلترا الجنوبية وأقاليمها، وكأنّها معسكراً واحداً. وكانت الحكومة البريطانية قد اتخذت الإجراءات الأمنية الضرورية التي أوصى بها أيزنهاور، ومنها إيقاف كافة المواصلات بين الجنوب وبين بقية أقاليم إنكلترا، كما تمّ إيقاف كل اتصال بين إيرلندا الحرّة وسائر الجزر البريطانية، خوفاً من تسلّل العملاء والجواسيس، وأوقفت الحكومة البريطانية سائر الاتصالات الديبلوماسية مع الخارج، ولم تحفل بما جاءها من احتجاجات. وعملت الحكومة البريطانية أيضاً على مصادرة جميع السفن والقاطرات ووضعت جميعها تحت تصرف القيادة العسكرية. ثم بدأ العمل مع مصلحة الأرصاد لمعرفة أفضل وضع لحركة الشمس والقمر من أجل تحديد موعد الهجوم. وتبينّ أن أيام ٥ و٦ و٧ حزيران ـ يونيو ـ هي أفضل الأوقات، إذ باستطاعة القوّات البحرية اجتياز القنال ليلاً، دون أن يعرف الألمان شيئاً عن وجهة سير القوافل، وفي الوقت ذاته، تصل طائرات إنزال المظليين عندما يكون القمر مشرقاً بحيث يتبين الجنود أهدافهم، ويبصرون طريقهم، وذلك بعد أن تكون القاذفات قد ضربت التحصينات الألمانية بشدة، ودمرت معاقله، وأذهلت رجاله في الأربعين دقيقة الأخيرة قبل ظهور أول ضوء.

بينما كان أيزنهاور منهكماً في إعداد الترتيبات النهائية للغزو، ولما يبقَ سوى شهر تقريباً لبدء العملية، دخل مارشال الجو لقوّات الحلفاء ـ الجنرال مالوري ـ وطلب إلغاء إنزال فرقتي المظليين الأمريكيتين ٨٢ و١٠١ بحجة صعوبة منطقة الإنزال وما يتوافر فيها من عقبات

طبيعية وصخور ومستنقعات، بالإضافة إلى مقاومات الألمان، مما يعرّض هذه الفرق لخسائر قد تصل حتى ستين أو ثمانين بالمائة. ووقف أيزنهاور ذاهلاً، فهل تراه يستطيع المجازفة بأفضل شباب الأمة وخيرة شبابها؟ وأعاد النظر في مخططات عملياته، فوجد أن إلغاء إنزال فرقتي المظليين في شبه جزيرة كونتنتان إنما يستدعي إلغاء إنزال القوّات البحرية أيضاً، وهذا يعني ببساطة إلغاء عملية الغزو بكاملها. ثم إن تقديرات مالوري هي تقديرات تخمينية تعتمد على الظن، وإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، واتخذ أيزنهاور قراره بإنزال قوات المظليين.

اشتدّت الغارات الألمانية على جنوب إنكلترا في مرحلة ما قبل الغزو. وجاء المستر تشرشل وطلب إلى أيزنهاور الانتقال إلى ملجأ أمين أعدّه له إعداداً خاصاً، وهو يحتوي على جميع وسائل الراحة. وسأل أيزنهاور الرئيس البريطاني، فيما إذا كان هو ذاته يقيم في ملجأ، فلما أجاب بالنفي، قال له أيزنهاور: «إن حياتي ليست أغلى ولا أعزّ من حياتك أيها الرئيس، ولعلمي أنك تذهب أثناء الغارة لتفقد ابنتك التي تعمل في إحدى بطاريات المدفعية المضادة للطائرات، فإنني لن أختبىء في ملجأ».

اعتاد المستر تشرشل أن يبدي رأيه في الغزوة الكبرى، فكان كل تقدّم في الإعداد يثير فيه المزيد من الثقة بنجاحها. وبالرغم من ذلك، فإنه لم يعطِ لآماله الفرصة الكاملة لتبدّد شكوكه، فقال في أكثر من مرة لأيزنهاور: «أيها الجنرال! إذا استطعت أن تحتلّ بالستة والثلاثين فرقة التي هي تحت إمرتك، شبه جزيرة كونتنتان، وإقليم بريتاني بما في ذلك مرفأ (شيربورغ) وذلك قبل حلول فصل الشتاء، فإنك تكون قد

قمت بعمل عظيم. وإذا استطعت احتلال مرفأ الهافر وتحرير باريس الجميلة، فإني أؤكّد لك أنك تكون قد أحرزت أعظم نصر عرفه التاريخ الحديث». وكان أيزنهاور يجيبه: «يا حضرة الرئيس، أُؤكّد لك اننا سنصل إلى حدود ألمانيا الغربية قبل بداية فصل الشتاء. واعلم أنه ليس لدينا فقط هذه الستة والثلاثون فرقة، بل لدينا أيضاً عشر فرق أخرى ستغزو فرنسا من الجنوب، هذا بالإضافة إلى الأربعين فرقة والتي ستأتي من أمريكا مباشرة لتنزل على أرض فرنسا». فيجيب: «إنها لميزة حسنة أن يكون القائد متفائلاً، ولكني لا أتصوّر أنك تستطيع احتلال مساحة من فرنسا تتسع لمثل هذا العدد من الفرق قبل حلول الشتاء. احتل باريس والهافر فقط، ولن تجد من يجرؤ على مطالبتك بأكثر».

استطاع الجنرال مونتغومري بالتعاون مع قادة الجو والبحر، أن يقدّم صورة كاملة ومفصّلة عن خطة هجوم القوّات البريّة على شواطىء فرنسا، على أن يكون الأمريكيون في الميمنة، والبريطانيون والكنديون في الميسرة، وبذلك بلغ اتساع الجبهة ستين ميلاً. ودعت رئاسة قيادة حملة الحلفاء لعقد المؤتمر الأخير في مدرسة القدّيس بولس يوم ١٥ أيّار ـ مايو ـ ١٩٤٤، ولم يبقَ ضابط من رؤساء أركان الجيش البريطاني في البلاد إلّا وحضره، كما حضره ملك بريطانيا والوزراء ورئيس حكومة جنوبي أفريقيا ـ الجنرال سمطس ـ وغيره من قادة الحلفاء، بحيث أنه لم يعقد مؤتمر كهذا طوال مدة الحرب، اجتمع فيه، أصحاب جلالة وسمو وفخامة وغيرها من ألقاب التشريف.

وكانت الغاية من عقده إعادة النظر في بعض القرارات التي اتخذت

في المؤتمر السابق، وتحديد دور كل قائد في العملية، والتعليمات التي يجب عليه توجيهها إلى قوّاته أو القوّات التابعة لقيادته، على أن يجري كل شيء بسريّة تامة. وتسنّى للحضور سماع كلمة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ومن ثم رئيس وزرائه، وحقّق المؤتمر نجاحاً رائعاً، وخرج الجميع وهم على ثقة بالنصر.

قدم الجنرال ديغول لزيارة أيزنهاور في مقرّ قيادته ـ في مدينة بورتسموث ـ وذلك قبل بدء الغزو بفترة وجيزة، وبحث معه عدداً من القضايا، ونشأ خلاف بين القائدين. فقد أراد ديغول أن يصدر عن أيزنهاور نداء إلى الفرنسيين يحدّد بوضوح أن ديغول هو حاكم فرنسا الفعلي، وأن من حقّه وحده إصدار الأوامر إلى الفرنسيين في طريقة تعاونهم مع جيش الحلفاء. ولم يستطع أيزنهاور موافقته، لا سيّما وأن الرئيس الأمريكي روزفلت قد رفض الاعتراف بالجنرال ديغول حاكماً لفرنسا، على أساس أن الشعب الفرنسي هو مصدر السلطة في بلاده، ولا حقّ للحلفاء في فرض حاكم على فرنسا، وأوصى بالإعلان عن استعداد الحلفاء للتعاون مع أية هيئة فرنسية تشترك في الجهد للقضاء على القوّات الألمانية، ولا يمانع الحلفاء من انتخاب تلك الهيئة للجنرال ديغول بأن يكون رئيساً لها.

ووقعت قيادة الحلفاء في حيرة بين ما أصدرته حكومتا الحلفاء ـ بريطانيا وأمريكا ـ من تعليمات، وبين ما طالب به الجنرال ديغول. وكان الحلفاء بحاجة لدعم الأنصار الكثر في إقليمي النورماندي وبريتانيا. وظهر خوف من أن يؤدّي إغضاب الجنرال ديغول إلى

الحرمان من دعم أنصاره. وفي النهاية تقرّر الاعتراف بالجنرال ديغول قائداً عاماً للفرنسيين الذين يشتركون مع الحلفاء في عملية الغـزو، وترك أمر حكومة فرنسا إلى ما بعد تحرير البلاد، مما يترك للفرنسيين حرية اختار الحكومة التي يريدونها. واحتجّ ديغول على ذلك، إلاّ أنه صمّم على دعم قوّات الحلفـاء بكل مـا يستطيـع، وشعر أيـزنهاور بالسعادة عند الوصول إلى هذا القرار، فقد انزاح عن كاهله عبء من جملة أعبائه.

انتهت الاستعدادات، ولم يبقَ إلاّ تحديد موعد البدء بالغزو، وكان هذا الموعد مرتبطاً بالأحـوال الجويـة، وبهدوء البحـر خلال الأيـام المناسبة للعملية (٥ و ٦ و ٧ حزيران ـ يونيو ـ) فإذا ما كانت الأحوال الجوية سيئة، فإن ذلك يعني تأخير موعد الغزو لمدة خمسة عشر يوماً، وذلك إلى أن يعود القمر والشمس وحالة المدّ إلى الوضع المنـاسب للغزو. وكان ذلك يعني أيضاً عامل إحبـاط للروح المعنويـة لمليوني جندي طالما انتظروا هذه الساعة.

أصبح من عادة أيزنهاور خلال تلك الفترة، الاجتماع مرتين يومياً بلجنة علماء الظواهـر الجويّـة. وعندمـا اقتربت السـاعة الحـرجة، ارتفعت حدّة التوتر، فقد أخذت التنبؤات تنذر باقتراب العواصف. وتقرّر في المؤتمر الأخير أن يبدأ الهجوم يوم ٥ حزيران ـ يونيو ـ وعندما اجتمع القادة في فجر ذلك اليوم، في مقرّ قيـادة أيزنهاور، أخـذت التقارير المخيّبة للآمال في الوصول تباعاً، وهي تتضمَّن الإعلام عن وجـود غيوم منخفضـة، ورياح عـاصفة، وأمـواج صاخبـة. ووقع انشقاق في الرأي بين مؤيّد لتنفيذ الغزو في موعده، وبين معارض.

واتخذ أيزنهاور قراره بتأجيل موعد الغزو، حتى إذا ما كان صباح اليوم التالي، كان المعسكر يصطكّ ويرتجف من أساسه أمام الرياح العاتية، وأخذ المطر ينهمر بغزارة، واهتاج موج البحر بأكثر مما كان عليه في اليوم السابق. ووجد أيزنهاور أنه من الصعب الانتظار لمدة أسبوعين آخرين، ولما اجتمع القادة في مكتبه في الساعة الرابعة والنصف صباحاً، أصدر أمره بأن يبدأ الهجوم في اليوم التالي، وذلك مهما كانت الظروف الجويّة. ولم يقف أحد من القادة لمعارضة أيزنهاور في قراره. فشعر بأن الجميع كانوا يعانون ما يعانيه، لقد فرغ صبر الجميع من طول الانتظار وانصرف كل قائد إلى مركز قيادته، ليصدر أوامره إلى جيوشه وفرقه بالتحرّك.

وصلت إلى أيزنهاور طلبات كثيرة، التمس أصحابها السماح لهم بركوب سفن الحراسة لمشاهدة عملية الغزو، ومتابعتها عن كثب. ويظهر أن الرئيس تشرشل قد وجد أنه من الصعب عليه البقاء في منزله يتسقط الأخبار بكل ضجر، فاتصل بأيزنهاور، وطلب مرافقة الحملة. وأجابه أيزنهاور بأن سلامته ضرورية جداً من أجل المجهود الحربي، وإذا تعرّض صدفة لإصابة طائشة فإن النتائج ستكون سيّئة للغاية. ولهذا فقد رفض أيزنهاور الطلب بكل تصميم، وعندها أثار تشرشل مشكلة حقوقية ـ قانونية ـ فقال لأيزنهاور بأنه لم يصبح قائداً أعلى للحملة إلّا بفضل السلطة التي منحتها له الحكومتان البريطانية والأمريكية، إنما ذلك لا يعني أنه أصبح من صلاحيته التدخل بشؤون الإدارة والحكومة البريطانية، وكان مما قاله تشرشل:

«لا يحقّ لك يا جنرالي العزيز أن تقرّر ممن يتألّف رجال سفينة من

سفن صاحب الجلالة، وعلى هذا فسأصعد إحدى السفن كواحد من بحّارتها، وأذهب دون أن يكون لك سلطة على منعي» وعندها أجاب أيزنهاور «إنكم تعملون على زيادة متاعبي في محاولتكم الالتفاف على أوامري» وجاءت النجدة لأيزنهاور من ناحية لم يكن يتوقعها. فقد عرف جلالة الملك بما ينوي رئيس الوزراء فعله، فأرسل كلمة إلى المستر تشرشل، جاء فيها:

«إذا كنت يا فخامة الرئيس تعتقد بأنه من الضروري أن ترافق الحملة، فأنا ملك بريطانيا أشعر أيضاً أنه من واجبي أن أذهب على رأس الحملة مع جنودي». وزالت عقبة أخرى عن طريق أيزنهاور، فمضى لتفقّد الوحدات، وعند المساء توجّه إلى قاعدة فرقة المظليين الأمريكية ١٠١. وكم شعر بسعادة عندما التفّ حوله جند هذه الفرقة، وقالوا له إذ ارتسمت على وجهه علامات الضيق لسوء الأحوال الجوية: «لا يحق لكم الانزعاج طالما أن الفرقة ١٠١ قد قطعت على نفسها عهداً بألّا تعود حتى تصيب من العدو مقتلاً».

ووقف أيزنهاور يودّع وحدات هذه الفرقة وهي تصعد إلى طائراتها، ولم يغادر القاعدة حتى اختفت آخر طائرة وراء الأفق.

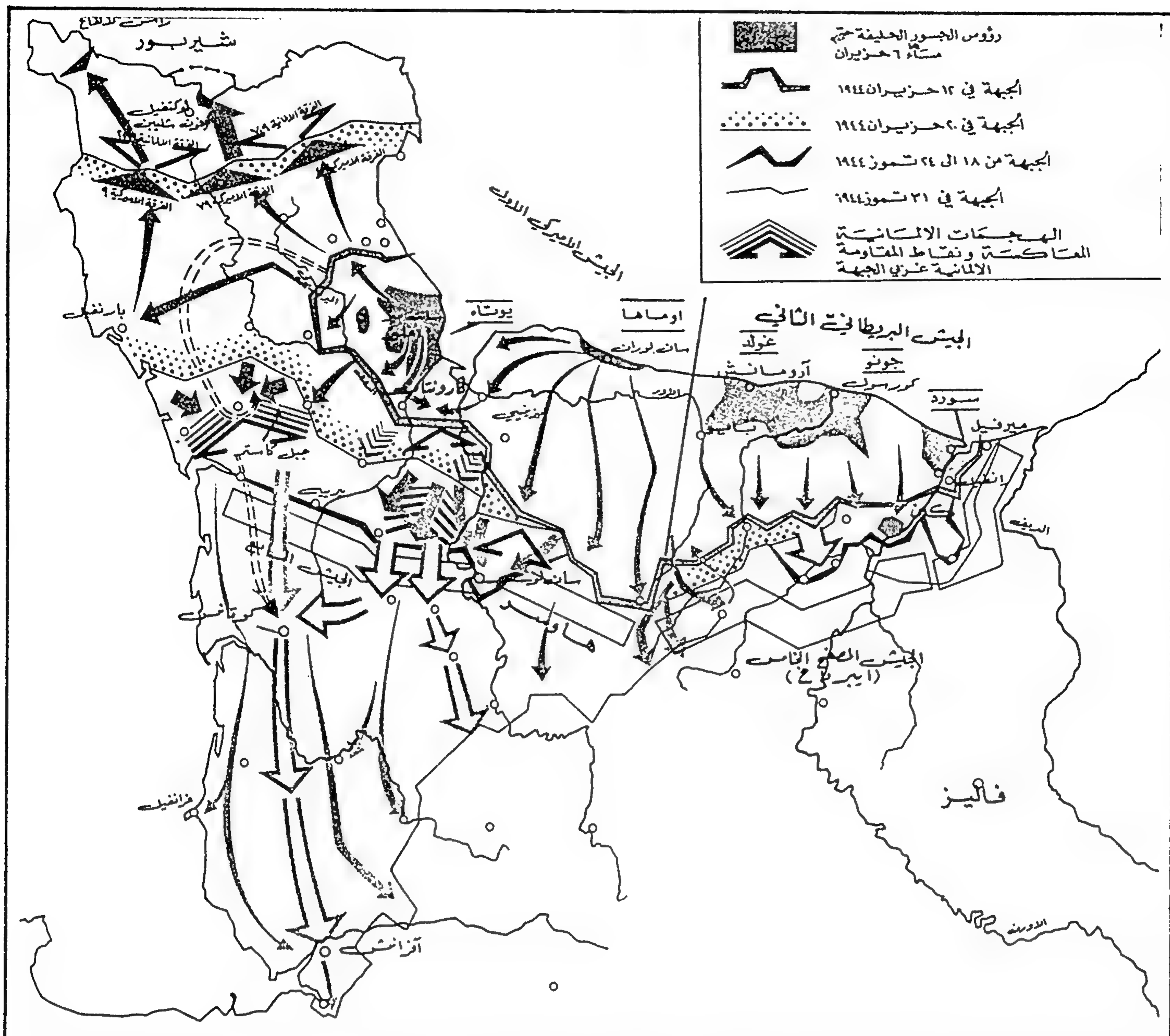
٢ ـ أطول يوم في التاريخ

وبدأ أطول يوم في التاريخ، كما أحبّوا تسميته، وأشرقت شمس يوم ٦ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ على فجر يوم جديد، لطالما انتظره ملايين البشر، فكيف بمن كان له نصيب بالمشاركة في صنع أحداث هذا اليوم المثير؟

جلس أيزنهاور في مقر قيـادته، وأخـذ ينتظر بصـبر نافـذ أخبار الغزوة. ولم يطل انتظاره؛ فقد وصلته التقارير الأولى مبشّرة بنجاح إنزال قوات المظليين (الفرقتين الأمريكتيـن ٨٢ و ١٠١ وفرقة المظليين البريطانية ٦٨). وعندما تقدم الصباح، توافرت التقاريـر عن نجاح عمليـات الإنزال البحـري. وذهب مونتغـومري في مـدمّرة لـزيارة الشواطىء، ولاختيار المكان المناسب لإقامة مقرّ قيادته. وكذلك فقد انطلق أيزنهاور بجولة عـلى شاطىء الإنـزال وشاهـد القوّات وهي تشـترك في المعارك الضـارية. وكـان أول ما شـاهده نجـاح قـوّات (أوماها)[1] بطرد القوات الألمانية من قطاعها، وقيامها بمطاردة القوّات المعادية بحماسة، رغم بقاء بعض جيوب المقاومة. وظهر أن القوات الألمانية قد بوغتت مباغتة تامة بوقوع الإنزال، فكانت مقـاومتها في البداية ضعيفة للغاية، إلّا أنها ما لبثت أن أخذت في إبداء مقاومة متزايدة. وتصادف وجود الفرقة الألمانية ٣٥٢ في قطاع أوماها، حيث كانت تقوم بمناورة تدريبية هجومية ـ دفاعية، فانتقلت فوراً لخوض

---

(١) قسّمت جبهة الإنزال في النورماندي إلى قطاعات، فحدد لكل فيلق قطاعه، وكانت هذه الفيالق تحمل من اليمين إلى اليسار أسماء أوتاه، وأوماها، وذهب، وجونو والسيف. وكان قطاع أوتاه من نصيب الفيلق الأمريكي الخامس، ثم قطاع الفيلق الأمريكي الخامس، ثم الفيلق البريطاني ٣٠ فالفليق البريطاني الأول. وقسمت القطاعات بدورها إلى قطيعات حملت رموزاً، وخصّص لكل فرقة قطيعاً (وحملت هذه القطيعات رموز س. سهل، وك. كلب و ث. ثعلب) وهذه بدورها قسمت إلى قطيعات أصغر للألوية بإضافة صفات تمييزية مثل سهل أحمر، وسهل أخضر، وثعلب أحمر، وثعلب أخضر، الخ).



«نورماندیا» من ٧ حزيران إلى ٣١ تموز، حتى إحداث ثغرة «أفرانش»

المعركة الحقيقية، ولهذا كانت المقاومة في هذا القطاع أشدّ من سواها في بقية القطاعات.

لما عرف ـ مونتغومري ـ بأن خصمه في حرب الصحراء ـ رومل ـ هو الذي يتولّى الدفاع عن جدار الأطلسي، فقد تنبأ بأن تتميز ردود الفعل الألمانية بالهجوم العنيف والمتواصل، وبأن رومل سيزجّ بكل فرقة أو لواء أو حتى كتيبة وسرية في الهجوم، وألغى من احتمالاته لجوء رومل إلى اختيار موقع دفاعي حصين للتمركز فيه، والدفاع عنه،

ريثما تتوافر له فرصة لحشد جميع قوّاته والقيام بهجوم عام لقذف قوّات الغزو في البحر. وتوقع مونتي ـ مونتغومري ـ بأن تُجابه القوات صعوبات كبرى في احتلال مدينة شيربورغ. وصحّ ما تنبأ به مونتغومري، وما توقعه؛ فدارت المعارك الضارية منذ اليوم الأول للإنزال، ولم تهدأ إلاّ في بقع منعزلة. ولم تكن هذه المعارك تتشابه أبداً مع (حرب الخنادق) التي عرفتها أيام الحرب العالمية الأولى، وإنما كانت معارك تصادمية، اعتمدت فيها قوات الغزو على المباغتة والسرعة والجرأة لإحراز النصر. ومضت المدة الواقعة بين يوم ٦ حزيران ـ يونيو ـ ويوم ٢٥ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٤ بما أطلق عليه اسم (معركة الشواطىء). وكان من نتيجة هذه المعارك العنيفة تأخّر قوات الغزو في الاستيلاء على شيربورغ وكان، مما حرم قوات الغزو من



يوم الإنزال في النورماندي ـ الحواجز في مواجهة موجة الغزو الأولى.

احتلال السهول الواقعة وراء هذه المدن، الأمر الذي أعاق استخدام الدبابات بأعداد كبيرة.

سرعان ما ظهرت لأيزنهاور، ولقيادة الحلفاء، فائدة اتخاذ قرار الإنزال في موعده، وعدم تأجيله لأسبوعين - أو لأكثر من أسبوعين - وذلك بسبب استخدام الألمان لأسلحة متطورة وبسبب انتكاسة حالة المناخ لأسوأ مما كانت عليه يوم الإنزال. فقد انفجرت أول قنبلة ألمانية مجنّحة (ف - ١) في لندن يوم ١٢ حزيران - يونيو - ١٩٤٤. وكانت هذه القنبلة أشبه ما تكون بطائرة صغيرة موجّهة - بدون طيّار - تطير بسرعة عظيمة، وتحمل كمية كبيرة من المتفجرات، وتصيب هدفها فتنفجر محدثة دوياً هائلاً. أما القذيفة المجنّحة (ف - ٢) فلم تستخدم إلّا في بداية شهر آب - أغسطس - وهي أشبه ما تكون بصاروخ، ولا



يوم الإنزال في النورماندي - الرجال يزحفون ويبحثون عن الحماية خلف الحواجز والموانع

يصدر عنها خلال طيرانها أي صوت، ومن الصعب كشفها إلّا بعد انفجارها، بسبب سرعتها الكبيرة.

لقد أثمرت عملية القصف الاستراتيجي للمنشآت الصناعية الألمانية، فأعاقت إنتاج الأسلحة السريّة الألمانية. وكان التعاون وثيقاً بين شبكات الجاسوسية وبين قيادة سلاح الجو، إذ لم يكن رجال الجاسوسية يكشفون هدفاً، ويعلمون عنه، حتى كان الطيران الاستراتيجي يتدخّل بمجموعات كبيرة لتدمير الهدف الذي تم اكتشافه. وقد علم أيزنهاور والقيادة بما تعدّه ألمانيا لإنتاج سلاح ذرّي في تروندهايم في النرويج، فتم تدمير المنشآت على الفور. كما تم قصف المنشآت ذات الشكل الغريب والتي استطاعت طائرات الاستطلاع تصويرها في الشمال الغربي من أوروبا. ولو استطاع الألمان إنجاز عملهم في إنتاج الأسلحة السريّة واستخدموها قبل عملية الغزو، لجعلوا من الصعب تنفيذ عملية الغزو. ويمكن تصور ما كان سيحدث لو قذف الألمان منطقة بورتسموث بصواريخهم وقنابلهم المجنّحة.

اهتاج البحر، واشتدت العواصف، واندفعت الأعاصير كالبراكين يوم ١٩ حزيران ـ يونيو ـ، وبقيت لمدة أربعة أيام، فأوقفت إرسال كل دعم، وعطبت وأغرقت نحواً من ثلثمائة قطعة بحرية، وحطمت الميناء الاصطناعي الأمريكي ـ الكبش ـ، مما وضع قوات الإنزال أمام مأزق حقيقي، ولو قام الألمان خلالها بهجوم شديد لاستطاعوا قذف قوات الإنزال في البحر، ولذلك بقيت قوّات الإنزال محاصرة في أماكن ضيقة على الشواطىء، ولم تحرز أي تقدم، إلى أن أمكن تحرير



رومل ـ الرجل الذي نظم الدفاع عن جدار الأطلسي.

(شيربورغ)[1] من قبضة الألمان يوم ٢٦ حزيران ـ يونيو ـ على أن المناطق التي تم احتلالها بقيت أكثر ضيقاً من أن تتسع لاحتواء المواد التموينية والأعتدة والوسائط القالية في شمالي فرنسا ـ حتى أواخر الشهر ـ.

شهدت أيام شهر تموز ـ يوليو ـ أشدّ صراع، وأشرس قتال على امتداد الجبهة بكاملها. إلّا أن الجيش الأمريكي الأول استطاع اختراق غربي الجبهة الألمانية في منتصف الشهر، ووصل إلى البحر من جهة الغرب يوم ٢٥ آب ـ أغسطس ـ وبذلك تم تطهير شبه (جزيرة كوتنتان). وكان مونتغومري يجابه خلال ذلك مقاومة ضارية في (مدينة كاون)[2] مما حمله على نقل معظم قوّاته إلى الميمنة، والالتفاف من حول المدينة، فأصدر عمر برادلي أمره إلى كافة قوّاته للاتجاه شرقاً ومباغتة القوات الألمانية من الخلف، لتخفيف الضغط عن مونتغومري، فما كان من الألمان إلّا أن زجّوا ما توافر لهم من الفرق المدرّعة، وانطلقوا بهجومهم يوم ٧ آب ـ أغسطس، لإيقاف تقدّم الجيش الأمريكي، إلّا أن الطيران اكتشف الهجوم الألماني وهو لا زال في بدايته، ونجح في تدمير قوّاته.

واستخدم البريطانيون للمرة الأولى ـ في طائراتهم القاذفة طيفون ـ

---

(١) شيربورغ: (CHERBOURG) مدينة كبرى على بحر المانش، وبها خليج عسكري مغلق بسد طويل. كما تمتلك المدينة خليجاً آخر للسفر والنقل البحري، وبها دار لصناعة السفن. وتشتهر المدينة بصناعاتها المعدنية. وهي مركز الإقليم.

(٢) كاون: (CAEN) مدينة تقع على نهر الأورن غربي باريس وتبعد عنها مسافة ٢٢٤ كيلومتراً، ولها خليج كبير على قناة كاون المتصلة بالبحر.

الصواريخ التي أنزلت بالمدرعات الألمانية خسائر فادحة. كما عمل أيزنهاور على دراسة الموقف مع برادلي، واتفق معه على دفع قوات الجيش الأول لتطويق القوات الألمانية المتقدمة وتدميرها، وأمكن بذلك إحباط الهجوم الألماني.

كانت معظم قوّات الغزو تقوم بهجومها على الألمان من خط يشبه نصف دائرة واسعة، وتتجه نحو مركز واحد، وأصبح من العسير على أيزنهاور تحديد المكان الذي يجب أن تقف عنده كل وحدة من الوحدات، خوفاً من أن تشتبك بنيرانها مع قوات حليفة تقترب نحوها من الجهة المقابلة.

كان على قوّات عمر برادلي، الزاحفة من أقصى الغرب، أن تقطع مسافة أكبر من المسافة التي يقطعها الجيش الكندي والجيش البريطاني، ولكن هذين الأخيرين واجها مراكز دفاعية قوية أعدّها الألمان من قبل، ولهذا فإنهما لم يتمكنا أن يشقّا طريقهما إلّا على حطام المعاقل الألمانية وجثث جندهم. ومع أن الجنرال مونتغومري حاول أن يبقى على اتصال بجميع قوات الجبهة، إلّا أن سرعة تقدّم القوات الأمريكية قد ضيّقت عليه ذلك، فحدثت حالة من الاضطراب والفوضى، مما ساعد بعض القوّات الألمانية من التسلل هاربة من طوق الحصار الذي بدأ يحيط بها، فما كان من قادة القوات الأمريكية إلّا أن أخذوا في الاحتجاج على الأوامر التي صدرت إليهم بالتوقف، لأن ذلك أتاح الفرصة للقوات الألمانية بالانسحاب. وفي الوقت ذاته، قاوم الألمان بعناد وضراوة للإبقاء على فوهة الجيب (الطوق)



منعة محصنة في جدار الأطلسي.

مفتوحة ليتمكن من النجاة. وركّز القادة الألمان جهدهم لسحب قوّاتهم المدرعة، ونجحت بعض هذه القوّات في الوصول إلى ما وراء نهر السين، ولكن على حساب كافة وسائطهم القتالية التي خلفوها وراءهم. وكانت حصيلة المعركة الاستيلاء على ثمانية فرق مشاة ألمانية، وفرقتين مدرعتين كاملتين. وكانت أعظم المعارك تلك التي وقعت في (فاليز)[1] وما حولها، حيث اكتظت الأزقّة والطرق والحقول بحطام المعركة، وبات من المحال التحرك في المنطقة، حتى على الراجل. واستمرت قوّات الغزو في مطاردتها للألمان حتى نهر السين. وبينما كانت قوات (برادلي) تتجه نحو باريس، اتجه الفيلق الأمريكي الثامن - بقيادة الجنرال مدلتون - نحو الغرب لاحتلال شبه جزيرة (بريتاني)[2]. ونظراً لحاجة قوّات الغزو للموانىء والمرافىء، فقد أصدر أيزنهاور أمره إلى مدلتون بتطهير مرفأي كيبودن و (بريست)[3] من القوّات الألمانية. لكن المقاومة التي جابهته حملت أيزنهاور على إصدار أمر آخر نصّ على الحرص (على حياة الجنود)، والاكتفاء بضرب حصار محكم على القوات الألمانية إلى أن يتم إرغامها

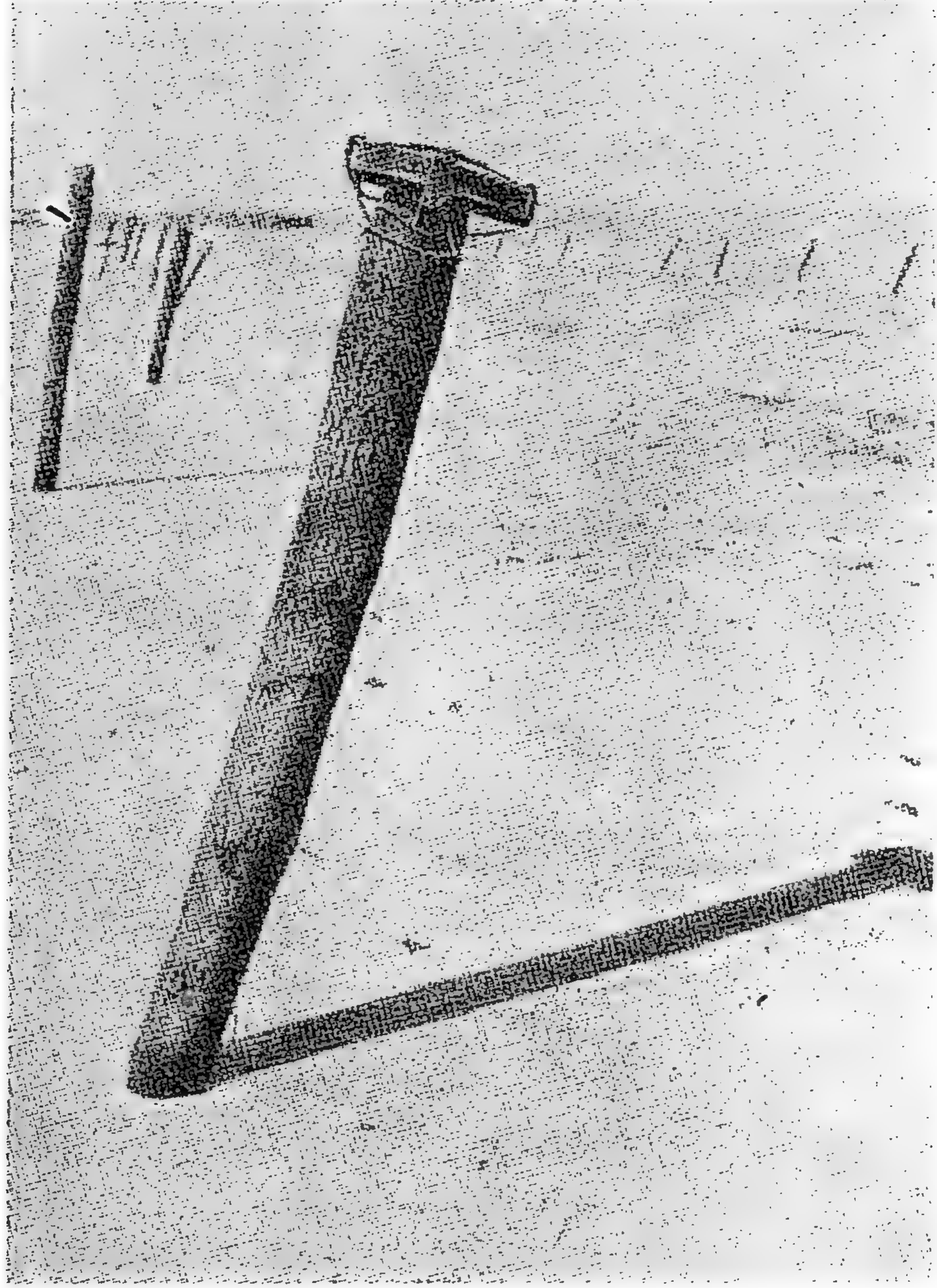
---

(١) فاليز: (FALAISE) مدينة رئيسة في إقليم كاون وإلى الجنوب من كاون بأربعين كيلومتراً.

(٢) بريتاني: (BRETAGNE) إقليم غربي فرنسا، عاصمته رينس: (RENNES) وقد كان هذا الإقليم مستقلاً عن فرنسا حتى سنة ١٥٣٢، حيث تم دمجه نهائياً بفرنسا، فشكل إقليم فينيستير.

(٣) بريست: (BREST) مركز إقليم فينيستير: (FINISTÈRE) وبريست مدينة حصينة ولها خليج هام على محيط الأطلسي، وبها المدرسة البحرية الحربية، ودار لصناعة السفن. تقع إلى الغرب من باريس وعلى بُعد ٥٨٣ كيلومتراً منها.

على الاستسلام. وأخذ مدلتون بتضييق دائرة الحصار على القـوات الألمانية، بشن هجمات محدودة بعد قصف عنيف، ولكن هذه القوّات الألمانية كانت من وحدات الصاعقة الشديدة المراس، فاستمرت في مقاومتها بضراوة ولم تستسلم إلّا في ١٩ أيلول ـ سبتمبر ـ. ووجد أيزنهاور أن بريست قد تعرضت لتدمير شديد، فصرف النـظر عن استخدام خليجها حتى نهاية الحرب، وأثناء ذلك كانت قوات الغزو قد دمّرت أو أسرت معظم القوات الألمانية غربي السين.



ـ حقل ألغام نظمه رومل للدفاع عن جدار الأطلسي. وقد حمل هذا النـوع من الألغام اسم (أفخاخ رومل).

لاحظ أيزنهاور أن ما أحرزته قوات الغزو من انتصارات، قد أثارت نوعاً من التفاؤل المفرط في وسط الحكومتين الأمريكية والبريطاينة، وفي وسط الشعبين، وداخله الخوف من أن يؤدي هذا التفاؤل إلى الاسترخاء والتهاون، فوجه الدعوة يوم ١٥ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٤ لعقد مؤتمر صحافي، وأن الصعوبة الكبرى لا زالت قائمة أمام خطي سيغفريد والراين، وحذّر القيادات العليا ـ السياسية والعسكرية ـ من أنه لا زال لدى الألمان قوّات هائلة مما يستدعي متابعة الإنتاج الحربي في معدّله الأقصى، تجنباً لأية انتكاسة قد تؤدّي إلى نتائج خطرة، لا سيما وأن الجيش الألماني سيخوض حرباً يائسة، لا هوادة فيها، ولن يستسلم إلاّ تحت ضربات مدمّرة ومتتالية، لاستنزاف قدراته وشلّ تحركاته.

اتسعت جبهة القتال في أوائل شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٤، فأعاد أيزنهاور تقسيم قواته إلى أربعة مجموعات، المجموعة الأولى وضمّت الجيش الأمريكي الثالث بقيادة الجنرال باتون، وحددت منطقة عملها إلى أقصى اليمين، ثم المجموعة الثانية وضمّت الجيش الأمريكي الأول بقيادة (الجنرال هودجز) وحددت منطقة عملها إلى يسار الجيش الثالث. وعيّن الجنرال عمر برادلي قائداً للمجموعتين ـ الجيشين ـ وتشكلت المجموعة الثالثة من الجيش البريطاني ٢١ بقيادة الجنرال دمبسي وحددت المنطقة الوسطى لعملها، بينما تشكلت المجموعة الرابعة من الجيش الكندي الأول بقيادة الجنرال كرايرار، وكان عليه أن يعمل في أقصى اليسار. وتم تعيين الجنرال مونتغومري قائداً للمجموعتين الثالثة والرابعة. وخصصت القوة الجوية البريطانية

لدعم مجموعتي مونتغومري بقيادة مارشال الجو كوننغهام، بينما خصصت القوة الجوية الأمريكية التاسعة بقيادة الجنرال فاندنبرغ لدعم المجموعتين الأولى والثانية.

وبلغت القوات الموضوعة تحت تصرّف أيزنهاور في فرنسا ـ في نهاية شهر آب، أغسطس ـ ٣٧ فرقة منها ٢٠ فرقة أمريكية و ١٢ فرقة إنكليزية و ٣ فرق كندية وفرقة فرنسية وأخرى بولونية. ولم يبقَ لدى بريطانيا أية فرق احتياطية ـ في بلادها ـ بينما بقي لدى أمريكا ٦ فرق منها ٣ فرق محمولة جواً ـ مظليين ـ. أما السلاح الجوي، فبلغ ٤٠٣٥ قاذفة و ١٧٢٠ قاذفة خفيفة ومتوسطة وحاملة طوربيد و ٥ آلاف مقاتلة وألفي طائرة نقل جند.

كانت هذه الفرق تحتاج لإمدادات يومية زادت على خمسة وعشرين ألف طن، وكان لزاماً نقل هذه الإمدادات فوق أراضي إقليم، جسوره معطلة، وطرقاته مدمّرة، ومرافئه مخرّبة. فكانت عمليات إفراغ الإمدادات من السفن ونقلها صعبة للغاية، وكانت هذه الصعوبة تتزايد طرداً مع تزايد التوغل داخل إقليم فرنسا، وابتعادها عن النورماندي. فكان التقدم في كل ميل يلقي عبئاً جديداً على كاهل أيزنهاور، الذي قرّر مجابهة هذا الموقف باحتلال مرفأ أنتويرب في الشمال ومرفأ مرسيليا في الجنوب. فباحتلال المرفأ الأول تصبح قوّات الغزو على مقربة من الحدود الألمانية، وباحتلال الثاني يمكن الإفادة من مرسيليا ومن شبكة الخطوط الحديدية الجيدة في جنوب فرنسا للوصول بالإمدادات سريعاً ـ عبر وادي الرون ـ إلى حدود لوكسمبرغ.

وعلى هذا تم إنزال عشرة فرق من قوّات الحلفاء إلى الشرق من مرسيليا - في جنوب فرنسا - يوم ١٥ آب - أغسطس - ١٩٤٤، وأخذت تزحف شمالاً دون مقاومة تُذكر. وفي يوم ١١ أيلول - سبتمبر - تم التقاء قوّات الجنوب - التي كان يقودها الجنرال بانش - بقوات الشمال الزاحفة من الغرب بقيادة الجنرال باتون. وقد تم هذا اللقاء في مدينة ديجون. واتصلت قوات فرنسا وأُعيد تنظيمها في جبهة واحدة.

كان الجنرال عمر برادلي قد نجح بتطويق عاصمة فرنسا - باريس - فرأى أن يكون لقوّات فرنسا الحرّة بقيادة الجنرال ديغول، شرف تحرير عاصمة بلادها. وهكذا دخلت فرقة (الجنرال لوكلير)[1] باريس يوم ٢٥ آب - أغسطس - ١٩٤٤ .وحدث بعض القتال مما حمل الجنرال برادلي على زجّ الفرقة الأمريكية الرابعة، غير أن هذا القتال لم يلحق

---

(١) لوكلير: (LECLERC, PHILIPPE DE HAUTECLOQUE) جنرال فرنسي (١٩٠٢ - ١٩٤٧). كان من أنصار فرنسا الحرة ومن مؤيّدي الجنرال ديغول الذي كلّفه بتشكيل فرقة في أفريقيا الوسطى سنة ١٩١٤، فنجح في مهمته، وسار بهذه الفرقة مسيراً أشبه ما يكون بالأسطورة. إذ اتجهت شمالاً من غينيا، واخترقت الصحراء الكبرى، واستولت على فزان، واشتركت في المرحلة الأخيرة مع فرقته المدرعة الثانية بمعركتي طرابلس وتونس (١٩٤٣) ثم اشتركت في إنزال النورماندي. ودخل لوكلير باريس، ثم حرر ستراسبورغ سنة (١٩٤٤) وتابع لوكلير الزحف بفرقته حتى وصل مقر هتلر في (بريتشسفادن). وعين لوكلير قائداً للقوات الفرنسية في الشرق الأقصى (سنة ١٩٤٥) ثم مفتشاً للقوات الفرنسية في شمال أفريقيا سنة ١٩٤٦ . ومنح بعد وفاته لقب ماريشال فرنسا، اعترافاً بخدماته (سنة ١٩٥٢).

بالمدينة أي ضرر أو تدمير. وكان لتحرير باريس أصداء عالمية قوية، مما أكّد للعالم اقتراب هتلر ونظام حكمه من نهايته. **وأنزلت قوّات الحلفاء حتى هذه المرحلة بالقوات الألمانية خسائر فادحة منها: قتل قائد جيش و ٣ قادة فيالق و ١٥ قائد فرقة. كما خسر الألمان ٤٠٠ ألف بين قتيل وجريح وأسير بالإضافة إلى ١٣٠٠ دبابة و ٢٠ ألف عربة و ٥٠٠ مدفع كبير و ١٥٠٠ مدفع ميدان و ٣٥٠٠ طائرة.**

تابعت قوات الغزو ضغطها على القوات الألمانية، في كافة قطاعات الجبهة. وتمكنت القوّات البريطانية المتقدمة من تجاوز مسافة ١٩٥ ميلاً خلال فترة أربعة أيام، وفعلت مثلها القوات الأمريكية المتقدمة والتي كانت تتحرك على ميمنتها. وما لبث الجيش الأمريكي الثالث أن تجاوز نهر الموزل (يوم ١٥ أيلول ـ سبتمبر ـ) ووصل نانسي، بينما كانت القوات المتقدمة للجيش الأمريكي الأول ـ بقيادة الجنرال هودجز ـ تضرب بنيرانها خط سيغفريد، قرب آخن. وتمكن مونتغومري من دخول أنتويرب (يوم ٤ أيلول ـ سبتمبر ـ) وذلك قبل أن يدمرها الألمان. وبذلك أصبح الأمل كبيراً في حل مشكلة الإمداد والتموين بعد أن تم الاستيلاء على أنتويرب ومرسيليا. إلّا أن الخطوط الدفاعية الألمانية المشرفة على مصب نهر شيلد بقيت سليمة وبذلك بقيت أنتويرب تحت تهديد الألمان، فكان لزاماً على مونتغومري تطهير منطقة أنتويرب الصعبة، والتي تكثر فيها الجزر وأشباه الجزر، بالإضافة إلى مهمة التأمين البحري لإيصال الإمدادات إلى مدينة أنتويرب. وعلى هذا، فقد قرر أيزنهاور التوقف عند نهر الراين، على أن يتم استئناف الزحف إلى ما وراء الراين وإلى قلب

ألمانيا بعد أن يتم استكمال الإمداد المادي والفنّي للقوات.

وبينما كان أيزنهاور منصرفاً بكامل جهده لحل مشكلة الإمداد، وإعادة تنظيم القوات، وتدقيق مخططات المرحلة التالية، باغته مونتغومري باقتراح أثار ضجة كبيرة، فقد طلب إلى أيزنهاور إمداده بكافة المواد التموينية وبجميع ما هو متوافر من الدعم، حتى ينطلق بقوة نحو برلين، فيحتلها، ويعمل على إنهاء الحرب. وكان الدافع لمونتغومري للتقدم باقتراحه هو ما شاهده من ضعف القوات الألمانية وتمزقها، فكان يرغب في استثمار النصر، للاندفاع بقوة وسرعة نحو عاصمة ألمانيا.

٣ ـ ماذا حدث في الأرنيم؟

لم يكن أيزنهاور متفقاً في الرأي مع مونتغومري ـ في هذه النقطة ـ، ولهذا فقد قام برحلة إلى عاصمة بلجيكا ـ بروكسل ـ ومعه ماريشال الجو تيدر، والجنرال جيل، واجتمع بمونتغومري، وشرح له حقيقة الموقف الإداري، والوضع التمويني، وأظهر له مدى الحاجة إلى استعمال مرفأ أنتويرب. وأكّد له أنه من المحال إيصال الإمدادات إلى جيش كبير يتوغل في ألمانيا بعيداً أو يصل إلى عاصمتها، ما لم تتم إقامة جسور الخطوط الحديدية على نهر الراين، وما لم يتم تكديس كميات ضخمة من المواد التموينية. وعلى هذا فقد أعلن أيزنهاور في نهاية حديثه رفضه لاقتراح مونتغومري، على أساس أنه لو تم إيقاف جميع العمليات على كافة قطاعات الجبهة في تلك الفترة (نهاية شهر آب ـ أغسطس ـ)، ودعم قطاع واحد من القطاعات، أي قطاع، فقد يكون بالمستطاع اجتياز نهر الراين في وقت مبكر، وإقامة جسور

عليـه، ولكن لو تم ذلـك لتعـرضت كـافـة القـطاعـات للجـوع. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تجميد سائر قطاعات الجبهة سيسمح للألمان بحشد قوّاتهم جميعها ضد القوات المتقدمة، وإرغامها على التوقف أو التقهقر.

ولكن مونتغومري أصرّ على موقفه بضرورة إعطاء زخم للهجوم عن طـريق إنزال المـظليين في (الأرنيم)[1] حيث كـانت الخـطوط



كانت توصية الجنرال «أيزنهاور» الأخيرة لهؤلاء المظلّيّين: «لا أرضى منكم إلّا بـالنصر التامّ الناجز!».

---

(١) الأرنيم: (ARNHEM) مدينة في البلاد المنخفضة ـ هولندا ـ وهي عاصمة إقليم غيلدر: (GUELDER) على نهر الراين.

الدفاعية الألمانية تقف سداً في وجه كل تقدّم من الشمال نحو نهري الموز والراين، كما أنها تعيق التحرّك أو الاختراق على اتجاه روتردام وأنتويرب وقواعد إطلاق القنابل الطائرة (ف)، فما كان من أيزنهاور إلّا أن عاد فأكّد بأن ما يهمه هو تحقيق أمرين اثنين: أولهما تطهير مداخل أنتويرب من الألمان حتى يصبح بالإمكان استخدامها والإفادة منها ـ. وهذا الأمر الثاني ـ إقامة رأس جسر على نهر الراين في منطقة الأرنيم.

وأخيراً، تم الاتفاق في هذا المؤتمر (يوم ١٠ أيلول ـ سبتمبر ـ) على أن يتم مؤقتاً تطهير منطقة أنتويرب، وأن يتم تفويض مونتغومري بإقامة رأس جسر الأرنيم، وتقرر أن يوضع تحت تصرف مونتغومري جيش المظليين الأول للحلفاء بقيادة بريتون، والذي كان يضم ثلاث فرق من المظليين. وبدأ مونتغومري في الإعداد للعملية، فيما عاد أيزنهاور إلى باريس لمتابعة العمل من أجل تأمين الإمداد والتموين.

خلال هذه الفترة عقد رئيس هيئة أركان حرب الجيش الأمريكي، ونظيره البريطاني، مؤتمراً لهم في كويبك، وتقرر عدم إبقاء قوتي القاذفات المتمركزتين في بريطانيا تحت قيادة أيزنهاور مباشرة، ووضعتا تحت قيادة هيئة خاصة تكون مسؤولة مباشرة أمام القيادة العليا المشتركة. ووجد أيزنهاور أن هذا الإجراء هو أخرق من أساسه، ولكنه لم يعترض عليه، وذلك لأنهم أدخلوا فقرة خاصة نصّت على وجوب تلبية أوامر قيادة الجبهة الأوروبية قبل كل ما عداها من الطلبات. وقد احتجّ الجنرال سباتز بشدة على هذا الإجراء، إلّا أن أيزنهاور أقنعه بأنه لم يتغير أي شيء بالنسبة له، وذلك أن سلاح

القاذفات سيبقى رهن إشارة القيادة الأوروبية. وهذا ما أكّده بيرت هارس ـ الذي كان من رأيه أنه بالمستطاع كسب الحرب بالطائرات فقط ـ، فكتب إلى أيزنهاور يوم٢١ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٤ رسالة جاء فيها:

عزيزي آيك.

لم نعد بموجب الترتيبات الأخيرة تابعين لقيادتك مباشرة، ولكنني أغتنم هذه الفرصة لأؤكد لك، وإن كنت لا تحتاج إلى تأكيد، أننا سنبقى على عهدنا مستعدين لتلبية أوامرك كالسابق. وثِقْ بأننا نضع أقصى مهارتنا، وكل جهدنا، طوع أمرك. واقبل شكري شخصياً وشكر معاوني، لما أظهرته نحونا من حسن المعاملة ومن التشجيع في أداء واجباتنا. ونرجو أن يبقى التعاون الذي بدأ بيننا حتى النصر الأخير.

المخلص: بيرت هارس

نجح أيزنهاور، وأجهزته القيادية، في إيجاد حل مرحلي لمشكلة الإمداد والتموين. وغصت طرق المواصلات بالحشد العظيم من المركبات، فعينت إدارة الإمداد طرقاً خاصة للشاحنات ذهاباً، وطرقاً أخرى للإياب، وجعلت المركبات تسير بسرعة وانتظام طوال عشرين ساعة في اليوم لكل شاحنة. وتم انتقاء سائقين جدد من الجنود للعمل مكان السائقين الأصليين عندما يأخذون قسطهم من الراحة. كما عمل المهندسون في الخطوط الحديدية ليلاً ونهاراً من أجل إصلاح ما تهدّم من الخطوط والجسور. وتم تمديد خط أنابيب للزيت من إنكلترا ـ عبر القنال ـ إلى القارة الأوروبية، ثم مددت خطوط برية

على سطح الأرض إلى مراكز التوزيع قرب الجبهات المختلفة. ولكن، وبالرغم من كافة الجهود، فقد استمر قادة الجيوش والفرق في الصراخ، والمطالبة بالمزيد من الوقود والذخائر، إلّا أن أيزنهاور لم يتأثّر بالضجيج الانفعالي، واستمر في نهجه بتأمين الإمدادات بشكل عادل لكافة القطاعات ولجميع القوّات، دونما تمييز فيما بينها.

خلال ذلك، أنهى مونتغومري استعدادته لتنفيذ عملياته للإنزال في الأرنيم. وتضمنت مخططات هذه العملية إجراء هجوم برّي بالتعاون مع قوّات المظليين. وحدد يوم ١٧ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٤ موعداً لتنفيذ الإنزال والذي أعطي الاسم الرمزي (السوق ـ الحديقة)[١] وحدد هدفها بالاستيلاء على جسور ـ ماس، و وول ـ والراين، وغريف ونيموجين والأرنيم ذاتها.

تم إنزال المظليين في الموعد المحدد، وفي ضوء النهار من يوم ١٧ أيلول ـ سبتمبر ـ لتمهيد الطريق أمام الفيلق البريطاني ٣٠ والذي كان يعمل مقدمة للجيش البريطاني الثاني. فتم إنزال فرقة المظليين البريطانية الأولى ومعها لواء بولندي على أرض الضفة الشمالية من نهر الراين بمهمة التقدم إلى الأمام والاستيلاء على جسر الأرنيم. وتم إنزال وحدات فرقة المظليين الأمريكية ٨٢ بمهمة الاستيلاء على جسور نيموجين وغريف، في حين كان على وحدات فرقة المظليين الأمريكية ١٠١ حماية الطريق ما بين غريف وإيندهوفن. ونظراً لعدم توافر طائرات كافية للنقل، فقد تقرر إجراء الإنزال على شكل دفعات

---

(١) السوق ـ الحديقة: (MARKET - GARDEN).

متتالية وطوال ثلاثة أيام، الأمر الذي سمح للألمان باكتشاف الإنزال والعمل ضده. وقد استطاعت وحدات فرقتي المظليين الأمريكيتين تنفيذ واجباتهما إلى الشمال من إيندهوفن وفي غريف ونيموجين، في حين تناثرت وحدات فرقة المظليين البريطانية على بعد عشرة كيلومترات تقريباً بعيداً عن جسر الراين. وتعاون هذا الحظ العاثر مع الأحوال الجوية السيّئة.

فقد تكاثفت الغيوم الداكنة، وهبت العواصف الهوجاء، فأعاقت الطيران من تقديم أي دعم لفرقة المظليين البريطانية الأولى، التي باتت معزولة. وبالرغم من ذلك، فقد خاضت وحدات هذه الفرقة معركتها بشكل رائع، وأظهر رجالها بطولات أسطورية في صراعها المرير ضد الألمان، وهو الصراع الذي استمر حتى يوم ٢٥ أيلول ـ سبتمبر ـ. ووجد مونتغومري أنه بات مرغماً على إصدار الأمر بانسحاب ما بقي من أفراد هذه الفرقة، والانضمام إلى القوّات البرية الصديقة. فتم تنفيذ الانسحاب في ليل ٢٥ ـ ٢٦ أيلول ـ سبتمبر ـ، حيث لم يبقَ من قوة هذه الفرقة التي كان عدد أفرادها ١٠ آلاف مقاتل سوى ألفي وأربعمائة مقاتل. ولقد أسهم قتال هذه الفرقة إسهاماً كبيراً في دعم القوّات البرية ومساعدتها على التقدم واحتلال بعض المواقع الهامة، إلاّ أن الثمن الذي دفعته كان كبيراً جداً. وكان لمعركة الأرنيم أصداء كبيرة على كافة مسارح العمليات، إذ أكدت نتيجة هذه المعركة خطأ التفاؤل الكبير، وخطره، بإمكان فرق المظليين وقدراتها. كما أكّدت أنه لا زال باستطاعة القوّات الألمانية خوض معارك ضارية، مما دحض ما كان يقال عن انهيار الألمان

وعجزهم عن مقاومة أي هجوم مباغت وسريع.

أظهرت معركة الأرنيم، مرة أخرى، ضرورة الإسراع باحتلال مداخل أنتويرب، وتطهير المنطقة من فلول القوات الألمانية. ولما كان جيش مونتغومري قد انتشر كثيراً بوصوله إلى الراين الأسفل، فقد أصدر أيزنهاور أمره إلى فرقة المدرعات الأمريكية السابعة، وإلى فرقة المشاة ١٠٤ بتنفيذ هذه المهمة الصعبة.

استطاع الجيش الأمريكي الأول، بعد تقدم سريع وناجح من السين حتى حدود ألمانيا، أن يحتل مدينة آخن، وهي إحدى بوابات ألمانيا، وقد وقعت خلال ذلك معارك ضارية، وحققت القوات التي تم إنزالها في جنوب فرنسا نجاحات كبيرة، وأمكن لها الاتصال مع قوات الشمال، فطوقت بذلك القوات الألمانية، وأرغمتها على الاستسلام، وتم في يوم واحد أسر عشرين ألف ألماني بدون قتال. ووجد أيزنهاور أنه من الضروري إعادة تنظيم قوّاته. فكانت قوات الجنوب مكونة من الجيش الأمريكي السابع بقيادة الجنرال بانش والجيش الفرنسي الأول بقيادة الجنرال دولاتر دوتاسيني. وضمت إلى قيادة برادلي قوات الجيشين الأمريكيين الأول والثالث والتاسع ـ الذي كان قد تشكل حديثاً ـ. وبقيت تحت قيادة الجنرال مونتغومري قوات الجيش البريطاني الثاني والجيش الكندي الأول. ولم تدخل فرق المظليين تحت قيادة أيزنهاور، وبقيت قيادتها تابعة مباشرة للقيادة العليا.

لاحظ أيزنهاور خلال اجتياح قواته لفرنسا وبلجيكا وهولاندا

واللوكسمبرغ، مدى ما وصل إليه المواطنون في هذه الأقطار من البؤس والفقر والقهر. أما في فرنسا فقد لاحظ تمزق الجبهة الداخلية التي أثرت الدعاية النازية فيها تأثيراً كبيراً، بالإضافة إلى الدعاية الشيوعية في وسط عناصر العمال في المدن، مما أضعف من قدرة الجبهات الديموقراطية ـ في المفهوم الغربي ـ وعندما حاول أيزنهاور تفسير هذه الظاهرة قال له أحد مفكري فرنسا: «**إن فرنسا قد هزمت نفسها بنفسها بسبب تفسخها السياسي، ولرفض عمالها العمل لأكثر من أربعة أيام في الأسبوع، بينما كان العمال الألمان يعملون طوال أيام الأسبوع**».

٤ ـ التوقف الإجباري والتقدم القسري

كانت قوات أيزنهاور ـ البرية ـ تتزايد باستمرار، فكان تحت قيادته في فرنسا مع بداية شهر آب ـ أغسطس ـ حوالي ٣٥ فرقة، وارتفع عددها مع بداية شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٤ حتى ٥٤ فرقة بالإضافة إلى ٦ فرق كانت في إنكلترا تنتظر نقلها. ولكن، وبالرغم من هذا العدد الضخم من الفرق، فقد كان لدى الألمان التفوق في القوّات البرية، لا سيما وأن قوات أيزنهاور اضطرت للانتشار على جبهة واسعة، امتدت مسافة ٨٠٠ كم تقريباً (ما بين مصب نهر الراين وحدود سويسرا)، بالإضافة إلى ترك بعض القوى في مناطق متفرقة على حدود إيطاليا خشية تسلل بعض القوّات الألمانية من هناك. وهكذا كان على كل فرقة من الفرق حماية جبهة ١٥ كم تقريباً.

لقد زادت هذه الفرق من أعباء الإمداد الإداري والتمويني للقوات. وعندما أقبل فصل الشتاء، اشتدت أزمة الإمداد حدة، بسبب رداءة الطرق، فراحت الشاحنات تغرق في الوحل، وتتعطل عن العمل. وأصدر أيزنهاور توجيهاته بزيادة الاعتماد على الخطوط الحديدية بهدف التخفيف من الضغط على الطرق. فتم إصلاح الخطوط الحديدية التي دمرتها الحرب، وأمكن تمديدها حتى البحر مباشرة، وأقيمت الرافعات الكبرى لنقل الأحمال من السفن إلى القطارات.

أخذت قوات الغزو في الوصول إلى حدود ألمانيا تباعاً، وقد حاولت هذه القوات تطوير هجماتها إلى ما وراء الحدود، غير أنها سرعان ما اكتشفت قوة هذه الحدود المنيعة طبيعياً، والتي زادتها التحصينات الصناعية قوة إلى قواتها. وهكذا فعندما حاول الجيش الأمريكي السابع والجيش الفرنسي الأول ـ بقيادة الجنرال دوفرز ـ التوغل في التقدم، كان لزاماً مهاجمة جبال الفوج الحصينة، والتي كان خط سيغفريد يقع إلى الشمال منها، ووراءه نهر الراين، فتوقفت قوات الجيشين بصورة إجبارية، وهي تنتظر الدعم لتتمكن من متابعة الهجوم. وقد حاول بعض القادة إقناع أيزنهاور بالتوقف ومشاغلة الألمان بهجمات محدودة، ولكن ريثما يتم جمع، وتكديس، كميات كافية من الإمدادات والمواد التموينية، غير أن أيزنهاور رفض مثل هذه الاقتراحات، وأصدر أمره بمتابعة استنزاف القوات الألمانية قدر المستطاع، وذلك لعلمه أن الألمان قد شرعوا في تنظيم فرق جديدة، وحشد قوات إضافية، للتعويض عما فقدوه في الأشهر السابقة. وبات

واضحاً لأيزنهاور أن كل تأخير سيمنح القيادة الألمانية فرصة أفضل لإعادة تنظيم قوّاتها وتدريبها واستخدامها، مما قد يـزيد من حجم الخسائر في القوات المهاجمة.

وأصدر أيزنهاور تعليماته إلى أجهزة الاستخبارات بجمع المعلومات عن الخسائر الألمانية بعـد كل هجـوم، وذلك لتجنب الهجـوم على القطاعات القوية، والتي تتعرض فيها القوات لخسائر أكبر من تلك التي تتعرض لها القوات الألمانية، وتركيز الهجمات على القطاعات التي يمكن فيها إنزال الخسائر الفادحة في القوات الألمانية مقابل خسائـر محـدودة في جانب قـوات الحلفاء، وذلـك باستثنـاء بعض الحالات الخاصة والتي كان فيها الاستيلاء على الهـدف يتطلب الإقـدام على الهجوم مهما بلغت التضحيات (مثل الاستيـلاء على سدود الرور). وهكذا، نشبت معارك ضارية محلية على امتداد الجبهة طوال فصل الخريف، وكان من نتيجتها العامة تقصير أمد الحرب. وقد اشتهرت معارك جزيرة ويلتشرين قرب مصب نهر الشيلد، وآخن، وسـدود الرور، وحوض الساد، وجبال الفوج، وحدث معـظمها في طقس سيء للغاية وفي أرض وعرة كثرت فيها المزالق. وفي هذه الحالات جميعها، كانت عملية تطهير مداخل مرفـأ أنتويـرب من أصعب ما صادفته القوات طوال فترة الحرب، وذلك لأن الألمان كانوا قد جهزوا مسبقاً مراكزهم الدفاعية القوية، ولم يتخلوا عن شبر من خطوطهم إلّا بعد أن يتم تدميره، كما أنهم زرعوه بالألغام الكثيرة، مما فرض على القيادة القيام بهجوم جوي، وبحري، وبري في آن واحد.

ولما كانت القوات الألمانية قد تمركزت في جزيرة ولتشرين وفي شبه

جزيرة بيفلاند شرقي مصب نهر الشيلد، فقد كان من المحال الوصول إلى بيفلاند من الجنوب إلاّ عن طريق الرقبة. ولهذا فقد تم إنزال قوات من البحر، عند الرقبة، بينما زحفت قوات برية من الجنوب. وكان الجنود يغوصون في الوحل أحياناً حتى وسطهم وهم يقاتلون ضد دفاع ألماني قوي جداً. وفي النهاية تم تطهير شبه جزيرة بيفلاند يوم ٢٧ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٤ بفضل جهد الفرقة الكندية الثانية التي دخلت من رقبة شبه الجزيرة، فيما هاجمت الفرقة البريطانية ٥٢ من البحر.

أما الهجوم على جزيرة ولتشرين، فقد بدأ في الأول من تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ضد تحصينات هي أقوى ما واجه قوات الغزو من تحصينات في أوروبا. وقد بدأ الهجوم باقتراب المواعين الصغيرة من شواطىء الجزيرة، والاشتباك مع البطاريات الألمانية لإشغالها عن هجوم المشاة، وأصيبت المواعين بخسائر كبيرة. ودارت معارك ضارية انتهت يوم ٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ باستسلام ١٠ آلاف جندي ألماني، ومقابل ذلك بلغت خسائر الحلفاء ١٧ ألفاً بين قتيل وجريح من الإنكليز والكنديين.

غير أن متاعب الحلفاء هنا لم تصل حتى نهايتها، فعندما أخذت السفن بإنزال حمولتها في أنتويرب يوم ٢٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ أخذ الألمان بمضايقة هذه السفن عن طريق الهجوم بالغواصات الصغرى للسفن وعن طريق توجيه القنابل والصواريخ الموجهة إلى المدينة. وتطلب القضاء على هذا التحدي بعضاً من الوقت وكثيراً من الجهد.

وأثناء ذلك لم تكن بقية قطاعات الجبهة هادئة، فقد كان كل قطاع يخوض صراعاً مريراً غير أن النجاح كان متفاوتاً بين مختلف القطاعات. وعلى سبيل المثال، فقد حاول الجيشان الأمريكيان التاسع والأول ـ اللذان كانا يعملان إلى الجنوب من جيش مونتغومري ـ القيام بهجوم على الألمان في غربي الراين، وقد تم التمهيد للهجوم باشتراك ١٢٠٠ قاذفة أمريكية و١١٨٨ قاذفة بريطانية، وبالرغم من ذلك، فقد تورط الجيش الأمريكي في قتال عنيف (في حرش هورتنجن). ووقع ثقل المعركة على كاهل المشاة بسبب صعوبة عمل الدبابات في الأحراش. وأصبحت صعوبة القتال في هذه المنطقة مضرب الأمثال بين الجنود الأمريكيين، وكذلك الأمر بالنسبة للجيش الأمريكي الثالث الذي اصطدم بخط سيغفريد الحصين، فاضطر للتوقف. وكذلك فعل الجيش الفرنسي الأول الذي اصطدم (بجيب كولمار) غربي الراين. وهكذا تحول القتال ـ مع نهاية فصل الخريف ـ من حدود سويسرا جنوباً حتى مصب الراين شمالاً إلى أصعب صراع عرفه جيش من المشاة، وأصبح التقدم بطيئاً ومنهكاً. وتعرض المشاة للخسائر الفادحة، إذ فتك الرصاص بهم ـ من ناحية ـ وتولت الأمراض مهمة الفتك بمن لم يصبه الرصاص ـ من الناحية الأخرى ـ، فتباطأ الزحف، وأصبح الدور الأساسي للمدفعية والذخائر. فكانت الحرب تدور بكثير من الضجيج وبقليل من الحركة (كحجر الرحى ـ جعجعة ولا طحن).

تناقص عدد الرجال في كل فرقة من الفرق. وبات لزاماً على كل جندي صحيح الجسم أن يضطلع بدوره إضافة إلى دور من غيّبه

التراب أو الفراش من رفاقه، إلى أن يسقط بدوره قتيلاً أو مريضاً. وأسرع أيزنهاور، فرفع تقريراً بهذا الواقع إلى وزارة الحرب. وأدرك الجنرال مارشال خطورة الموقف، فاقترح على أيزنهاور إرسال الفرق المدرّبة التي بقيت في الولايات المتحدة، ولكن بدون أسلحة، حتى يحلّ رجال هذه الفرق محل الذين خسرتهم الوحدات المقاتلة في الجبهة، فتتكامل القوّات، وتستعيد قدرتها، ويندمج الجندي الجديد بالقديم، ويتلقى منه التدريب والخبرة. ووافق أيزنهاور على الاقتراح، فارتفعت الروح المعنوية.

بيد أن الآمال التي علقت على وصول الوحدات الجديدة لم تتحقق كلها، وذلك لأن الحاجة للجنود قد تزايدت بدرجة كبيرة مع قدوم فصل الشتاء، بسبب ما تعرضت له القوات من نقص في الرجال. وعندما وصلت الوحدات من أمريكا، أخذ كل قائد في تخصيص قطيع من جبهته للوحدة الجديدة، مع تجهيزها بما توافر له من الأسلحة. فجاء التنظيم على هذا النحو مبتوراً، لأن الوحدات الجديدة كانت تفتقر للأسلحة الثقيلة، كما أن هذا التنظيم لم يعطِ للوحدات التي أنهكها التعب، واستنزف قدرتها القتال، ما كانت تحتاجه من الراحة.

كان من نتيجة تركيز القوات في منطقتي السار جنوباً، ونهر الرور وسدوده شمالاً، أن انكشفت (منطقة الأردين)[1] أمام القوات

(١) الأردين: (ARDENNES) إقليم يضم قسماً من اللورين وقسماً من هينو (HAINAUT) في شامبانيا ـ من أشهر مدنه: ميزيير، وريثل، وسيدان، وفوزيير.

الألمانية، مما أقلق أيزنهاور، إذ لم تبقَ هناك إلاّ ثلاث فرق لحماية الجبهة البالغ طولها ١٢٥ كيلومتراً تقريباً (ما بين مونشو شمالاً وتريبه جنوباً). ونظراً لوقوع هذا القطاع في جبهة الجنرال عمر برادلي، فقد أسرع أيزنهاور للاجتماع به، وأبدى مخاوفه. وتبين لدى البحث أنه ليست هناك قوات احتياطية يمكن زجها لسد هذا الفراغ. كما أن إعادة توزيع القوى وتنظيمها تتطلب توقفاً عن الأعمال الهجومية في القطاعات الأخرى. وكان من الصعب إيقاف تلك الأعمال نظراً لما تحققه من فائدة. وقد أوجز الجنرال برادلي الموقف على جبهته بما يلي:

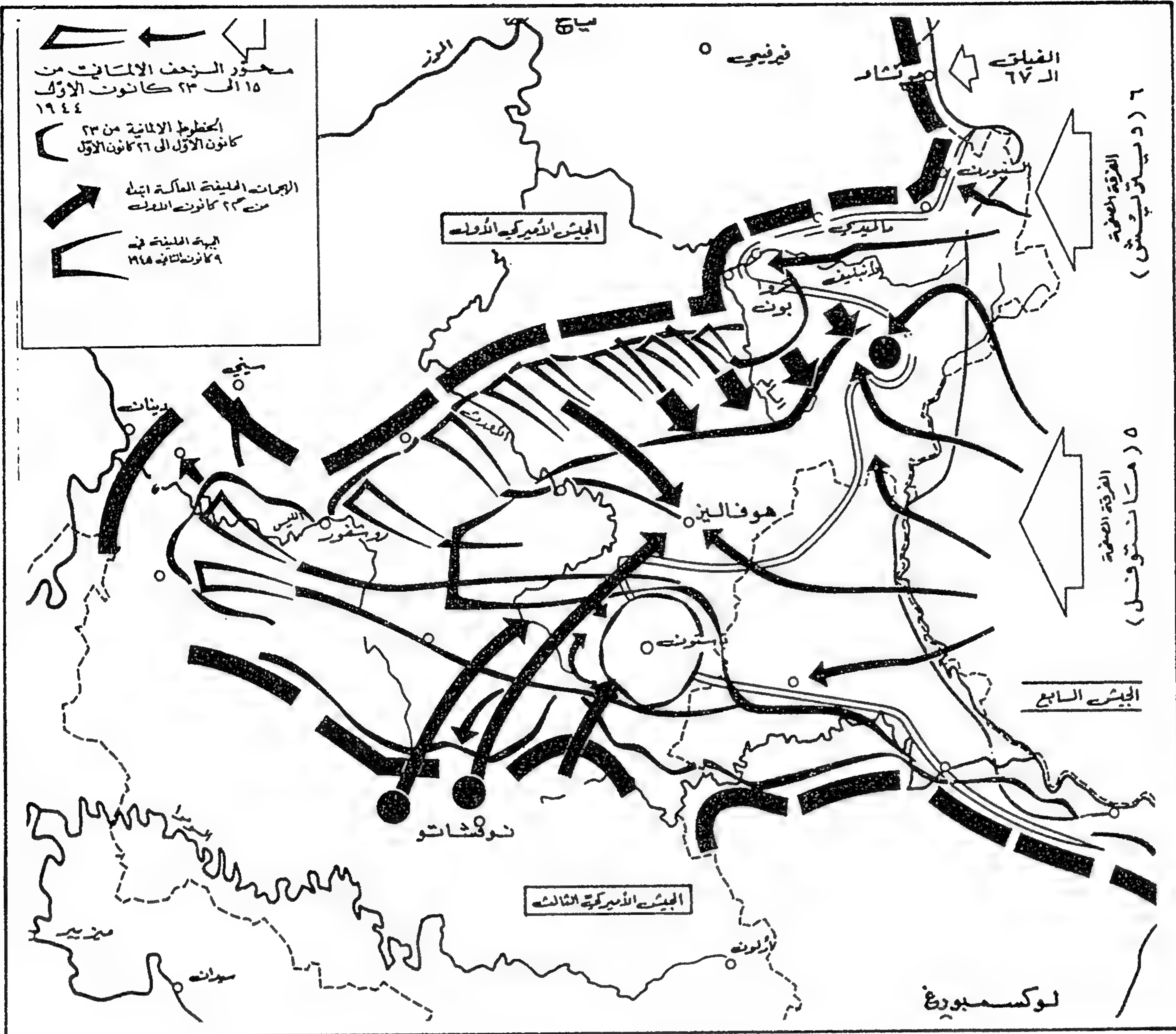
«أولاً: لا بدّ من متابعة الأعمال الهجومية التي تصيب القوات الألمانية بخسائر تزيد على ضعفي ما يصيب منها القوات الأمريكية.

ثانياً: إن القطاع الوحيد الذي يمكن للألمان الانطلاق منه للهجوم المضاد هو قطاع الأردين. ولكن بما أنه تم حشد مجموعتين كبيرتين من القوات على جانبي ذلك القطاع ـ من الشمال والجنوب ـ فإنه بالمستطاع توجيه ضربة قوية من الجانبين إذا ما خرج الألمان للهجوم.

ثالثاً: ومع افتراض قيام الألمان بهجوم مباغت، والاندفاع بقواتهم إلى الأمام حتى وصولهم إلى نهر الموز، فإنهم سيجابهون عندها مشكلة التموين، إلاّ إذا أمكن الاستيلاء على المستودعات الأمريكية. وقد تم الاحتياط لهذا الموقف فأقيمت المستودعات في منطقتي (ليبج)[1]

---

(١) ليبج: (LIÈGE) مدينة بلجيكية، وهي عاصمة الإقليم الذي يحمل اسمها، وتكتب وتلفظ باللغة الفلمنكية ـ لويك: (LUIK) تقع على ملتقى نهري الموز واورث. قريبة من الحدود الألمانية.



آخر هجوم شنّه الجيش الألمانيّ في «الأردين».

و (فردان)[١] البعيدتين عن قطاع الهجوم المحتمل.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد بذلت جهود كبيرة لتطويق الألمان قبل وصولهم إلى خط سيغفريد والتحصن به، وكان الفشل من نصيب تلك الجهود، وقد يكون خروجهم هو ضربة حظ للقوات الحليفة».

لقد كانت وجهة نظر عمر برادلي منطقية، ومقبولة، وإن خروج

---

(١) فردان: (VERDUN) أو فردان الموز (VERDUM- SUR MEUSE)، مدينة فرنسية وهناك أيضاً فردان الغارون وفردان دوبس (في إقليم السوم واللوار).

الألمان من تحصيناتهم، والاشتباك معهم في العراء، هي فرصة ثمينة. ولكن أليس من الخطر الكبير ترك أربع فرق فقط في مواجهة هذا القطاع الواسع؟ ومن ذا الذي يتحمل المسؤولية في البداية والنهاية؟ وفكّر أيزنهاور في الأمر، واتخذ قراره: حسناً، فلتقع هذه المسؤولية على عاتقه، ولكنه لن يوقف الهجوم.

كان الجيش الأمريكي الأول يستعد للقيام بهجوم حاسم على سدود نهر الرور في يوم ١٣ كانون الأول ـ ديمسبر ـ كما كان الجيش الأمريكي الثالث يستعد بدوره للقيام بهجوم ساحق على منطقة السار في يوم ١٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ. وفكّر أيزنهاور بأن نجاح هذا الهجوم سيرغم الألمان على سحب عدد من فرقهم من القطاعات الأخرى لصد الهجوم عن منطقة السار الحساسة، فيتم إنقاذ منطقة الأردين من الخطر الذي يتهددها.

ولكن أين هو الجيش المدرّع الألماني السادس؟ وماذا يفعل الآن؟

كانت القيادة الألمانية قد زجّت جيشها المدرّع السادس، والذي هو أقوى الجيوش المقاتلة التي بقيت في ألمانيا، لمواجهة الفيلق الأمريكي الثاني عشر الذي كان يتهدد منطقة الرور في شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ. ولكن عندما توقف هذا الفيلق عن الهجوم في بداية شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ، عملت القيادة الألمانية على سحبه، ولم يعد يظهر له أي أثر، وقلق أيزنهاور لاختفائه. وزاد من قلقه ما أرسلته إليه الاستخبارات من معلومات عن وجود حشد للقوى الألمانية في جبهة الأردين، في حين كانت القيادة الألمانية ترسل إلى هذه المنطقة

الفرق التي ترغب في إعطائها قسطاً من الراحة. ومضت أربعة أيام على أيزنهاور وهو يعاني من القلق، حتى إذا ما كان يوم ١٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٤، استقبل أيزنهاور في مقر قيادته الجنرال عمر برادلي الذي جاء يشكو ما تعانيه قوّاته من النقص في الجنود. وكانت الأحوال الجوية يومها سيئة للغاية، فالضباب الكثيف يخيم على منطقة الأردين، فيمنع الطائرات من الاستطلاع، والمطر ينهمر بغزارة. وفي هذا الجو العاصف، وبينما كان برادلي يهم بطرح مشكلاته، دخل أحد الضباط المساعدين لأيزنهاور، وأعلمه عن قيام الألمان بإحداث بعض الفجوات في جبهة الأردين (جبهة الفيلق الثامن بقيادة الجنرال مدلتون). وأدرك أيزنهاور على الفور خطورة الموقف: **لقد اتخذ هتلر قراره بإعادة تنفيذ عملية مماثلة لعملية هجوم القوات الألمانية عبر الأردين في سنة ١٩٤٠، فطردوا الإنكليز وأرغموا فرنسا على الاستسلام. ولكن هذه السنة هي سنة ١٩٤٤، والموقف مختلف عما كان عليه بالأمس، وإذن فلا مجال للقلق أو التشاؤم، ولكن لا بد أيضاً من الإسراع في العمل.**

كان الجنرال فون رونشتد الذي قاد الهجوم سنة ١٩٤٠ هو ذاته الذي تولّىٰ قيادة الهجوم الجديد، واستطاع مباغتة أيزنهاور في حجم الهجوم وشدته وتوقيته، فقد استطاع رونشتد زجّ ثلاثة جيوش هي الخامس والسادس والسابع. وكان الاعتقاد السائد في قيادة أيزنهاور بأن الألمان لن يتمكنوا من حشد مثل هذه الجيوش إلّا بعد مضي فترة طويلة ـ هذا إذا توافرت لهم مثل هذه الفترة ـ. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أفاد رونشتد من الضباب والأحوال الجوية السيئة للقيام بحشد

قـوّاته وزجّهـا في المعركـة، دون أن يتمكن طيران الاستـطلاع من اكتشاف حشده، ودون أن يتمكن الطيران القاذف من التعامل مع هذا الحشد، كما أفاد رونشتد من قوة خط سيغفريد، فسحب قسماً كبيراً من قواته وزجّها في المعركة.

٥ ـ الأردين ـ والجهد اليائس

هكـذا بـدأ هجـوم الألمـان في الأردين يـوم ١٦ كـانـون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٤. وأسرع أيزنهاور، فعقد اجتماعاً مع هيئة أركانه ومساعديه لبحث الموقف، فتبين أن هناك فرقة أمريكية مدرّعة ـ في جيش باتون ـ لم تشترك بعد في القتال، فأصدر أيزنهاور الأمر لنقلها بسرعة إلى المنطقة المهددة، وترك للجنرال برادلي أمر تحديد مكـان تمركزها. ثم بدأ البحث عن القوات الاحتياطية، فتبين أن هناك فيلق المظليين الثامن عشر (بقيادة الجنرال ريد جوي)[1] وقد تمركز قرب ريمس ـ في فرنسا ـ بعد انسحابه من الأرنيم، بالإضـافة إلى فـرقة

---

(١) ريدجوي: (RIDGWAY, MATTHEW BUNKER) جنرال أمريكي ـ من مواليد سنة ١٨٩٥ تولى سنة ١٩٤٢ قيادة فرقة مشاة المظليين ٨٢، وقد عمل على قيادة هذه الفرقة في عمليات صقليا وإيطاليا سنة ١٩٤٣، ثم اشترك وفرقته في إنزال النورماندي سنة ١٩٤٤، وأصبح في سنة ١٩٤٥ قائداً لفيلق المظليين ١٨ في ألمانيا المحتلة. وكان قد اضطلع قبلها بقليل بقيادة فرقته في عملية تحرير أكبر جزر الفيليبين ـ وهي جزيرة لوزون LUZON سنة ١٩٤٥ أيضاً. وعين في ٢٣ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٥٠ قائداً للعمليات الأرضية في كوريا. وأصبح في ١١ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٥١ قائداً أعلى للقوات في كوريا (وحلّ محل ماك آرثر). ثم عين في أيار ـ مايو ـ سنة ١٩٥٢ قائداً أعلى لقوات الحلفاء في أوروبا (الناتو). وشغل بعدئذ منصب رئيس هيئة الأركان الأمريكية (١٩٥٣ ـ ١٩٥٥).

مدرعة أمريكية وصلت حديثاً إلى إنكلترا، مع وجود فرقة مظليين وفرقة مشاة في إنكلترا أيضاً. وكان لدى مونتغومري فيلق كامل قد أعدّه للهجوم، ولكنه لم ينطلق به بعد، وكانت هذه القوى كافية لإحباط أي هجوم.

قرر أيزنهاور بعد بحث الموقف دعم الفيلق الأمريكي الثاني عشر المعرّض للهجوم الألماني، وذلك لتمكين هذا الفيلق من الانسحاب بانتظام، ثم أخذ في بحث المدى الذي يمكن أن يصل إليه الهجوم الألماني، دون أن يصيب القوّات الحليفة بخسائر كبيرة. وتبين له أن بالمستطاع السماح للقوات الألمانية باجتياح اللوكسمبرغ وسيدان في الجنوب والوصول إلى نهر الموز في الغرب، شريطة أن لا تعبر النهر، وذلك دون خوف من هذا الاجتياح. وانصرف أيزنهاور لحشد القوىٰ الاحتياطية استعداداً لزجّها في المعركة، فيما رجع عمر برادلي إلى مقرّ قيادته في اللوكسمبرغ للقيام بالمهمة ذاتها.

وسرعان ما تبيّن لأيزنهاور في اليوم التالي (١٧ كانون الأول ـ ديسمبر ـ) أن الهجوم الألماني قد تطوّر بسرعة، واستطاع إحداث خرقين ـ ثغرتين عميقتين ـ في وسط القوات الأمريكية ـ الأولى في قطاع الفرقة ١٠٦ والثانية في قطاع الفرقة ٢٨. وكانت التقارير مضطربة مشوشة، نتيجة لتسارع التطور في الموقف. غير أن هناك حقيقة باتت واضحة وهي أن الهجوم الألماني يندفع بسرعة نحو الغرب، مستخدماً القوات المدرّعة بكثافة عالية. وبعد مدة قصيرة أخذت شبكات الاستخبارات في تقديم المعلومات الدقيقة التي كان

يحتاجها أيزنهاور عن قوة الهجوم الألماني واتجاهاته. فقرر أيزنهاور العمل على دعم القوّات المنتشرة على جانبي الهجوم الألماني في الشمال والجنوب. وكانت أشد المناطق خطورة هي تلك المجاورة لمدينة مونشو، حيث كان الفيلق الأمريكي الخامس يهاجم سدود نهر الرور بفرقتيه (الثانية والتاسعة والتسعين) وقد نجح الهجوم الألماني بإرغام الفرقتين على التراجع فتلقّت الفرقة الثانية صدمة الهجوم، بدعم بعض وحدات الفرقة ٩٩. واستطاعت هذه الفرقة أن تصمد لمدة ثلاثة أيام، قاتلت فيها بضراوة وعناد، قبل أن يصلها الدعم. وكان لفرقة المدرعات السابعة دورها الحاسم في دعم الفرقة الثانية ومساعدتها على خوض معركتها ببطولة.

عندما أصدر أيزنهاور أمره يوم ١٧ كانون الأول ـ ديسمبر ـ إلى الفرقة السابعة بالتوجه من الشمال نحو الجنوب، كان الموقف لا يزال غامضاً بالنسبة له. وبينما كانت هذه الفرقة في طريقها لدعم ميسرة الفيلق السابع، وجدت نفسها بغتة وهي نصف مطوقة عند نقطة مواصلات مهمة كان لا بدّ للقوات المتقدمة الألمانية من اجتيازها خلال اندفاعها نحو الغرب ـ وهذه النقطة هي سنت ڤيث ـ فما كان من الفرقة السابعة إلاّ أن تمسّكت بمواقعها بعد أن انضمّت إليها بقايا الفرقتين ١٠٦ و٢٨، وأرغمت الهجوم الألماني على أن ينشطر إلى شطرين من على جانبيها، وأنقذت مدينة منشو من التطويق. ولكن اشتداد ثقل الهجوم الألماني على الفرقة السابعة، وتعرّضها للخطر بالتطويق، وقطع خطوط مواصلاتها، أرغمها على الانسحاب نحو اتجاه الشمال الغربي حتى تلتحق بالقوّات التي كان يتم حشدها لضرب

ميمنة قوّات الهجوم الألماني. وأثناء ذلك، كانت الفرقة الثانية في منشو قد تلقّت دعم الفرقتين الأولى والثانية، فأمكن بذلك تأمين خط الجبهة الشمالي بهذه الفرق الثلاث.

أصدر أيزنهاور أمره، اعتباراً من يوم ١٧ كانون الأول ـ ديسمبر ـ أيضاً بانتقال فرقتي المظليين الأمريكيتين ٨٢ و ١٠١ من الاحتياط، والعمل تحت قيادة الجنرال عمر برادلي، ثم ألحقت بقيادته أيضاً فرقة المدرّعات الأمريكية ١١ والتي كانت قد وصلت حديثاً، بالإضافة إلى الفرقة ١٧ التي نقلت من بريطانيا.

أصدر أيزنهاور أمره إلى قائد إدارة التموين العام ـ الجنرال لي ـ بالدفاع عن نهر الموز، وتدمير كافة الجسور إذا دعت الحاجة، فبدأ بإقامة خط دفاعي قوي هناك. كما اتخذ الجنرال مونتغومري الاستعدادات الضرورية لحماية المستودعات والمخازن في الجبهة البريطانية.

أخذ الهجوم الألماني في التطور والتقدّم بسرعة في الوسط، رغم ما أصابه من فشل في منطقة منشو، ثم اندفع إلى الشمال الغربي. وظهر لأيزنهاور بشكل واضح أن الهجوم الألماني يهدف لاحتلال لييج وأنتويرب للاستيلاء على المستودعات هناك. وقرر أيزنهاور الدفاع عن لييج بكل جهد مستطاع، نظراً لما كان يتوافر في هذه المدينة من المواد التموينية المختلفة والإمدادات المتنوعة بكميات كبيرة. وأصدر أيزنهاور أمره إلى (عمر برادلي) بتوجيه الفيلق الجوي الثامن عشر إلى

جبهة (باستون)[1] لدعم الفيلق الثامن المرابط هناك ـ بقيادة الجنرال مدلتون ـ فلما وصلت قوّات الفيلق الجوي، أصدر مدلتون أمره إلى فرقة المظليين ١٠١ بالانتشار في باستون وفرقة المظليين ٨٢ بالانتشار في ستافيلو، إلى الشمال من باستون، وبات لزاماً على قوّات الفيلقين ٨ و ١٨ احتمال ثقل الهجوم الألماني.

تشكّلت لدى أيزنهاور فكرة واضحة عن قوة الهجوم الألماني وأهدافه ونواياه، في ليل ١٨ كانون الأول ـ ديسمبر ـ فعقد اجتماعاً مع جهاز قيادته في فردان لوضع خطة الهجوم المضاد. وكان أيزنهاور قد قرّر التزام الدفاع في الشمال ـ حيث أخذ الضغط الألماني في الاسترخاء ـ وشن الهجوم من الجنوب نحو الشمال بقوة ثلاث فرق، وحدد يوم ٢٣ كانون الأول موعداً لهذا الهجوم. وشدد على قائد الهجوم ـ الجنرال باتون ـ بألّا ينطلق في هجومه على دفعات، وأن يقذف بكامل قوّته في المعركة دفعة واحدة. وقرر أيزنهاور سحب قسم كبير من القوات الأمريكية في الشمال من أجل تدمير الألمان في بلجيكا، حتى لو أدّى ذلك إلى ضعف القوّات في ستراسبورغ وانسحابها منها بصورة مؤقتة.

ولكن ما إن علم الفرنسيون بقرار أيزنهاور هذا، حتى ثارت

---

(١) باستون: (BASTOGNE) وباللغة الفلمنكية (BASSOUTOLAND) مدينة بلجيكية قريبة من حدود اللوكسمبرغ، وهي مركز اصطياف شهير، احتلت مرتبة كبيرة من الأهمية في الحرب العالمية الثانية بسبب مقاومتها الضارية للهجوم الألماني، وما رافقها من معارك عنيفة.

ثائرتهم، وأرسل ديغول رئيس هيئة الأركان الفرنسية ـ الجنرال جوان ـ لإقناع أيزنهاور بضرورة عدم السماح للألمان باحتلال ستراسبورغ مرة ثانية. فردّ أيزنهاور: «**إن ضمان عدم سقوطها في أيدي العدو هو أمر فوق طاقتي، في الوقت الحاضر، على أني لن أخليها إلاّ مضطرّاً**».

أشارت التقارير التي وردت إلى مقرّ قيادة أيزنهاور في ليل ١٩ ـ ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ إلى أن القيادة الألمانية قد ركّزت جهد قوّاتها للاندفاع بسرعة نحو الشمال الغربي لقطع نهر الموز ـ جنوبي لييج ـ والاندفاع من هناك في خط مستقيم للوصول إلى البحر، وقطع خطوط المواصلات على جميع قوّات الحلفاء العاملة في جبهة الشمال. وظهر واضحاً أن الهجوم الألماني ما زال يتطور ويتعاظم بصورة مدهشة. فكانت تبرز في كل ناحية منه رؤوس كالأفاعي، هنا وهناك، وغايتها التهام ما تصادفه في طريقها من الوحدات والقوّات.

كانت لدى أيزنهاور ثلاثة جيوش وقسم من جيش رابع في شمال النتوء الذي أحدثه الهجوم الألماني. وكانت هذه الجيوش تنتشر على جبهة شبيهة بنصف دائرة تمتد على مسافة أربعمائة كيلومتر مقريباً (٢٥٠ ميلاً)، يحتل طرفها الشمالي الفيلق ٢١، ويتجه نحو الشمال الشرقي على الضفة الغربية من مصبيّ نهري الراين والموز، ويليه إلى الجنوب الجيش الأمريكي التاسع، ثم الجيش الأمريكي الأول الذي حوّل جبهته من الشرق إلى الجنوب. فعمل أيزنهاور على اقتطاع ما استطاع اقتطاعه من الجيشين التاسع والأول لتشكيل جبهة عرضانية

من الشرق إلى الغرب لمجابهة الهجوم الألماني. وكانت أيضاً لدى الجنرال مونتغومري قوة احتياطية غير مشتركة بأي نشاط قتالي ـ وهذه القوة هي الفيلق البريطاني الثلاثين ـ.

كان من نتيجة الهجوم الألماني انقطاع الاتصال بين مركز قيادة الجنرال (عمر برادلي) وجيشيه الأول والتاسع، وبات من الصعب عليه توجيه اهتمامه إلى الجبهة الجنوبية، مع توجيه تحركات الجيشين العاملين في الشمال. فما كان من أيزنهاور إلّا أن أصدر أمره بتعيين الجنرال مونتغومري قائداً عاماً ـ بصورة مؤقتة ـ لجميع القوات المنتشرة في شمال النتوء الألماني، ليتفرّغ الجنرال برادلي لقيادة القطاع الجنوبي. وأبلغ القائدين بقراره الذي تمّ تنفيذه على الفور.

اتصل المستر تشرشل بأيزنهاور في ليل ١٩ كانون الأول ـ ديمسبر ـ وسأله عن سير المعركة، فشرح له الموقف، وأبلغه عن القرار الذي اتخذه لمواجهة الحالة الطارئة، فردّ تشرشل بالمقابل: «**إن الجيش البريطاني مستعد للعمل في أي قطاع، وذلك بصرف النظر عما تم التخطيط له من قبل بأن يعمل كل جيش في منطقة معيّنة. وتأكّد بأن الجنود البريطانيين يعتبرونه شرفاً أن يشتركوا في المعركة، جنباً إلى جنب، مع رفاقهم الأمريكيين**».

لكن بعد أن انتهت المعركة عقد الجنرال مونتغومري مؤتمراً صحافياً، استخلص منه المراسلون الصحافيون أن الجنرال مونتغومري قد تدخّل في المعركة لإنقاذ الأمريكيين مما كان يحيط بهم من الخطر. وجاء ما نشروه ماساً بكرامة الأمريكيين، فقام القادة

الأمريكيون وردّوا عليه الصاع صاعين، وسفّهوا آراءه، وأزعج ذلك أيزنهاور، غير أن هذه العاصفة لم تؤثّر على مخططاته.

أثارت الصحف البريطانية عندها موضوع إنشاء قيادة بريّة واحدة، وكان الفيلد مارشال مونتغومري من مؤيّدي هذه الدعوة، وتقدم إلى أيزنهاور، فعرض عليه تعيين عمر برادلي قائداً عاماً، على أنه ـ أي مونتغومري ـ مستعد للخدمة تحت قيادته، غير أن أيزنهاور رفض هذه الدعوة. وفي هذا الوقت ذاته، وصلته رسالة من الجنرال مارشال يوم ٣٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٤ جاء فيها ـ:

«إني لا أدري إذا كان هناك من لَفَت انتباهك إلى بعض المقالات التي تظهر في بعض صحف لندن داعية إلى تعيين قائد عام بريطاني للقوات البرية يكون مساعداً لك، متذرعة بأن كثرة الأشغال الملقاة على كاهلك قد صرفتك عن المعركة البرية. إليك رأيي صريحاً بذلك. إيّاك أن تتنازل عن شيء مهما كان ضئيلاً. وثِقْ إني أدعمك في موقفك. إن أعمالاً كبيرة قد تمّت على يديك. فإلى الأمام، ودعهم في غيهم يعمهون».

وأجاب أيزنهاور يوم ١٩٤٥/١/١: «لا تدع أي شك يتسرّب إلى ذهنك بأني سأعينّ قائداً ينوب عني في العمليات البرية. وإني قد اطلعت بعد وصول برقيتك على معظم ما كَتَبَتْهُ الصحف البريطانية. وقد وجدت أن المسألة تتعلق بفئة قليلة قد طالبت منذ البداية بتعيين قائد بريطاني مساعد لي، لاستلام القيادة البريّة، ولم أعرها أي اهتمام. أما الآن، ولم يفرّق الهجوم بين أمريكي وإنكليزي، بل

أوغل في تقدّمه فشطر جبهتنا إلى شطرين، وحال دون اتصال برادلي بالجيشين الأمريكِيّين المنتَشِرَيْن إلى الشمال من النتوء الألماني، فقد استصوبت أن أعينّ قائداً عاماً للشطر الشمالي الواقع على ميمنة العدو، وقائداً آخر للشطر الجنوبي على ميسرة العدو وهذا الترتيب المؤقّت اقتضته حالة طارئة».

خاضت فرقة المظليين ١٠١، ومعها بقية القوات، معركة ضارية للدفاع عن باستون، إلاّ أن القوّات الألمانية نجحت في تطويقها، وبقي الموقف حرجاً في الجبهة الشمالية. وأصدر أيزنهاور أمره بسحب ما تبقّى من الفرقة المدرّعة السابعة، بعد أن خاضت معركة ضارية وحدها طوال ٣٦ ساعة.

أمّا في الجنوب، فقد انطلق عمر برادلي في هجومه يوم ٢٢ كانون الأول ـ ديسمبر ـ غير أن تقدّمه كان بطيئاً جداً بسبب المقاومة الألمانية وبسبب الثلوج المتراكمة. غير أن الغيوم التي انقشعت يوم ٢٣ سمحت للطيران بممارسة دوره في ضرب القوات الألمانية بعنف. واستطاع الجنرال باتون أن يتصل بالقوات المُحَاصَرة في منطقة باستون. وردّ الألمان بهجوم عنيف، وقذفوا بقوّات ضخمة نقلوها من الشمال ومن المؤخرة وتحولت المعركة إلى ملاحم رهيبة يوم ٢٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ.

وفي اليوم التالي سافر أيزنهاور إلى بروكسل، حيث اجتمع بالفيلد مارشال مونتغومري، وناقش معه الموقف. وظهر أنه من المحتمل قيام الألمان بهجوم جديد، فتقرر على أن لا يقوم مونتغومري بهجوم

مضاد، إلّا إذا أمكن استنزاف قوة الهجوم الألماني وإيقافه. وحدد يوم الاثنين ٣ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٥ موعداً لهجوم مونتغومري المضاد، هذا إذا لم يقم الألمان بهجوم جديد.

بينما كانت معركة الأردين تبلغ ذروتها، وبينما كان الصراع حول باستون يشتد أكثر فأكثر، أخذ الألمان في ممارسة الضغط على منطقة الألزاس في الجنوب، بهدف حمل الحلفاء على سحب بعض قواتهم من الشمال. فأصدر أيزنهاور أمره إلى الجنرال دفرز باتخاذ تدابير الحذر لمنع أية محاولة ألمانية لتطويق القوّات هناك، حتى لو اقتضى الأمر بالانسحاب عند الضرورة. ولما علم الفرنسيون بهذا الأمر تجدد خوفهم على (ستراسبورغ). وطلب الجنرال ديغول مقابلة أيزنهاور، وجاء يوم ٣ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٥، واجتمع به، فأطلعه أيزنهاور على خطة العمليات. ووافق ديغول على صحّتها من الناحية العسكرية، ولكنه قال إنها خاطئة من الناحية المعنوية، لأن الشعب الفرنسي يتطلع إلى مدينة ستراسبورغ منذ سنة ١٨٧٠ على أنها رمز لعظمته، فإذا ما عاد الألمان لاحتلالها، فإن ذلك قد يثير غضب الفرنسيين وسخطهم، وقد يدفعهم ذلك لاختلاق بعض المشاكل، وعلى هذا فإنه ـ أي ديغول ـ يجد نفسه مضطراً لسحب الجيش الفرنسي بكامله من مواقعه المختلفة في الجبهة، وينفرد في الدفاع عن ستراسبورغ. وردّ عليه أيزنهاور، بأنه حرّ في أن يفعل ما يشاء، وبالمقابل، فإنه ـ أي أيزنهاور ـ حرّ في أن يمنع عنه كل سلاح وإمداد، وفوق ذلك، فإن المسؤولية في تعريض ستراسبورغ تقع على عاتق الفرنسيين، فلو أنهم بذلوا مزيداً من الجهد لتدمير القوّات

الألمانية في جيب كولمار، لما نشأت هذه الحالة الخطرة.

أعاد أيزنهاور تدقيق الموقف على الخارطة، فوجد أن جميع خطوط الإمداد والتموين للجبهة تمر عبر الأراضي الفرنسية، وإن إثارة الفرنسيين قد تؤدي إلى عواقب سيئة. وعلى هذا، وقبل أن ينصرف ديغول، أخبره بأنه سيصدر الأمر إلى الجنرال دفرز بالانسحاب نحو الشمال إذا اضطر إلى ذلك لتركيز قوّاته حول ستراسبورغ، ولمنع الألمان من الاستيلاء عليها، فسري عن ديغول، وودع أيزنهاور بحرارة. وكان المستر تشرشل ـ مصادفة ـ في مقرّ قيادة أيزنهاور عندما جرى النقاش بين أيزنهاور وديغول، لكنه لم ينبس ببنت شفة، فلما انصرف الجنرال ديغول قال تشرشل لأيزنهاور: «أعتقد أنك فعلت عين الحكمة والصواب في ما قررت».

عندما كانت المعركة البرية في الأرنيم تبلغ ذروتها، قام الطيران الألماني بنشاط لم يقمْ بمثله منذ بداية الغزو. ووجّه إلى مطارات الحلفاء ضربات عنيفة دمّر بها عدداً كبيراً من الطائرات، فردت عليه الطائرات المقاتلة للحلفاء بسرعة، وتمكنت من تدمير نصف ما استعمله من الطائرات.

بدأ الجيش الأمريكي هجومه من الشمال يوم ٣ كانون الثاني ـ يناير ـ وأخذت القوات في الإطباق على القوات الألمانية من الشمال والجنوب. لكن التقاء قوّات الحلفاء تأخّر حتى يوم ١٦ كانون الثاني ـ يناير ـ بسبب رداءة الأحوال الجوية، وبسبب المقاومة الضارية للألمان، الأمر الذي مكّنهم من سحب معظم قواتهم نحو الشرق.

تعرّضت قوات الطرفين المتصارعين في معركة الأردين للخسائر الفادحة. فخسر الألمان ١٢٠ ألفاً من المقاتلين (أو ٩٠ ألفاً وهو الأصح) بين قتيل وجريح وأسير، بالإضافة إلى ٦٠٠ دبابة و١٢٠٠ طائرة و ٦ آلاف عربة، في حين بلغت خسائر الحلفاء ٧٧ ألف مقاتل منهم ٨ آلاف قتيل و ٤٨ ألف جريح و ٢١ ألفاً بين أسير ومفقود، بالإضافة إلى ٨٣٣ دبابة.

كان أيزنهاور خلال معركة الأردين يتابع وضع المخططات لِمَا بعد هذه المعركة. وقد قسّم هذه المخططات إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى، وفيما يتم تدمير كافة القوات الألمانية غربي نهر الراين.

المرحلة الثانية: اجتياز الراين وإقامة رؤوس جسور كبرى عليه.

المرحلة الثالثة: التوغّل داخل ألمانيا والإجهاز على النظام النازي وقوّاته المسلّحة.

كان التوغل في داخل ألمانيا يتطلب تنظيم التعاون مع القوات السوڤييتية، حتى لا تضرب القوات المتحالفة بعضها بعضاً، فأخذ أيزنهاور موافقة الحكومة الأمريكية والقيادة المشتركة على إرسال وفد عسكري إلى موسكو. ولما حصل على الموافقة أرسل ماريشال الجو تيدر والجنرال بيتس، حيث استقبلهم الجنراليسمو ستالين والقيادة السوڤييتية بترحاب كبير، وقدّموا لهم كافة المعلومات الدقيقة، والمخططات السوڤييتية. وتم الاتفاق على عدم إيقاف الهجوم حتى

الوصول إلى برلين وذلك حتى لا تتاح للقوّات الألمانية فرصة المناورة بالقوات أو إعادة تنظيمها من جديد لإبداء مقاومة فعّالة.

وظهر واضحاً أن الحرب قد اقتربت من نهايتها.

٦ ـ الهجوم الحاسم والنهائي

ما إن شرع أيزنهاور في طرح مخططاته الجديدة حتى جُوبِه بحملة بريطانية مضادة له. فقد وجّه إليه المستر تشرشل نقداً شديداً لِمَا قام به من تنسيق للتعاون مع القيادة السوفييتية، إذ كان مثل هذا العمل في رأي المستر تشرشل هو عمل سياسي، ثم تبعه عدد من القادة السياسيين والعسكريين البريطانيين بانتقاد خطة أيزنهاور. ودهش أيزنهاور لهذه الظاهرة، وتبينّ له أن هناك ثمة فارق كبير في نهج القيادة العليا والقيادة الحربية في ساحات القتال بين الأمريكيين والبريطانيين. فبينما يعتمد النهج الأمريكي على تعيين القائد وإعطائه ما يحتاجه من الرجال والوسائط القتالية لتنفيذ مهمته، ثم تتْرك له حرية العمل العسكري، ولا يتدخل أحد في أمور إدارته للحرب. وذلك على أساس أن قائد مسرح العمليات يحيط بالموقف الفني والإداري القتالي أكثر مما تحيط به القيادة العليا البعيدة على مسافات آلاف الأميال. فإذا ما فشل في مهمته، يتم عزله، كان النهج البريطانيا يعتمد على حق القيادة العليا في التدخّل بإدارة الحرب على مستوى العمليات، وهي تصدر إليه التعليمات يوماً بيوم. ولهذا لم يكن غريباً أن يُصاب أيزنهاور بالصدمة تلو الصدمة، كلما حاول البريطانيون التدخل في شؤونه وشؤون القادة البريطانيين في الجبهة.

حدث بعد أن وضع أيزنهاور خطته لعمليات سنة ١٩٤٥، وعرضها على القيادة العليا المشتركة، أن تصدّى لمناقشتها الفيلد مارشال آلان بروك، وانتقدها بشدة على أساس أنها تسمح بنشر وتشتيت القوّات أكثر من اللازم، وقال بوجوب تجميد الجبهة والتزام خطة الدفاع حتى يتمكن من جمع قوة احتياطية كبيرة يمكن لها التوغل في قلب ألمانيا.

لم يكن أيزنهاور يجهل خطورة نشر القوات على جبهة واسعة، غير أن الحالة التي جابهته هي التي فرضت عليه ذلك، فلقد كان الألمان يتمتعون بميزة استنادهم إلى خط سيغفريد الحصين، مما كان يسمح لهم بالدفاع عنه بقوات قليلة، وبالتالي حشد معظم قواتهم في مناطق معينة، فإذا ما قام أيزنهاور بهجومه على جبهة ضيّقة، استطاعوا أن يباغتوه بهجمات عنيفة ومركّزة. ولم يكن باستطاعته أن يزجّ على جبهة ضيقة بأكثر من ٣٥ فرقة، يستطيع الألمان التعامل معها من موقع التفوّق، بينما كان الهجوم على جبهة واسعة يسمح لأيزنهاور بالإفادة من تفوّقه بالقوى والوسائط.

وحاول أيزنهاور إقناع الفيلد مارشال آلان بروك بكل الوسائل، بأن طرد الألمان من كل الأراضي الواقعة غربي الراين، سيضع قوات الحلفاء في موقف معادل لموقف القوات الألمانية، وعندها يمكن أن يزجّ في المعركة بقوة ٧٥ فرقة كاملة، يحميها سلاح طيران متفوّق على السلاح الجوي الألماني، ولكن آلان بروك أظهر عدم اقتناعه. وأخيراً قال لأيزنهاور: «إني أتمنى عليك أن تضع القوات البريطانية في الوسط

ليتسنى لها الاضطلاع بأكبر قسط في المعركة. وأجابه أيزنهاور: **«إني لست متشوقاً ولا راغباً في قذف الأمريكيين إلى قلب المعركة ليقتلوا، ولا أريد أيضاً التضحية بالجنود البريطانيين. وعندما وضعت خطتي لم يَدرْ في خلدي أن أعطي الفرصة لقائد أو أمة لتجني الأمجاد دون غيرها. وإن كنت تعتقد بكسب المجد على حساب دم الشبان، فإني أقول لك إنه لا يوجد مجد يضاهي بقيمته ما يسفك من دماء لأجله»**.

علم أيزنهاور أن الرئيس روزفلت والرئيس تشرشل قد صمّما على الاجتماع بالمارشال ستالين في يالطا. وانفرد الجنرال مارشال عن الوفد المرافق لروزفلت، ومرّ بأوروبا حيث عقد اجتماعاً سرياً مع أيزنهاور في مارسيليا يوم ٢٥ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٥. وشرح الجنرال مارشال لأيزنهاور أصداء ما تحدثه تذمّرات البريطانيين واحتجاجاتهم على عدم تعيين قائد بريطاني لينوب عن أيزنهاور في قيادة القوات البرية، وما تثيره من ضجيج في واشنطن. وقام أيزنهاور من جانبه بشرح الموقف للجنرال مارشال، وأظهر له ما اتخذه من إجراءات، ثم شرح له خطة عملياته للمرحلة القادمة، فوافق عليها، وتبنّاها، وأخذ على عاتقه دعمها والحصول على الموافقة عليها من القيادة العليا المشتركة.

وحصل أيزنهاور على الموافقة، وجاءت مرحلة التنفيذ، وتم تطهير غربي الراين بنجاح. ووقف أيزنهاور يتابع عملية عبور الجيشين التاسع والحادي والعشرين. ووقف إلى جانبه الفيلد مارشال ـ آلان بروك ـ واستثارته فرحة النجاح، فلم يتمكن من إخفاء مشاعره، والتفت إلى أيزنهاور وخاطبه بقوله:

«أشكر اللّه يا آيك على أنك تشبثت بخطتك، وعملت على تنفيذها. لقد كنت على حقّ فيما ذهبت إليه. وأشعر بالأسف إذ أثرت المخاوف التي أضافت عبئاً إلى ما تضطلع به من أعباء ثقيلة. أما الآن، فقد غلب الألمان على أمرهم، ولم يبقَ لهم إلاّ اختيار ساعة الاستسلام. أشكر اللّه ثانية على الصلابة التي دافعت بها عن خطتك».

استمرت العمليات بعد ذلك وفقاً لما هو مخطط لها، ودارت معارك متفاوتة في شدّتها وقوّتها. وكانت أسعد اللحظات بالنسبة لأيزنهاور هي تلك التي اتصل فيها ببرادلي هاتفياً، يوم ٧ آذار - مارس - ١٩٤٥، ليعلمه عن وصول القوات إلى كولوني، والاستيلاء على جسر لودندورف سلمياً - على نهر الراين -، وليستشيره فيما يجب عليه أن يعمله، هل ينقل فرقه الأربع إلى الضفة الشرقية مع ما في ذلك من تأثير على بقية القطاعات؟ أم يكتفي بإرسال قوة صغرى مع ما في ذلك من احتمال لقيام الألمان بهجوم مضاد كبير يدمّر تلك القوة؟ وأجاب أيزنهاور - من مقر قيادته في ريمس -: «كم لديك من القوات التي تستطيع إرسالها إلى الجانب الشرقي من النهر؟» وأجاب برادلي: «أربع فرق. ولكني ترددت في نقلها خوفاً من إحداث اضطراب في خطتك». وعاد أيزنهاور للحديث: «حسناً يا برادلي! إن لنا في كولوني أربع فرق أخرى، فأرسل الآن الأربع أو الفرق الخمس التي في حوزتك إلى ضفة النهر الشرقية، على أن تستدعي فرق كولوني لتحلّ محلها». وجاء صوت برادلي ورنّة الفرح بادية: «هذا بدقة ما أردت فعله لولا خوفي من معاكسة خطتك».

وبعد يومين فقط، كان قد تم تشكيل رأس جسر قوي بعمق خمسة كيلومترات، كما تم في الوقت ذاته إقامة جسور هندسية لنقل الدبابات والمدفعية. وتقدّمت القوات بسرعة، فاستولت على حوض السار. وبدأت القوات الألمانية بالانهيار، فكان المعدل اليومي لأسر القوّات الألمانية، وعلى امتداد شهر من بدء عبور الراين، في حدود عشرة آلاف أسير يومياً. وبُوغِت هتلر والقيادة الألمانية بهذا التقدم الجارف، فأقدم هتلر على إجراء تغيير في قيادته، وعزل أكفأ قادته - فون رونشتد - وحلّ محله الجنرال فون كسلرنغ، غير أن هذا التغيير لم يستطع إيقاف العجلة التي باتت تسير متسارعة، لتقذف بألمانيا النازية نحو الهاوية.

وجّه أيزنهاور يوم ٣١ آذار - مارس - ١٩٤٥ نداءً إلى الجنود الألمان، وإلى الشعب الألماني، لإلقاء السلاح، والجنوح إلى السلم، وأكّد لهم عدم جدوى المقاومة التي تزيد من ثقل الكارثة عليهم. ولكن قبضة هتلر القوية بقيت مسيطرة على الموقف، فكان لزاماً الاستعداد لتطوير الصراع المسلّح، والوصول به إلى نهايته.

كانت القوّات السوفييتية تتقدم من الشرق، فيما كانت قوات الحلفاء الغربيون تتابع زحفها من الغرب. والتقت طلائع الفيلق الأمريكي الخامس، بطلائع الجيش الروسي على نهر الألب، قريباً من مدينة تورغاو، يوم ٢٥ نيسان - أبريل - ١٩٤٥. وبدأت مرحلة فرض الحصار على برلين. وتزايدت خلال هذه المرحلة أخطار اشتباك القوّات الحليفة في البرّ والجو. غير أنه تم تنسيق التعاون بسرعة، فحددت القطاعات، وقسّمت الممرات الجوية. وأخذت القوات



الجنرال «غوستاف جودل» يوقّع على وثيقة استسلام «ألمانيا» وبقربه الأميرال «فون فريدبورغ».

الألمانية في إلقاء السلاح بعد أن سدّت عليها جميع المنافذ، بحيث استسلم للحلفاء مليون جندي خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من شهر نيسان ـ أبريل ـ.

أخذ بعض الألمان في إجراء اتصالات سرية لمعرفة شروط الاستسلام ـ بعيداً عن دائرة هتلر ـ وفي عواصم الغرب مثل استوكهولم، وسويسرا · وأثارت مثل هذه الاتصالات حساسية خاصة لدى السوڤييت الذين ظنوا بأن الحلفاء الغربيين يحاولون الاتفاق مع الألمان دون علمهم. وتطلّب إقناع السوڤييت بحقيقة الموقف جهداً كبيراً، ووقتاً طويلاً إلى أن تأكّدوا من صدق حلفائهم.

وكان أول عرض رسمي، وصل إلى أيزنهاور بهذا الصدد، جاء عن طريق هملر، الذي اتصل بالكونت برنادوت في السويد، على أن يتصل هذا بدوره بالمستر تشرشل. فاستلم أيزنهاور رسالة من تشرشل يوم ٢٦ نيسان ـ أبريل ـ شرح فيها اقتراح هملر بإلقاء السلاح في الجبهة الغربية. فرأى أيزنهاور في الاقتراح محاولة ألمانية لشق جبهة الحلفاء، وأطلع الرئيس تشرشل على رأيه، وطلب بإلحاح أن لا يقبل استسلام الألمان إلّا في الجبهتين الشرقية والغربية معاً، خوفاً من قيام سوء تفاهم مع السوڤييت الذين أعدّوا الاتهامات مسبقاً بسوء النية. وأعلن أيزنهاور رأيه بأنه من الممكن للقائد الألماني إلقاء السلاح في الجبهة التي يشاء، ولكن الحكومة الألمانية يجب أن تستسلم إلى جميع الفرقاء دون قيد ولا شرط. فوافق تشرشل على رأي أيزنهاور، كما وافق عليه رئيس الولايات المتحدة الذي شرح القضية بكاملها للماريشال ستالين.

زاد قلق القادة الألمان على مصيرهم. فاستسلمت القوّات الألمانية في إيطاليا بكاملها يوم ٢٩ نيسان. وتوقفت الأعمال القتالية هناك يوم ٢ أيار ـ مايو ـ وتبعتها القوات الألمانية في جنوبي ألمانيا يوم ٦ أيار ـ مايو ـ. وفي هذا اليوم ذاته، وبعد أن أعلن عن انتحار هتلر، بدأت الحكومة الألمانية الجديدة ـ برئاسة دونيتس ـ بإجراء المفاوضات للاستسلام. وجاء بودل وفريدربورغ إلى مقرّ أيزنهاور، فوقّعا على وثيقة الاستسلام دون قيد ولا شرط. وتوقفت الأعمال القتالية في منتصف ليل ٨ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٥ وطُويت صفحة الصراع المرير على جبهة أوروبا ليبدأ عهد جديد من الصراع السياسي، لا بين خصوم الحرب، بل بين حلفاء الحرب.



في «رامس»، بعد توقيع وثيقة استسلام «ألمانيا». ويبدو من اليسار إلى اليمين: الجنرال «سوسلو باروف»، الجنرال «مورغان»، الجنرال «سميث»، الجنرال «أيزنهاور»، مارشال الجو «تيدر».

لقد ترك غياب ألمانيا فراغاً على الساحة الأوروبية، وجاءت القبائل الآسيوية فحلّت محلّها في الغرب. ووقف الحلفاء الغربيّون ـ وفي طليعتهم أيزنهاور ـ ليجد أن ثمار انتصاراته قد تحوّلت إلى رماد على أرض المعارك ذاتها، في حين كانت القيادة السوڤييتية قد سبقت الغرب بمراحل في مجال العمل الاستراتيجي لبناء عالم ما بعد الحرب. لقد كان أيزنهاور العسكري جداً، ينظر إلى الحرب من وجهة الأعمال القتالية في حين كان السوڤييت يتعاملون مع الأعمال القتالة من خلال نظرتهم لما وراء الحرب، فكانت هزيمة أيزنهاور في انتصاراته، وكانت انتصارات السوڤييت في هزيمتهم التي سبقت النصر النهائي.

٧ ـ أيزنهاور ـ وإدارة الحرب

وتضيق الصفحات عن استيعاب قصّة أيزنهاور في إدارة الحرب، أو قصة إدارة الحرب في تجربة أيزنهاور. فلقد عاش أيزنهاور حياته نموذجاً للجندي العامل في أيّام السلم، حتى إذا ما توافرت له فرصة إدارة الحرب مضىٰ مسرعاً، فتجاوز من سبقوه في سني عمر الخدمة، وتفوّق على أقرانه وزملائه، ومضى نحو هدفه بتصميم وثبات لخوض تجربة إدارة الحرب حتى نهايتها. فهل أعطى أيزنهاور شيئاً جديداً لهذه التجربة؟ وهل كانت تجربة أيزنهاور في إدارة الحرب أم أنها كانت شبيهة بتجارب الآخرين ممن خاضوا غمار الحرب في تلك الفترة ذاتها، وكان لهم دورهم في التأثير على أحداثها؟

إن استقراء قصة أيزنهاور في إدارة الحرب، تبرز مجموعة من الحقائق المميزة لتجربة أيزنهاور: أوّلها: حرية العمل العسكري

للقائد. فقد كان هذا الجندي ـ أيزنهاور ـ يمارس عمله في إدارة الحرب ملتزماً بالهدف السياسي الذي حددته له القيادة السياسية العليا، ووضعت تحت تصرفه القوى والوسائط الضرورية لتنفيذه، فمضى لاختيار أفضل السُبل، وانتقاء أنجع الوسائل لبلوغ الهدف. ولطالما تعرّض أيزنهاور لمآزق حرجة، وجابه أزمات صعبة، في محاولات قادة الحلفاء للتدخّل في إدارته للحرب، غير أنه استطاع تجاوز تلك المآزق، والتغلب على تلك الأزمات بمرونة فائقة، وكفاءة رائعة، متجنباً إثارة الخصومات، متعالياً على الانفعالات والاستثارة. ومقابل ذلك، وكما كان أيزنهاور يحرص على الإفادة من ميزة حرية العمل العسكري، فقد كان يحرص بالدرجة ذاتها على منح مرؤوسيه هذا القدر من حرية العمل ـ حتى لو كان رأيه مخالفاً لآراء مرؤوسيه مع ما يترتب على ذلك من مسؤوليات كانت تقع على كاهل أيزنهاور باعتباره القائد الأعلى والمسؤول الأول والأخير عن كافة العمليات، وما يرافقها من نجاح أو فشل ـ. ولقد ظهر ذلك واضحاً في إدارة الحرب على مسرح عمليات أفريقيا كما كان واضحاً على مسرح عمليات أوروبا. فقد تلقّى في ظروف مختلفة اقتراحات مخالفة لفكرته الأساسية، ووافق عليها. وما من ريب في أن موافقته عليها لم تكن ضعفاً تجاه مرؤوسيه، ولا محاباة لهم على حساب دماء جنوده، ولكنها قضية الالتزام بمبدأ حرية العمل للقائد الذي يعيش تجربة إدارة الحرب على مختلف المستويات القيادية. وإذن فلا مانع لدى أيزنهاور من منح حرية العمل لمرؤوسيه، طالما أن باستطاعته دائماً التدخل وفي الوقت المناسب والمكان المناسب لإصلاح ما ينتج عن الموقف من

أخطاء، وما ينجم عنه من أخطار.

ولا ريب أن قضية **(حرية العمل العسكري)** هذه، بحسب ما ظهرت واضحة في قيادة أيزنهاور، هي نتيجة للنظام الإداري الأمريكي ذاته. وكان من المحال على أيزنهاور تحقيق أي نجاح لو لم يكن يعرف يقيناً أن باستطاعته الإفادة من الدعم غير المحدود والذي كان يقدّمه له الجنرال مارشال، وكذلك الرئيس روزفلت. فكان من الطبيعي أن يمنح أيزنهاور هذه الحرية ذاتها لمرؤوسيه، ويعمل على دعمهم وتجاوز أخطائهم وهفواتهم، ما لم تكن صادرة عن سوء في التقدير للمواقف، أو فشل في إدارة الحرب ومعالجة مواقفها المباغتة.

ونظراً لما يتميز به نظام إدارة الحرب هذا من (حرية العمل العسكري) فقد كان لزاماً الحرص مسبقاً على انتقاء القائد الذي يمكن له الإفادة من هذه الميزة، والاضطلاع بما تفرضه من واجبات ومسؤوليات. وإذا كان الجنرال مارشال قد عرف في شخص أيزنهاور القائد الذي تتوافر له الكفاءة العليا لإدارة الحرب في حدود مبدأ حرية العمل العسكري، فقد حرص أيزنهاور بدوره على انتقاء القادة الذين يجب لهم أن يعملوا معه بانسجام وتكامل في حدود المبدأ ذاته.

لقد ضمّ أيزنهاور في جهاز قيادته نماذج مختلفة من القادة، وكان باستطاعة أيزنهاور أن يجد في كل واحد منهم الميزات والخصائص التي تمكّنه من أداء واجبه بشكل رائع. لقد كان أيزنهاور يعرف الرجال حق المعرفة، ويعرف ما يتوافر لكل واحد من الميزات والمساوىء،

من الإيجابيات والسلبيات، فكان يستثمر الميزات والإيجابيات لتحقيق الانسجام والتكامل، كما كان يعرف كيف يعالج المساوىء والسلبيات، للحدّ من انحرافها. وبذلك استطاع أيزنهاور تحقيق النجاح الرائع.

ولقد ضمت قيادة أيزنهاور قادة من صنوف الأسلحة المختلفة - البرية والبحرية والجوية - ومن دول مختلفة، وعرف كيف يحشد كل القوى في حدود الواجب الواضح، وفي إطار تنسيق التعاون الكامل. فكان يدفع كل قائد، وكل قوة، لإعطاء المردود الأقصى، ملتزماً بمبدأ (**وضع الإنسان الصحيح في المكان الصحيح**)، ومنح هذا الإنسان فرصته الكاملة للبرهان على كفاءته.

من المحتمل هنا القول: إذا ما كان مبدأ (حرية العمل العسكري) هو من المبادىء الأمريكية في الإدارة على كافة الصُعُد والمستويات وفي كافة المجالات. وإذا كان مبدأ الحرص على التكامل والانسجام في عمل القيادة قد بات من المبادىء التي تأخذ بها كافة القيادات العسكرية - وغير العسكرية أيضاً - فماذا بقي لايزنهاور من الخصائص القيادية؟ وماذا أعطى من شخصيته أو من ذاتيته لإدارة الحرب؟ ويمكن الردّ على ذلك ببساطة: أَلَيْس تنفيذ هذين المبدأين بنجاح رائع هو عطاء شخصي يمكن اعتباره نموذجاً والأخذ به قدوة في القيادة الحديثة؟

لقد خاضت القوات الأمريكية أضخم تجاربها القتالية خارج الولايات المتحدة - سواء على مسرح عمليات أفريقيا أو في إيطاليا أو

في أوروبا الغربية بعد ذلك ـ، وكان أيزنهاور هو القائد الأعلى في هذه التجارب كلّها. وقد جابه أيزنهاور مآزق كثيرة ومواقف مستجدّة، ولكنه لم ينحرف أبداً عن نهجه في العمل. أليس ذلك عطاء شخصياً؟

قد يكون من السهل على من يقرأ الأحداث ويعمل على تحليلها العثور على هنّات كثيرة. وقد يكون باستطاعة الباحث توجيه النقد لهذا الموقف أو ذاك، إلاّ أنه من الظلم للحدث ولصانع الحدث محاكمته بعيداً عن الظروف التي أحاطت به عند اتخاذه لهذا الموقف أو ذاك، وعندئذ فقط ستظهر فضائل أيزنهاور الحربية، وميزاته الشخصية في تطبيق ما طبّقه من مبادىء، وما التزم به من مواقف.

لقد كان عمل القيادة السياسية، بحسب ما سبق عرضه، هو تحديد الهدف العام، أو الواجب العام. وكان لزاماً على أيزنهاور وضع مخططات العمليات لبلوغ هذا الهدف، والأخذ بوجهات نظر قادة القوى البرية والبحرية والجوية، ومراعاة التوصيات الإدارية والفنية، ووضع ذلك في إطار أهداف لكل قوة من القوى المشتركة في العملية، وتحديد موعد زمني لكل مرحلة من مراحل الإعداد والتنفيذ، ويمكن على هذا الأساس تصوّر ما يمكن أن يظهر من تناقضات في وجهات النظر. وكان على أيزنهاور بالتالي التوفيق بين وجهات النظر المختلفة في إطار الهدف المحدد بوضوح. وإذن فقد كان من واجب أيزنهاور أيضاً، صياغة خطته العامة في إطار (**مبادىء الحرب**). وقد أظهرت سيرة أيزنهاور القيادية مدى حرصه على تطبيق مبادىء الحرب في كل

عملية من عملياته، وإعطاء الأفضلية لكل مبدأ بحسب الموقف الذي كان يجابهه.

فلقد كان للمباغتة دورها في كل عملية من عملياته، في اختيار موعد الإنزال، وفي حجم القوّات، وفي تنفيذ الأعمال القتالية. ولقد ارتبطت المباغتة في هذه الأعمال جميعها (**بمخططات خداعية**) محكمة، تطلّب تنفيذها جهداً لم يكن بأقل من الجهد المبذول لإعداد المخططات القتالية الحقيقية.

لقد كان أيزنهاور يعرف كفاءة أجهزة الاستخبارات الألمانية، وقد اعترف بذلك، ولهذا فإن عملية خداع هذه الأجهزة وتضليلها لم تكن بالعملية السهلة. غير أن تقدير أيزنهاور لأهمية المباغتة، قد دفعه لبذل كل جهد ممكن لضمان الظروف من أجل تحقيق المباغتة.

وكما كان أيزنهاور حريصاً على تحقيق المباغتة، فقد كان حريصاً على تحقيق (**مبدأ الإمساك بالمبادأة**) ذلك أن هذه المبادأة هي التي كانت تسمح لأيزنهاور بصنع المواقف المختلفة التي تسهم في تطوير الأعمال القتالية، وتعمل على حرمان القيادة المعادية من (حرية العمل العسكري). وفي الواقع، فقد أمسك أيزنهاور بالمبادأة دائماً باستثناء عمليتين خطيرتين نجح الألمان فيها بانتزاع المبادأة من قبضته، كانت المعركة الأولى هي (معركة القصرين) في مسرح عمليات تونس، وكانت المعركة الثانية على جبهة الغرب (في الأردين). ويظهر تحليل الأحداث أن أيزنهاور كان مدركاً للخطر في الحالتين، غير أنه انساق مع رأي قائده في المرّة الأولى، وانساق أيضاً مع رأي قائده (برادلي) في

المرة الثانيـة. وقد يكـون من غير المتـوقع عـدم حدوث مثـل هذه التطورات في الأعمال القتالية، فالصراع المسلّح، وكل صراع، هو حوار بين الإرادات المتصارعة، ولا بدّ لهذه الإرادات من التعبير عن وجودها بما تبذله من محاولات لإحباط مخططات الخصم، وسلبه لحرية العمل، وإجهاض إنجازاته. غير أن الأمر المثـير في الحالتـين، هو استقبال أيزنهاور للتطورات الخطيرة بروح من التفاؤل، والبحث فيها عن النقاط الايجابية. فقد وجد أيزنهاور في الحالتين فرصة لمجـابهة قوّات العدو بمعركة تصادمية جبهية يستفيد فيها مما هو متوافر له من عناصر التفوق بالقوى والوسائط لتدمير أكبر تجمّع لقوات العدو. وقد أكّد أيزنهاور بنفسه على هذه النقطة عندما ذكر للقادة ـ وذكّـرهم ـ بضرورة مجابهة الموقف بثقة وعدم السماح للهلع بالسيطرة عليهم، أو انتقاله إلى وحداتهم وقوّاتهم.

ذلك هو القائد أيزنهاور في مواجهته لمآزق الحرب: ثقة مطلقة، وتصميم عنيد، ورباطة جأش وقلب لا يعرف الضعف أو الخور.

وكان أيزنهاور من كبار قادة العـالم، إذ قَدّر حق التقـدير أهميـة (**القـدرة الحركيـة**) و (**استخدام القـدرة الحركيـة لتحقيق الأهداف الهجومية**). وتظهر إدارة أيزنهاور للحرب، أنه كان يحرص باستمرار على دفع قوّاته للسير ـ كالسيل الجارف ـ لتجتاح كل ما يصادفها من عقبات ولتدمّر في طريقها كل ما يعترضها من مقاومات. ومن أجل ذلك، كان كثيراً ما يعدّل مخططاته الأساسية في توزيع القوى والوسائط من أجل دعم نجاح إحدى القطاعات، غير أنه سرعان ما يعود إلى مخططه الأساسي للهجوم.

وتبرز هذه الحقيقة أمرين أساسيين، أولهما: حرص أيزنهاور على وضع المخططات الهجومية بعد دراسة وئيدة وعميقة لإمكانات القوات، وطبيعة الأرض، ومقاومات العدو المحتملة، مما كان يحمله على الالتزام بتنفيذ هذه المخططات بدقة وحتى النهاية. وثانيهما: توافر قدر كبير من المرونة لدى أيزنهاور لتعديل هذه المخططات على أساس المتطلبات الطارئة أو المواقف المستجدة لمسرح العمليات، على أن يكون هذا التعديل مؤقتاً ومرحلياً. ولعل الظاهرة الطبيعية والمثيرة في آن واحد، تقسيم هذه المخططات إلى مراحل زمنية وجغرافية، بحيث يتبع كل مرحلة إعادة تقويم للمواقف بكاملها، مع دراسة الإنجازات والمساوىء، ثم إعادة تنظيم القوى والوسائط، والانطلاق لتطبيق المرحلة التالية على أساس الدروس المستقاة من المرحلة السابقة. وبذلك كانت مخططاته تتكامل في إطار مخطط شامل.

لقد كان تحقيق النجاح في الهجوم، على جبهة واسعة، وبأسلوب السيل الجارف، يتطلب توافر (**قوّات احتياطية ضخمة**). وكان أيزنهاور يحرص باستمرار على الاحتفاظ بقوّات احتياطية، لإعطاء قوة دفع مستمرة للهجوم، ولمجابهة التطورات المباغتة للصراع المسلّح. وكان يعمل باستمرار على تشكيل قوات احتياطية جديدة كلما اضطر لزجّ قواته الاحتياطية، وهذا هو ما مكّنه من التعامل مع (مآزق الحرب) بثقة مطلقة. لقد كان الصراع في مفهوم أيزنهاور بمثابة معادلة رياضية، يمارس فيها التوازن في كل وقت وعلى أي جبهة، فإنه لا مجال للخوف أو التردد في مواجهة أي موقف.

ولكن ذلك لم يكن يدفع أيزنهاور للتهاون في أمر (**الروح المعنوية**)

و **(دعم إرادة القتال)**، إذ أن كل تفوق في القوى والوسائط، يفقد الكثير من قيمته، ومن قدرته، إذا ما ضعفت إرادة القتال، وإذا ما اهتزت الروح المعنوية. ولهذا كان أيزنهاور يضع هذا العامل في اعتباره خلال كل مراحل القتال، بداية من مرحلة التخطيط والإعداد ونهاية بمرحلة التنفيذ على مسرح العمليات.

لقد كان حرص أيزنهاور على دعم (العامل المعنوي) حافزاً له لبذل كل جهد مستطاع من أجل تجنب الاشتباكات الدامية، والاصطدام بالمواقع الدفاعية الصلبة، والعمل على تذليل مقاوماتها بالتدمير والقصف، قبل زجّ القوات لاقتحامها. ولكن إذا كان لا بدّ من خوض المعركة الدامية فقد كان أيزنهاور لا يتردد في زيادة درجة العنف لتبلغ ذروتها القصوى، مهما بلغ الثمن. فالحرب هي الحرب، ولا بد من دفع الثمن غالياً إذا ما تطلّب الموقف ذلك بصورة لا يمكن تجنّبها.

كانت المحافظة على سرعة الهجوم، تتطلب قبل كل شيء إجراء عملية حساب دقيقة من أجل إمداد القوّات بالذخائر والوقود والمواد التموينية، والوصول بهذه الإمدادات إلى القوات المتقدمة باستمرار. ولقد تجلّت كفاءة أيزنهاور وقدرته بخاصة في هذا المضمار الذي أطلق عليه بحق اسم (معركة التموين) والتي زادت في تعقيدها وخطورتها على كل معركة أخرى، واضطرت أيزنهاور في مرّات عديدة على تعديل مخططاته ـ مرحلياً ـ واتخاذ إجراءات إضافية، لضمان **(التأمين الإداري للقوات)**.

ويذكر أنه بعد انتهاء الحرب، اجتمع أيزنهاور بزملائه من القادة

السوفييت الذين تركّزت أسئلتهم على التدابير التي اتخذها من أجل تأمين القوات إدارياً خلال الأشهر الأولى للغزو، عندما لم يكن لدى قوات الغزو إلّا موانىء النورماندي الضيّقة، ومع ذلك استطاعت قوات الغزو اجتياح فرنسا وبلجيكا واللوكسمبرغ، ووصلت إلى أبواب ألمانيا. وشرح أيزنهاور لزملائه القادة السوفييت ما اتخذه من تدابير، وما استخدمه من الوسائل، براً وبحراً وجواً، لضمان استمرار تدفّق الإمدادات إلى الجبهات المتقدمة باستمرار. فكان تعليقهم على قول أيزنهاور: «**بأن من بين كل الأعمال البطولية التي أظهرتها كافة الأطراف المتحاربة، فإن التاريخ سيخلد نجاح الحلفاء في تموين جيوشهم التي طهّرت فرنسا وأوروبا**». **ومن المحتمل أن يحمل مثل هذا القول بعض المجاملة، إلّا أن ذلك لا ينتقص من الدور الكبير الذي اضطلع به أيزنهاور في مجال التأمين الإداري للقوّات، وفي انتظام هذا التأمين بشكل مثير، ولولا ذلك لكان من المحال تحقيق أي نجاح على مستوى العمليات.**

وهنا من المحتمل أيضاً القول بأن الفضل في ذلك يعود للإمكانات الضخمة التي زجّتها الدولتان: الولايات المتحدة وبريطانيا، لدعم الجهد الحربي للقوات. ولكن، ومع الإقرار بهذه الحقيقة، فهل ذلك ينتقص من دور أيزنهاور في وضع المخططات مسبقاً لتأمين ما تحتاجه القوّات؟ أليس القائد الناجح هو الذي يتوقع مسبقاً ما تتطلبه القوّات في صراعها المسلّح ويعمل على تأمينه وحشده في الزمان والمكان المناسبين؟ ثم ما هو عدد المحاولات التي بذلت من أجل الاستئثار بقدر أكبر من الإمدادات لبعض التشكيلات؟ فكان أيزنهاور

يتصدّى لذلك بحزم، ويعمل على تأمين الإمداد لكافة القوّات بصورة متوازنة، حتى تضطلع جميعها بدور واحد في القتال؟ .

لقد استطاع أيزنهاور تحقيق ذلك كله بفضل التزامه بمبدأ **(وحدة القيادة على مسرح العمليات)**، ولم يسمح بأي انحراف عن هذا المبدأ، رغم كل ما تعرض له من الضغوط، وبالرغم عن كل ما أُثير حوله من الضجيج. لقد كانت وحدة القيادة هي التي سمحت لأيزنهاور بتقدير الموقف الشامل على كافة الجبهات، وهي التي ضمنت له القدرة على ممارسة سيطرته لتنفيذ مخططاته الهجومية بدقة كاملة، وهي التي ضمنت له معرفة التطورات المستمرة، مع تأمين القدرة على مجابهة المواقف الطارئة والمستجدة. وإذن فلا غرابة إن هو تمسك بهذا المبدأ بحزم، ودافع عنه بعناد، وضمن بواسطته تحقيق الانتصارات الحاسمة.

لقد قاتلت قوات الحلفاء بما يمكن تسميته (بأسلوب المساندة) بين القوات، وهو الأسلوب الذي كان يستخدمه قادة العرب المسلمين في كثير من الأحيان. بمعنى أن يبقى كل تشكيل قتالي مستقل في قيادته، وتتعاون قوات كل تشكيل قتالي في حدود الهدف الذي يضعه القائد الأعلى الذي يتابع تنسيق التعاون بين التشكيلات المختلفة، في حين عملت قوات أخرى (كالقوات السوفييتية) بأسلوب مغاير هو (أسلوب الدمج) في تشكيل قتالي واحد يضم مجموعات الجيوش والجبهات. وقد فرضت طبيعة تكوين القوّات وتشكيلها الأخذ بهذا الأسلوب أو ذاك، فالاختلاف في الأقاليم، وأحياناً في اللغات، قد فرض بقاء القوات محتفظة بتشكيلاتها الأساسية، في حين كان توافر

الانسجام عاملاً للأخذ بأسلوب الدمج.

ولا ريب أن أخذ أيزنهاور (بأسلوب المساندة) قد فرض عليه أعباءً إضافية لتحقيق الانسجام والتكامل، ولتنسيق التعاون مع قيادات هذه القوّات. ولقد حقق أيزنهاور نجاحاً كبيراً في تنسيق التعاون مع كافة القوى التي تولى قيادتها أو التي كانت حليفة له. ولقد كان نجاح أيزنهاور في تنسيق التعاون هو في طليعة العوامل الحاسمة التي ضمنت له النصر.

وبعد، قد يكون من الصعب الإحاطة (**بخصوصية أيزنهاور في إدارة الحرب**). وإذا كان ما سبق ذكره هو بعض ملامح هذه الخصوصية، فإن سيرة أيزنهاور القيادية تبرز بقية الملامح الكاملة لهذه الخصوصية، والتي اعترف له بها خصومه وأصدقاؤه على السواء وهي التي مهّدت له بالتالي لممارسة دوره السياسي على المستوى العالمي، عندما تم انتخابه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

وهنا تبرز نقطة هامة وهي ما اتّهم به أيزنهاور من قصور سياسي في إدارة الحرب، إبان قيادته للأعمال القتالية على مسرح أوروبا، وتناقض ذلك مع ممارسته لدوره السياسي العالمي بعدئذ. فهل كان أيزنهاور رجل الحرب، وقائدها، لا أكثر؟ وهل كان اهتمامه بالنجاح العسكري حاجزاً حجب عنه ذلك الرباط الوثيق الذي يربط بين (هدف الحرب) و(غاية السلم)؟ وبكلمة أكثر وضوحاً هل كان أيزنهاور على سبيل المثال هو المسؤول عن نجاح القوات السوفييتية في اجتياح أوروبا الشرقية؟ وهل كان باستطاعته تغيير مجرى الحرب لو

اتخذ من إيطاليا حجر المرتقى ـ بحسب ما اقترحه تشرشل وأخذ به مونتغومري ـ للإنطلاق شمالاً وسبق القوات السوفييتية لتحرير بلاد البلقان وأوروبا الشرقية، وعدم إتاحة الفرصة للقبائل الآسيوية، كما يقول الغربيون في وصفهم للقوات السوفييتية، للإستيلاء على أوروبا؟

٨ ـ رجل المبادىء

تظهر سيرة أيزنهاور القيادية أنه لم يكن بعيداً أبداً عن فهم المشكلات السياسية، سواء ما كان منها متعلقاً بمسرح العمليات، أو ما كان منها متعلقاً بالحرب بصورتها الشاملة. ففي تعامله مع الموقف في المغرب العربي ـ الإسلامي (الموصوف بالشمال الأفريقي) أدرك بعمق ما يمثله الاستعمار الغربي من مشكلات قد تؤثّر على مسيرة أعماله القتالية، وحاول مع أجهزته إصلاح النظام الاستعماري بما يتوافق مع تطلعات سكان البلاد الأصليين. وكذلك كان موقفه في إيطاليا عبر اتصالاته مع أجهزة بادوليو. وقد أظهر كفاءة في تعامله مع المواقف السياسية، وكانت له في المواقف جميعها وجهات نظر طرحها بوضوح على الرئيس الأمريكي (روزفلت) سواء بالنسبة لحق الشعوب في تقرير مصيرها، أو في إدارة المناطق التي يتم تحريرها، وتجنب تنصيب أنظمة (عميلة) وفرضها بقوة الاحتلال. وقد أظهر ذلك كله أن أيزنهاور هو رجل المبادىء، ورجل الفضائل، سواء في عمله العسكري أو في عمله السياسي، وقد حاول جهده أن يجسّد تلك المبادىء والفضائل على أرض الواقع.

لقد عمل أيزنهاور من خلال هذه المبادىء والفضائل خلال مرحلة إدارته للحرب، ولكنه كان مقيداً بالقرار السياسي، ولم يكن هو صاحب هذا القرار السياسي، بل كان المسؤول عنه هو الرئيس الأمريكي روزفلت، ثم رئيس هيئة الأركان المشتركة ـ الجنرال مارشال ـ ليس ذلك فحسب بل إن هذا القرار السياسي كان محكوماً بمقررات القيادة السياسية للحلفاء والتي مثلّها بصورة رئيسة روزفلت وتشرشل وستالين، وهي المقررات التي كان يتم اتخاذها في مؤتمرات خاصة (القرم ـ يالطا ـ الدار البيضاء الخ . . .). وكان أيزنهاور يطرح رأيه بصورة استشارية، وعندما كان يطلب إليه ذلك، وفيما عدا ذلك فإنه لم يكن له من الأمر شيء سوى تنفيذ القرار السياسي وعلى هذا فإن افتتاح الجبهات، وتحديد الأهداف والواجبات، كان من عمل القيادة السياسية. ولم يكن أيزنهاور بالقائد الذي يجهل هذه الحقيقة، أو يستطيع تجاهلها، ولقد جاءت أعماله جميعها في هذا الإطار. وإذن فقد يكون من غير الطبيعي اتهام أيزنهاور (بالقصور السياسي)، أو تحميله وزر قرار سياسي لم يسهم هو في اتخاذه.

هنا لا بد من القول إن (تصفية الاستعمار) كان مبدأ في طليعة المبادىء التي اتفق عليها الزعيمان الأمريكي والسوفييتي ـ روزفلت وستالين ـ على أساس أن هذا الاستعمار، وما رافقه من تنافس، هو السبب الذي فجّر حربين عالميتين خلال قرن واحد من عمر الزمن، وكان ذلك يعني ببساطة تعاون الأمريكيين والسوفييت ضد الدول الغربية الاستعمارية كافة، وتجريدها من مستعمراتها. وقد فهم أيزنهاور هذه الحقيقة، وأخذ بهذا المبدأ بحماسة. ولعله لم يدرك في

وهج لهيب الحرب ما يتطلبه تطبيق هـذا المبدأ من إقـامة عـلاقات جديدة في عالم ما بعد الحرب. لقد كان (هدف الحرب) هو القضاء على الفاشية والنازية ـ لا أكثر ولا أقل من وجهة نظر أيزنهاور ـ. وقد سار أيزنهاور مدفوعاً بهذا الهدف حتى النهاية، وقد ظهر ذلك واضحاً حتى اليوم الأخير من أيام الحرب، وفي الأيام الأولى من عقد (مؤتمر بوتسدام).

ولقـد عرف أيـزنهاور خلال قيـادتـه لـلأعـمال القتـاليـة، كيف يحفظ التوازن، فلا يمنح لجيش من الجيوش مكسباً على حسـاب الجيوش الأخرى، ولا لأمة على حساب الأمم الأخرى. ولهذا فقد أدرك بعد انتهاء الحرب خطورة أن تستأثر أمة من الأمم بمعظم مغانم الحرب، تاركة للأمم الأخرى رماد الحرب. وعندها عرف أيزنهاور صعوبة تطبيق المبادىء والفضائل في عالم غير عـالم الحرب، وأدرك ذلك التناقض الذي كان كامناً بين (هدف الحرب) و (غاية السلم).

لقد كان أيزنهاور جندياً ـ مائة بالمائة كما يقولون ـ وتلتقي الجندية بالسياسة في ذروتها العليا لتشكل (السيـاسة الاسـتراتيجية). ولقـد برهن أيزنهاور أنه كان تلميذاً في الجندية كما كان تلميذاً في السياسة، وكان يقبل على التعلّم في مدرستي الجندية والسياسة بسرعة مذهلة. وإذا كانت الجندية تعتمد على فن قيادة الرجال، فليست السياسة من وجهة نظر أيزنهاور إلّا فن قيادة مجموعات الرجال، سواء في مجتمع واحد أو في أكثر من مجتمع. وإذن فإن باستطاعة مبادىء فن القيادة العسكرية نظم قيادة الجماعات الأكثر اتساعاً، وبالتالي إقامة العلاقات

الدولية على أُسس مبدئية ثابتة. وهذا ما ظهر في محاولات أيزنهاور خلال فترة رئاسته، سواء لدى معالجة أزمة السويس (حرب سنة ١٩٥٦) أو عند التعرّض لأزمة حرب الجزائر (١٩٥٤). ولكن اعتماد أيزنهاور على المبادىء الثابتة اصطدم بأكثر من عقبة:

الأولى: وجود رواسب ثقيلة في تركة الماضي يصعب تصفيتها دفعة واحدة، لا سيما وأن هذه الرواسب في علاقات الماضي كانت ذات طابع مصيري في حياة الشعوب التي بقيت حليفة لأمريكا (تصفية الأمبراطوريات الغربية الاستعمارية).

الثانية: طموح الاتحاد السوڤييتي لإقامة أمبراطورية عالمية ذات نظام بطبيعته مضاد للنظام الأمريكي ـ اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ـ وانتقال الاتحاد السوڤييتي دفعة واحدة، وبنتيجة الحرب ذاتها، من مستوى الدولة القارية أو الإقليمية إلى مستوى الأمبراطورية العالمية.

وهكذا كان لزاماً على أيزنهاور مجابهة ظروف معقّدة للغاية. فلقد كانت دول الغرب، بحكم تكونها، وبحكم روابطها الدولية، حليفة طبيعية لأمريكا. وكان الاتحاد السوڤييتي بحكم تكونه، وبحكم أهدافه، خصماً طبيعياً للولايات المتحدة. ولقد استطاع أيزنهاور في ظروف الحرب، إقامة نوع من التوازن في العلاقات، غير أن هذا التوازن سرعان ما أخذ في الانهيار عند الانتقال لبناء العلاقات الجديدة في عالم ما بعد الحرب.

إن هذا هو ما يفسّر موقف الولايات المتحدة من قضية تصفية الاستعمار الغربي. فقد كانت المبادىء تفرض على أيزنهاور الضغط

على الحلفاء الغربيين لتصفية أمبراطورياتهم وإقامة علاقات جديدة مع دول العالم ، ولكن دون الوصول بهذا الضغط إلى مرحلة استثارة الحلفاء الطبيعيين لأمريكا ، وفي الوقت ذاته مجابهة أهداف حلفاء الأمس ـ السوڤييت ـ ومحاولة إقامة نوع من التعايش يضمن تجنب العودة إلى السلاح، ويحرم الاحتكام إليه. ولقد زاد من صعوبة هذا الموقف وجود السلاح النووي وضرورة العمل تحت التهديد باستخدام أسلحة التدمير الشامل. ولقد حاول أيزنهاور التحرك سياسياً ـ وسط هذه الصعوبات جميعها ـ وفقاً للمبادىء التي اعتقد بفضائلها، والتي جابه صعوبات لا نهاية لها من أجل تنفيذها، مما عرّضه لأزمات متتالية، لم يكن أقلّها خطراً، إسقاط السوڤييت لطائرة التجسس الأمريكية (يو٢) في شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٦٠، ثم فشل مؤتمر القمة في باريس خلال السنة ذاتها، مع ما سبق ذلك من أزمات حادة أخذت شكل صراع سلمي (أزمة برلين) وصراع دموي (الحرب الكورية) و (الحرب الڤييتنامية) ولو أن هذه الصراعات قد تفجرت قبل انتخاب أيزنهاور لمنصب رئاسة جمهورية الولايات المتحدة، إلاّ أنه كان من المحال على أيزنهاور تجاهل نتائجها في إدارته السياسية عندما أصبح رئيساً للجمهورية.

ليست القضية في الحالات كلها هي قضية دفاع عن أيزنهاور، فقضية الدفاع هذه هي مسؤولية بلاده ورجالها وباحثيها، وليست هي أيضاً قضية إضفاء فضائل على القائد المنتصر على نحو ما جرت عليه الأعراف والعادات منذ أقدم العصور وحتى اليوم (فأكاليل الغار للمنتصرين والويل للمغلوبين) ، وإنما هي قضية تأكيد لأهمية المبادىء

ودور الفضائل في حياة كبار الرجال من القادة. ولقد كان أيزنهاور بحقّ رجل المبادىء والفضائل، وذلك هو أبرز ما يمكن تعلّمه من التجرب التاريخية لأيزنهاور في سيرته القيادية.

لم تكن تجربة أيزنهاور في مجال (فن الحرب) تجربة فردة، ولكنها رغم ذلك مميزة بخصوصيتها. ولعل من أهم ما تميزت به تجربة أيزنهاور تأكيدها لدور مبادىء الحرب في ظروف الحرب الحديثة، وكذلك أهمية الفضائل الحربية في تكوين القائد.

قد تختلف وجهات النظر بعد ذلك في تقويم أعمال أيزنهاور، ونتائجها، وقد تتباين الاجتهادات والأبحاث في تحليل هذه الأعمال، غير أن هناك حقيقة لا يمكن دحضها وهي أن أيزنهاور قد احتل مرتبة متفوقة في إدارة الحرب الحديثة، وقد اعترف خصوم أيزنهاور بهذه الحقيقة قبل أن يعترف له بها أصدقاؤه وحلفاؤه. ولقد أضفيت هالة ضخمة على إدارة أيزنهاور للحرب، من خلال الدور الكبير الذي اضطلعت به الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحرب، كما بذلت جهود مضادة للانتقاص من ذلك البريق الوهّاج، عبر محاولات الانتقاص من الدور الأمريكي ذاته. وفي الحالات كلها يبقى دور أيزنهاور ثابتاً في موقعه من تاريخ فن الحرب.

إنه واحد من كبارة قادة العالم في القرن العشرين الذي شهد أضخم الحروب وأشدّها ضراوة وفتكاً وتدميراً بالأسلحة التقليدية، وقبل الاحتكام إلى السلاح النووي.

وكان أيزنهاور قبل ذلك وبعده إنساناً مميزاً بفضائله، وببساطته،

وبتـواضعه، وبصراحتـه. إنه نمـوذج الإنسـان الحـديث في العصر الحديث. إنسان الآلة والتقنية، والذي لم تتمكن هذه الآلة أو تلك التقنية من سحق إنسانيته. فهو في تعامله مع الآخرين، يحاول النفاذ أبداً إلى أعماق نفوسهم، واكتشاف نوازع الخير والفضائل فيهم.

ولقد مضى أيزنهاور عن دنيا الآخرين، وترك تجربته إرثاً لمن جاؤوا بعده، وهي تجربة مثيرة بحقّ. إنها خلاصة تجربة الإنسانية في أخطر مراحل الحياة الإنسانية على الأرض.

بسام العسلي

قراءات

«إذا لم تبدأ بالإعداد والاستعداد للحرب منذ اليوم، فإنك لن تستطيع القيام بالهجوم غداً».

- أيزنهاور -

---

١ - أيزنهاور - وقوله في بعض أصحاب القرار.

٢ - أيزنهاور - والقادة السوفييت.

٣ - أيزنهاور - ودروس الحرب.

قراءات
١

أيزنهاور وقوله في بعض أصحاب القرار

أ ـ أيزنهاور وروزفلت:

انتهت قوات الحلفاء من طرد قوّات المحور ـ إيطاليا وألمانيا ـ من شمال أفريقيا، وتولى أيزنهاور قيادة الهجوم على إيطاليا. وفي شهر أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٣، تم استدعاء أيزنهاور إلى وهران لاستقبال الرئيس الأمريكي ـ روزفلت ـ وقد تحدث أيزنهاور عن هذا اللقاء بقوله:

لما وصل ـ الرئيس روزفلت ـ نقلناه من على ظهر السفينة ـ بالطائرة ـ إلى قصر على الشاطىء التونسي يدعى الدار البيضاء. وكان الرئيس يومئذ يتمتع بصحة جيدة، وبالتفاؤل والثقة بالمستقبل، فأمضى هنالك يوماً تفقّد فيه ساحات المعارك التي خضناها في تلك الناحية. وقد تحدّث عن الحروب القديمة، وتطرّق إلى ذكر معركة زاما التي حدثت بين هاني بعل ـ هانيبال ـ والرومانيين. وانتهينا إلى الاتفاق على أنها وقعت في أحد تلك السهول، وليس في منطقة جبلية لا تستطيع الفيلة فيها أن تقوم بدور حاسم. وقد أضفى حديث الرئيس عن التاريخ جواً من الأنس والسرور.

وبينما كنا نتحدث التفت إلي بغتة وقال: «لو عرض أحد عليك رهاناً منذ سنة بأن الرئيس روزفلت سيأتي لتناول الغذاء على قارعة الطريق في تونس، فماذا كنت تفعل؟» وبالطبع لم يصدر ذلك السؤال عنه إلاّ تنويهاً بما كان يشعر به من السرور لما رافق حملتنا الأفريقية من النجاح. ثم نوّه بأنه يشعر بخيبة الأمل لأن الانتخابات الأمريكية قد حدثت قبل غزو أفريقيا. وانتقل إلى الحديث عن الفرنسيين: دارلان وبواسون وجيرو، ثم إلى إيطاليا وموسوليني، وأطلعني عما أصابه من قلق في أثناء معركة القصرين. وتحدث أيضاً عما يقوم بينه وبين المستر تشرشل من خلافات في وجهات النظر، وأردف يقول: «لا يمكننا قط أن نعثر على حليف أفضل وأصلب من ذلك الثوري الرجعي». وبينما كان الأنس بادياً على الرئيس في حركاته وسكناته، تقدّم أحد أفراد الشرطة السرية، وقال له: «يا سيدي الرئيس! قد أطلت في المكوث هنا أكثر مما أرغب، يجب أن تنصرف الآن»، فابتسم عندئذ وقال: «ما أسعدك يا آيك بقلة الأسياد الذين يتحكمون في حركاتك وسكناتك». وعارضت الشرطة السرية في تجول الرئيس في ساحات المعارك، خوفا عليه من طارىء يحدث له. أما أنا فقد تأكّدت أنه بعيد عن كل خطر، لأنه لم يعلن عن زيارته إلى هذا المكان، ولو فعل لما كان مستبعداً أن يترصده أحد ليفتك به.

بعد ذلك وصلتني برقية يوم ١٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٤ بضرورة حضوري سريعاً إلى واشنطن لمقابلة الجنرال مارشال والرئيس روزفلت. وعندما وصلت واجتمعت بالرئيس، كان يعاني من الأنفلونزا، ولكنه بقي محتفظاً بمرحه، وأبقاني إلى جانبه أكثر من ساعة

بحث معي خلالها مئات القضايا والعمليات ـ ما مضى منها وما سيأتي ـ فأدهشني بسعة اطلاعه على جغرافية العالم، لأن البقع المجهولة في زوايا الكون البعيدة كانت ترتسم بكل دقة على خارطة عقله. ثم أوجز لي ما ينوي أن يجريه من ترتيبات في ألمانيا بعد احتلالها. وأخبرني بوضوح أنه يريد الاحتفاظ بالجزء الشمالي الغربي من ألمانيا لتحتله القوات الأمريكية. وأصغى جيداً عندما احتججت على تقسيم ألمانيا إلى مناطق احتلال، لما يعتري ذلك من مصاعب في التفاهم مع القيادات المختلفة التابعة لأربع أمم، وتمسكت بإصرار بمبدأ تسليم المناطق المحتلة إلى سلطات مدنية. وأظهر أنه تأثّر بما قلت، ولكنه لم يفه بما يمكن أن يصبح عهداً عليه. . ووَدعته متمنياً له الشفاء العاجل، ولم تقع عيني عليه أبداً بُعد تلك الزيارة.

***

ب ـ أيزنهاور وتشرشل:

حرص المستر تشرشل خلال مدة الحرب كلها، على أن يبقى على اتصال مباشر بجميع قادة العمليات، حتى لكأنه عضو حقيقي في مجلس القيادة الحربية. وإني لا أذكر أنه جرى لي بحث مع الإنكليز بدون أن يساهم هو شخصياً في النقاش. إنه بالحق زعيم ملهم، تمثلت فيه شجاعة الشعب البريطاني، وثباته في نزاعه، أفضل تمثيل. إنه رجل مؤمن بقضيته، فصيح اللسان، قوي الحجة، خصص ما وهبه اللّه من القوة لربح الحرب، ومن أجل ذلك، رغب في أن يطلع على كل شاردة وواردة من النشاط الحربي. والذي أدهشني فيه تمسكه بوجهة نظره وثباته في الدفاع عنها. لقد كانت المشاكل تجد طريقها إلى

الحل بسهولة في أكثر الأحيان، وذلك عند اتفاق وجهات النظر بشأنها. ولكن كان لا بد من نشوب بعض الاختلاف أحياناً، فكان تشرشل يتخذ في مثل تلك الحالات وبصورة مباشرة موقف الخطيب، حتى لو كان يناقش شخصاً واحداً. ولم أكن أنزعج لما يصدر عنه، لأن ذلك هو طبعه الذي يدفعه للسير بحماسة من أجل نصر القضية. إنه يمتاز بقدرة فائقة على إدخال المزاح في الجد، ويستعين بحكم القدماء ليدعم موقفه، ولقد أعجبت به وأحببته، ويظهر أنه أدرك ذلك، وكثيراً ما حاول استغلال محبتي له، وإعجابي به، حتى يستميلني إلى تأييد رأيه، حتى إذا ما عجز عن ذلك، لم يصدر عنه شيء يشير إلى أن علاقته الشخصية بي قد تطرق إليها أي برود، مهما كان الخلاف شديداً بيني وبينه في الرأي. لقد رأيت فيه طالباً نشيطاً يهوى الوقوف على فنون الحرب وتطوراتها وتاريخها، ولم يخل البحث معه بشأنها من فائدة. وكان إذا ما اضطر للتسليم بوجهة نظر غيره، يعود مرة أخرى لبذل كل ما يستطيعه، إلى أن يحقق وجهة نظره، حتى إذا ما بدأ العمل، اظهر قدرة فائقة على نسيان الخلاف، وانصبّ بكليته لإنجاز ما اتخذ من قرار كأنه هو صاحبه، فيدفع ببريطانيا إلى أن تساهم بقسط أوفى مما وعد شفهياً أو خطياً بتقديمه. وكانت أكثر الساعات حراجة التي صادفتها أثناء الحرب هي تلك التي وجدت نفسي فيها على خلاف في الرأي مع رئيس وزراء بريطانيا ـ تشرشل ـ ذلك لأني كنت أسعى دائماً لتجنّب جرح أحاسيسه ومشاعره، وكان هو من جانبه يشعر بأني يجب أن أوافقه على فكرته حتى لو لم يكن هناك أي برهان على صحتها، سوى إخلاصه لها.

لم تكن للرئيس تشرشل أية سلطة لفرض ما يريده علي، وأنا أعمل ضمن حدود صلاحياتي المحددة للقائد العام، سوى الإقناع، ومع ذلك، كان باستطاعته أن يجعل مهمتي أصعب بكثير، لو لم يكن يحمل كل الصفات التي تجعل المرء كبيراً. وإني سوف أشعر دائماً بالعرفان بالجميل لِمَا أولاني من الفضل واللطف والكياسة والظرف، وبما وجّهه إلي من الدعم والنصح، وذلك بصرف النظر عما أظهره أحياناً من الكراهية والرفض لما اتخذته من قرارات.

إنه زعيم عظيم من زعماء الحرب.

* * *

جـ - أيزنهاور وديغول:

عندما بدأنا وضع خطة الإنزال على ساحل أفريقيا (عملية مشعل) فكرت الحكومتان البريطانية والأمريكية بإشراك الجنرال ديغول - الذي كان يومها مقيماً في لندن - بالعملية. وكانت بعض الوحدات الفرنسية العاملة تحت قيادته قد اشتركت في حملة داكار المشؤومة، إذ تقهقرت هذه الوحدات أمام تصميم الجيش الفرنسي المدافع عن داكار، فاعتقدت الدوائر البريطانية المسؤولة أن الهجوم على داكار قد فشل لأن الفرنسيين عرفوا بالهجوم قبل أن يقع عن طريق ديغول أو بعض معاونيه، ولذلك اتفقت الحكومتان على أن يبقى أمر الغزو مكتوماً عن ديغول وعناصر قيادته. هذا بالإضافة إلى أن بعض المعلومات التي استخلصناها كانت تشير إلى أن وجود ديغول معنا سيثير القوات الفرنسية في شمال أفريقيا، ويستفزّها لمحاربتنا

ومقاومتنا. وقد أكّدت كافة المعلومات أن الجيش الفرنسي كان يعتبر ديغول خائناً لأنه تمرّد على أوامر الماريشال بيتان، فقضت علينا رغبتنا في ربح الجيش الفرنسي إلى جانبنا، أن نستبعد ديغول ونهمل أمره. وإذا أتينا لنتحرى سر كراهية الضباط الفرنسيين لديغول، نرى أنه عندما صدرت الأوامر للجيش الفرنسي سنة ١٩٤٠ بإلقاء السلاح، انصاع جمهور القادة والجنود إليه، وامتثلوا لأوامر بيتان، وألقوا السلاح، إلّا ديغول ونَفَر قليل من أتباعه. فإذا كان ديغول قد تمرد على الأوامر، ففي ذلك التمرد إما خيانة وإما وطنية وصواب وإقدام. وإذا كان هو المصيب بالتحاقه بالحلفاء، فإنهم هم المخطئون إذن. وإذا كان ديغول مقداماً، فإنهم هم الجبناء. وإلّا فلماذا لا يحذون حذوه برفع راية العصيان على حكومتهم المؤتمرة بأمر الألمان؟ ولمّا كان يصعب عليهم أن يحكموا على أنفسهم بالخطأ والجبن، فقد حكموا على ديغول بالخيانة. ولكن إذا لم تتح لديغول ـ وقوات فرنسا الحرة ـ الاشتراك في عملية مشعل ـ فقد توافرت هذه الفرصة بعدئذ، عند إنزال النورماندي، ثم في التقدم داخل فرنسا. وفي يوم ٢٥ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٤، وصلت فرقة الجنرال عمر برادلي إلى ضواحي باريس، فرأى الجنرال برادلي أن يكون شرف دخول العاصمة الفرنسية للفرقة الفرنسية بقيادة الجنرال (لوكلير)، على أنه قبل أن يستسلم الألمان جميعاً، جرى بعض القتال مما دعا إلى اشتراك الفرقة الأمريكية الرابعة في العمل. وبعد ذلك أوعزت إلى الجنرال ديغول أن يدخلها دخول الظافر، رمزاً لانتصار الفرنسيين الأحرار قبل أن أدخلها أنا. وفي يوم ٢٧ آب ـ أغسطس ـ قمت والجنرال برادلي

بزيارة الجنرال ديغول، الذي أحاط نفسه بالحرس الجمهوري، كما زرت الجنرال جيرو والجنرال كونغ، قائد قوات فرنسا الحرة الداخلية. وقد كشف لي الجنرال ديغول، خلال إقامتي في باريس عن بعض المشاكل التي تسبب له القلق، وأهمّها النقص في الأغذية والمواد التموينية، وثياب الجند، وأبدى رغبته في زيادة المعدات العسكرية ليتمكن من زيادة عدد الفرق الفرنسية في جيش الحلفاء، وطلب فرقتين أمريكيتين من أجل مساعدته على إقرار الأمن في المدينة ووضع حد للفوضى. فتعجبت كيف أنّ مَنْ يدّعي زعامة فرنسا يحتاج إلى فرق أمريكية ليتمكن من إرجاع الأمن إلى نصابه في عاصمته. ولمّا لم يكن في استطاعتي الاستغناء عن فرقتين للمكوث في باريس لمدة طويلة، فقد وعدته بإرسال فرقتين لإجراء عرض تظاهري في المدينة وهما في طريقهما إلى الجبهة، ولا مانع من أن يجري هو نفسه استعراضهما، لعلّ ذلك يرفع من هيبته. كما وعدته بأن يقف الجنرال برادلي إلى جانبه رمزاً لوحدة الحلفاء، وهكذا جرى.

***

قراءات
٢

أيزنهاور والقادة السوڤييت

صمتت المدافع، وتحوّلت عاصمة ألمانيا - برلين - إلى ركام يغطيها الغبار والدخان الأسود. وقرر الحلفاء تشكيل مجلس للإشراف على إدارة ألمانيا، بقيادة قادة قوّات الحلفاء: جوكوف عن الإتحاد السوڤييتي، وأيزنهاور عن الولايات المتحدة الأمريكية، ومونتغومري عن إنكلترا، ودولاتر دوتاسيني عن فرنسا. وفي بداية شهر حزيران - يونيو - ١٩٤٥، وصل الجنرال أيزنهاور إلى برلين وبرفقته قائد الطيران الاستراتيجي الأمريكي - الجنرال سباتس - وسواه من المرافقين. واستقبلهم لدى وصولهم الماريشال جوكوف. وكان لقاء ودياً على طريقة الجنود. وأخذ أيزنهاور بيد جوكوف، وصافحه بحرارة، وقال له: «**أخيراً، رأيناكم**».

وصافح جوكوف بدوره نظيره الأمريكي أيزنهاور بحرارة مماثلة، وشكر له في شخصه قوّات الحلفاء، ونوّه بتقديره الكبير للتعاون المثمر الذي أمكن تحقيقه بين جيوش الحلفاء وشعوبهم في سنوات الحرب ضد ألمانيا النازية. ودار الحديث في البداية عن أحداث الماضي

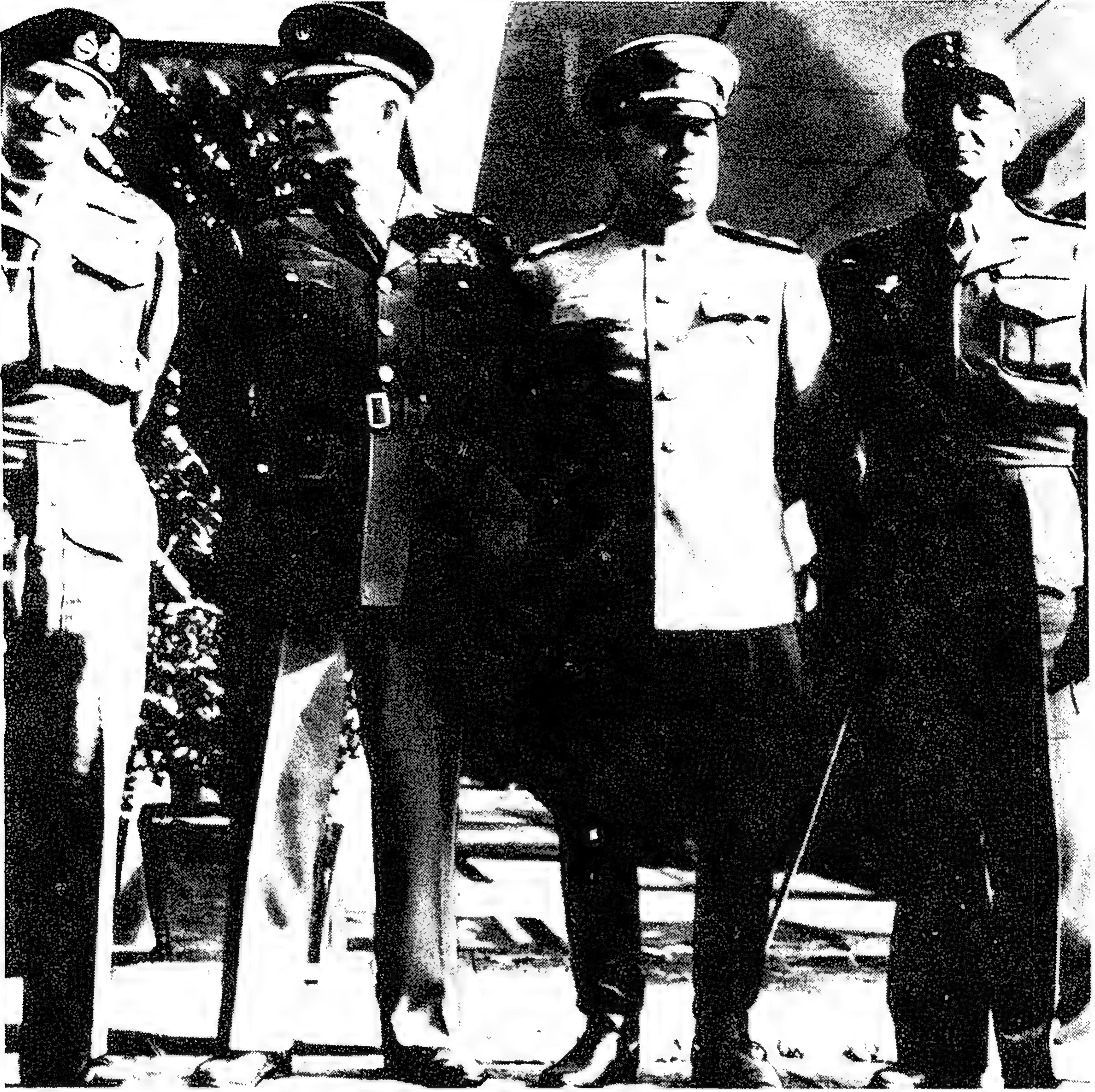
القريب. فتحدث أيزنهاور عن الصعوبات الكبيرة التي واجهت عملية إنزال القوّات على أرض النورماندي، وما تبع ذلك من عقبات في تنظيم شبكة طرق المواصلات لتأمين إمداد القوات، ثم ما جابهه الهجوم من مآزق لا سيما خلال فترة الهجوم المضاد الكبير الذي قامت به القوات الألمانية في الأردين، ثم انتقل إلى موضوع العمل، فقال:

«**أعتقد أن علينا أن نتفق حول عدد كبير من المسائل المرتبطة بتنظيم مجلس الاشراف، وبشأن تأمين المواصلات البرية عبر المنطقة السوڤييتية إلى برلين من أجل تحرك جنود الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا وفرنسا**». وأجاب جوكوف:

«إن علينا، كما يبدو، أن نتفق لا على المواصلات البرية فحسب، بل وأن نتخذ عدداً من القرارات المتعلقة بنظام تحليق الطيران الأمريكي والإنكليزي إلى برلين عبر المنطقة السوڤييتية». واعترض الجنرال الأمريكي سباتس - بلا مبالاة - وهو يستند بظهره على مسند مقعده: «كان الطيران الأمريكي دائماً يحلّق في كل مكان، وسيحلّق في المستقبل بدون أية قيود» وأجاب جوكوف: «لن يحلّق طيرانكم عبر المنطقة السوڤييتية بدون قيود، بل إنكم ستحلّقون في الممرّات الجوية المحددة لذلك، فقط».

وهنا تدخّل أيزنهاور بسرعة، وقال للجنرال سباتس:

«**لم أكلّفك بأن تثير الموضوع بهذا الأسلوب حول تحليق الطيران**» **ثم وجّه حديثه إلى جوكوف: «لقد قَدِمْت إليكم الآن أيها السيد الماريشال بغية التعرّف بكم فحسب، أما مسائل العمل فسوف نقرّها عندما ننظم مجلس الاشراف**».



من اليســار إلى اليمين: «مـونتغومـري»، «أيزنهاور»، «جـوكوف»، و «دي لاتـر دي تاسيني».

وأجاب جوكوف: «أعتقد أننا وإياكم جنود قدماء، وسوف نجد لغة موحّدة نتفاهم بها، وسوف نعمل بمودّة، ولكنني أريد منكم الآن شيئاً واحداً فقط، وهو أن تسحبوا القوات الأمريكية بأسرع ما يمكن من (تيورينغيا) التي يجب أن تحتلها القوّات السوفييتية فقط استناداً إلى اتفاق مؤتمر القرم بين رؤساء حكومات الحلفاء».

وأجاب أيزنهاور: «إنني متفق وإياكم، وسوف أصرّ على ذلك».

لقد كان أيزنهاور يعرف أن إقرار كل أمر، من مثل هذه الأمور، والإتفاق عليه، يتعلق بقرار سياسي. وكان هذا القرار السياسي مرتبطاً بالرئيس الأمريكي ترومان وبالرئيس البريطاني تشرشل، وكان على أيزنهاور بالتالي، الرجوع إلى الرئيسين، واستشارتهما بشأن تنفيذ ما سبق إقرارهما له، وهذا ما يفسّر عبارة أيزنهاور: «سوف أصرّ على ذلك». وعلى كل حال، فقد استطاع أيزنهاور تحقيق نجاح أولي في محادثاته التمهيدية مع جوكوف، وتجنّب الصدام الذي كان وشيك الوقوع بسبب تدخل الجنرال سباتس. وقد أقام جوكوف حفلاً رسمياً على شرف أيزنهاور ومرافقيه، وبعد ذلك توجّهوا إلى مقرّ قيادتهم في فرانكفورت عبر نهر الماين.

عاد أيزنهاور إلى برلين يوم ٥ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٥، ومعه مونتغومري ودولاتردوتاسيني للتوقيع على بيان هزيمة ألمانيا واستلام السلطة العليا فيها لمصلحة قيادة الحلفاء. وقام أيزنهاور قبل الاجتماع بزيارة لمقرّ القيادة السوڤييتية، حيث قلّد جوكوف أعلى وسام أمريكي ـ مرتبة القائد ـ (وهو وسام جوقة الشرف). وعلى أثر ذلك اتصل جوكوف هاتفياً بستالين، وأعلمه بتقليد أيزنهاور له هذا الوسام، فردّ ستالين بقوله:

«وعلينا بدورنا أن نمنح أيزنهاور ومونتغومري وسام النصر، ونمنح دولاتر دوتاسيني وسام سوفوروف من الدرجة الأولى». وسأل جوكوف: «وهل استطيع أن أعلن لهم ذلك؟». فأجابه ستالين: «بكل تأكيد».

اتصل جوكوف بأيزنهاور، وببقية قادة الحلفاء، وأعلمهم بقرار الحكومة السوڤييتية بمنحهم الأوسمة العسكرية السوڤييتية العليا، وسألهم متى وأين يمكن تقليدهم الأوسمة، فأجاب أيزنهاور ومونتغومري بأنهما يرغبان في زيارة جوكوف لهما في مقر قيادتهما في فرانكفورت، وحدد يوم ١٠ حزيران ـ يونيو ـ موعداً لذلك. وفي الموعد، سافر جوكوف بالطائرة إلى فرانكفورت، حيث استُقْبِل ومرافقوه من قبل مفرزة شرف كبيرة من القوات الأمريكية. وأعجب جوكوف بدقة التنظيم وبالمظهر الخارجي للقوات الأمريكية. وجرت مراسم تقليد الأوسمة إلى أيزنهاور ومونتغومري، كما تم في الوقت ذاته تقليد عدد كبير من القادة ـ الجنرالات ـ والضباط الأمريكيين والإنكليز أوسمة سوڤييتية. وتبع تقليد الأوسمة عرض جوي للطيران الأمريكي والإنكليزي اشتركت فيه عدة مئات من الطائرات، وانتهى الحفل بمأدبة غداء رسمية. وعاد جوكوف بعدها ـ ومرافقوه ـ إلى قيادتهم في برلين.

كان مؤتمر قادة الحلفاء في القرم قد اتخذ مجموعة من القرارات، أهمّها في ما يتعلق بألمانيا، تجريدها من قدراتها الحربية، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. وقد حاول الاتحاد السوڤييتي الإفادة من ذلك لفرض نوع من الهيمنة على الإدارات الأمريكية والإنكليزية. واستطاع جوكوف أن يتّفق مع أيزنهاور في بداية عمل مجلس الاشراف على أن تتوجه مجموعة من الضباط السوڤييت ـ من فرع الاستطلاع في أركان الجبهة ـ إلى منطقة الاحتلال الأمريكية، لاستجواب مجرمي الحرب الرئيسِيّين الذين تجمّع أكثرهم في منطقة الاحتلال الأمريكية،

ومنهم غورنغ وروبينتروب وكالتنبرونر والفيلد ماريشال كاتيل والفريق جودل وسواهم. وقام ضباط الاستطلاع السوڤييت بمهمتهم، ولكنهم لم يتمكنوا من الحصول على المعلومات التي كانوا يريدونها نظراً لتمتعهم بالحماية الأمريكية التي منعت اللجوء إلى أساليب الاستجواب بالإكراه.

ظهرت بعد ذلك مشكلة أخرى، وهي وجود ملايين من المواطنين السوڤييت الذين كانوا في مناطق الاحتلال الأمريكية، بعضهم ممن فضلوا اللجوء إليها هرباً من الحكم السوڤييتي، وبعضهم ممن كان الألمان قد نقلوهم إليها أثناء الحرب للعمل الإجباري فيها. وقد تعرضت الفئة الأخيرة للدعاية المضادة للسوڤييت والتي كانت تروجها الفئة الأولى ـ بدعم أو بدون دعم من مراكز الاستخبارات الغربية ـ. والتقى جوكوف بأيزنهاور ونائبه كلاي، واحتجّ بشدة على الدعاية المعادية للسوڤييت. فدافع أيزنهاور عن اللاجئين وعن ضمان أمريكا لحمايتهم بحجة (الدوافع الإنسانية). غير أن أيزنهاور سمح للضباط السوڤييت بالاجتماع بالمواطنين السوڤييت في المنطقة الأمريكية، وتحدثوا إليهم، وتمكنوا من إقناع عدد كبير منهم بالعودة إلى منطقة احتلال الاتحاد السوڤييتي في ألمانيا من أجل ترحيلهم إلى بلادهم.

كان ستالين قد أشار في حديث له مع جوكوف إلى رغبته في دعوة أيزنهاور إلى موسكو للتعرف عليه، والتحدث إليه. وعندما عقد مؤتمر بوتسدام لرؤساء الدول الحليفة (يوم ١٧ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٥)، تحدث ستالين مرة أخرى إلى جوكوف بهذا الشأن، وحدد موعد دعوته

إلى موسكو يـوم ١٢ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٥ حيث يحتفـل الاتحاد السوڤييتي (بعيد الرياضة). وتقرر تـوجيه دعـوة رسمية بـذلك إلى واشنطن، على أن يذكر في الدعوة بأن أيزنهاور سيكون في فترة وجوده في موسكو ضيفاً على الماريشال جوكوف. وكان ذلك يعني أن أيزنهاور لم يُدْعَ إلى الاتحاد السوڤييتي باعتباره شخصية سياسية رسمية، وإنما باعتباره شخصية عسكرية مشهورة في الحرب العالمية الثانية.

وجاء أيزنهاور إلى موسكو، واستقبله جوكوف، ورافقه في زيارته لمدينة لينينغراد، وكان برفقة أيزنهاور نائبـه الجنرال كـلاي والجنرال ديفيس ونجله الملازم جون أيزنهاور والرقيب دراي، وجرى الحديث في أمور كثيرة. وكان أيزنهاور كعهده دائماً، صريحاً في أحاديثه، دقيقاً في مناقشاته. ولما كـان القادة السـوڤييت يرغبـون في معرفـة مسيرة الأحداث بصورة دقيقة على جبهة الغرب، فقد تركزت معظم أسئلة جوكوف على إنزال النورماندي ثم الهجوم الألماني المضاد في الأردين. وكان مما قاله: «كان الهجوم العسكري الياباني في بيرل هاربور، في كـانون الأول ـ ديسمـبر ـ ١٩٤١، مباغتـاً لأكثر العـاملين في القيادة العسكرية الأمريكية، ولأكثر الدوائر الحكوميـة. وكان من الصعب علينا ونحن نراقب الصراع الدائر بين الاتحاد السوڤييتي وألمانيا، أن نحدّد عندئذ مدة صمود روسيا، وهل ستستطيع بشكل عام أن تقاوم ضغط الجيش الألمـاني. وكانت دوائـر رجال الأعـمال في الولايـات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في تلك الأثناء قلقة عـلى مصادر المـواد الخـام في الهند وعـلى نفط الشرق الأوسط، وعلى الخليـج العربي، وبصـورة عامـة على الشرقـين الأدنىٰ والأوسط. ولقد تـركّز اهتـمام

الولايات المتحدة الأمريكية الرئيسي في سنة ١٩٤٢، على تأمين المواقع العسكرية والمصالح الاقتصادية، ثم بدأت الولايات المتحدة وبريطانيا ببحث خطط فتح جبهة ثانية في أوروبا، ولكن القرارات العملية لم تُتخذ إلّا في سنة ١٩٤٤. ولقد رفضت أمريكا في البداية مطلب إنكلترا بالهجوم على ألمانيا عبر البحر الأبيض المتوسط، وذلك لأسباب عسكرية بحتة وليس لأية أسباب أخرى». أما فيما يتعلق بالدعم الأمريكي للاتحاد السوڤييتي فقد تعرض له أيزنهاور وجوكوف بطبيعة الحال: «**وكان هذا الدعم قد وصل إلى ٤٠٠ ألف سيارة و ١٨,٧٠٠ مدفع اقتحام و ١٠٨٠٠ دبابة و ٩٦٠٠ مدفع بالإضافة إلى قاطرات للخطوط الحديدية ومحروقات ووسائط اتصال، وسواها من الأعتدة والتجهيزات الحربية**».

أبدى أيزنهاور اهتماماً كبيراً بدوره بملاحم لينينغراد وستالينغراد وموسكو وبرلين، وسأل مضيفه جوكوف عما ناله من التعب الجسدي خلال ممارسته للعمل القيادي، فأجابه جوكوف:

«كانت ملحمة موسكو قاسية جداً بالنسبة للجندي والقائد على حد سواء. وقد اضطررت خلال فترة المواقع الضارية بشكل خاص ـ منذ ١٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وحتى ٨ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٣ إلى أن لا أنام أكثر من ساعتين في اليوم، نوماً متقطعاً. وكان علينا حفاظاً على قوانا الجسدية وقدرتنا على العمل، أن نلجأ إلى التمرينات الرياضية في الصقيع، وأن نلجأ إلى شرب القهوة القوية، وأحياناً إلى التزحلق على الجليد لمدة عشرين دقيقة. وبعد أن تجاوزنا

المرحلة العصيبة في مواقع موسكو، نمت نوماً عميقاً حتى أنهم لم يستطيعوا إيقاظي، وقد اتصل بي خلالها الرفيق ستالين مرتين، وكانوا يجيبونه: جوكوف نائم، ولم نتمكن من إيقاظه. فأجابهم القائد الأعلى: لا توقظوه، دعوه حتى يستيقظ بنفسه. وقد تحركت الجبهة الغربية من قوّاتنا مسافة ١٠ ـ ١٥ كم خلال هذا النوم العميق. وأصبح الاستيقاظ ممتعاً جداً».

لدى وصول أيزنهاور إلى موسكو، أمر ستالين رئيس هيئة الأركان العامة ـ أنتونوف ـ بإطلاع أيزنهاور على جميع خطط القوات السوفييتية، وأعمالها في الشرق الأقصى. وأثناء فترة إقامته في موسكو، تحدّث إليه ستالين كثيراً في الأعمال القتالية للقوات السوفييتية وأعمال قوات الحلفاء ضد ألمانيا الهتلرية وضد اليابان. وأكّد أن الحرب العالمية الثانية، ما هي إلاّ نتيجة لضيق النظر الشديد لدى القادة السياسيين في الدول الغربية، الأمبريالية، إذ سمحوا بالعدوان الهتلري العسكري الذي لم يعرف الحدود. وقال ستالين: إن الحرب قد كلّفت غالياً شعوب جميع الأقطار المتحاربة، لا سيّما المواطنين السوفييت، وأن علينا أن نعمل كل شيء حتى نمنع حدوث مثل هذا الأمر في المستقبل. وانتهت الزيارة، وعاد جوكوف برفقة ضيفه أيزنهاور إلى برلين، وافترقا بوداع حار. وشاءت الظروف ألا يلتقي القائدان مرة أخرى إلاّ في مؤتمر جنيف، لرؤساء حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتي في سنة ١٩٥٥، وكان أيزنهاور يومها رئيساً للولايات المتحدة. واستأنف القائدان أيزنهاور وجوكوف أحاديثهما، لا عن ذكرياتهما المشتركة في مجلس

الاشراف فحسب، وإنما أيضاً عن أكثر المشاكل حدة، في مسائل التعايش بين دولتيهما، وتوطيد السلام بين الشعوب. لقد كان الفريق أول دوايت أيزنهاور، رجلاً وقائداً، وكان يتمتع بهيبة كبرى في وسط قيادة القوّات الحليفة التي قادها بنجاح أيام الحرب العالمية الثانية، وكان القادة السوڤييت يأملون أن يعمل على تخفيف حدة التوتر الدولي، وإيقاف الحرب الڤييتنامية، غير أن أيزنهاور قاد الاتجاه المعاكس. فهل كان باستطاعة أيزنهاور تخفيف حدة التوتر على جبهة واحدة، إذا لم تتوافر شروط مماثلة على الجبهة المقابلة[1]؟

قد يكون من السهل تعليق الاتهامات على مشاجب الخصوم، وكان أيزنهاور رجل الحرب بقدر ما كان رجل السلام، ولكن شروط العمل للسلام، تتطلب مثلها كمثل شروط العمل للحرب، ولم تكن إرادة العمل هذه متوافرة، فقد حاول كل طرف تحقيق أكبر قدر من المغانم الاقتصادية والسياسية في إطار المنافسة على الهيمنة العالمية. وكان من الصعب على رجل واحد، أو حتى على مجموعة من الرجال العمل للسلم، إذا لم تتوافر النية الصادقة لدى جميع الأطراف لهذا العمل.

(١) مذكّرات وآراء. غ.ك. جوكوف - ص ٦٨٥ - ٧١٢.

قراءات
٣

أيزنهاور ودورس الحرب

١ ـ علّمتنا الحملة في البحر الأبيض المتوسط أن الوحدة في القيادة، والتعاون بين العناصر، وتنسيق عمل قوى البرّ والبحر والجو، هذه الثلاث، هي أساس النجاح في جميع الأعمال، وعلى الأخص العمليات الحربية. وبناء على ذلك، فعندما بدأت أختار المساعدين لي في قيادتي الجديدة، وضعت نصب عيني اختيار الأشخاص الذين يدركون أهمية الوحدة والتنسيق والتعاون، حتى لا أضطر إلى إجراء عملية تبديل وتعديل في القيادات أثناء المعارك.

***

٢ ـ إن المحافظة على المعنويات العالية للجيوش هي من الأمور التي يجب على كبار القادة الاهتمام بها اهتماماً خاصاً. وكثيراً ما يجب أن يوجّه هذا الاهتمام نحو هدف خاص، والمثال على ذلك هو أن أحد المعلّقين الصحافيين قدّر الإصابات التي ستمنىٰ بها القوات المهاجمة لخطوط دفاع العدو على شواطىء فرنسا بثمانين إلى تسعين بالمائة. وانتشر هذا التعليق بسرعة فسبب هلعاً بين الجنود وقلقاً للقيادة،

فاغتنمها الجنرال - عمر برادلي - فرصة ليتجول بين الجنود، وليخبرهم أن هذا التقدير باطل من أساسه، ولا يقوم إلّا على المبالغة، وإلّا على جهل مطلق في فن الحرب، وأكّد لهم أن الاصابات لن تتجاوز معدل الخسائر لأية معركة شديدة أخرى، فَتَبَنّيْنَا تقديره، ووزعناه في نشرات خاصة، ونشرناه في الصحف حتى لا يتسلل الهلع فينال من ثقة الجنود.

* * *

٣ - يرغب الجنود يقيناً في التعرف على الرجال الذين يتولّون قيادتهم، ويريدون أن يهتم هؤلاء القادة بهم. ولهذا يجب على القادة ألا يبقوا أسرى مكاتبهم طوال الوقت، بل عليهم زيارة جندهم والتحدث إليهم، والاختلاط بهم قدر المستطاع، لأنهم بذلك يرفعون من روحهم المعنوية، وتبقى الروح المعنوية أكبر من كل تقدير عندما يحتدم القتال.

* * *

٤ - لا تستطيع القيادة في الحرب الحديثة أن تترك شيئاً للصدفة أو المناسبات، بل عليها أن تحسب حسابها لمجابهة كافة الظروف الطارئة، وأن تضع اعتباراً لعامل الزمن، فتحدد الوقت لكل عمل مثل وقت وصول المظليين والطائرات الشراعية والقوّات المنقولة بحراً، حتى تكون عمليات القوّات منسجمة بعضها مع بعض ومتكاملة. هذا مع وجوب تعيين الوقت الذي تكون فيه حالة المدّ مناسبة لإنزال الجند والمعدات من السفن والقوارب إلى البرّ

ـ اليابسة ـ في اللحظة التي لا تزال فيها قوات دفاع العدو وهي في حالة الذهول نتيجة ما عانته من قصف قاذفاتنا وأسطولنا البحري، فلا تمنى إلّا بالحد الأدنى من الخسائر.

* * *

٥ ـ يحاول كل قائد في العصر الحديث تقليد هاني بعل ـ هانيبال ـ في معركة كاني، حين طوّق جيش الرومان وأباده. وسلاح الجو هو الأداة التي تدمّر الجسور وخطوط المواصلات، وتضرب المؤن والإمدادات فتمنع وصولها إلى القوات، وتساعد على قطع خطوط الانسحاب والتراجع. وبذلك يساعد سلاح الجو جيش البر على تطويق جيش العدو وإفنائه. وقد بلغت قوة سلاحنا الجوي في خريف سنة ١٩٤٤ حدود ٤٧٠٠ طائرة مقاتلة و ٦ آلاف قاذفة قنابل و ٤ آلاف طائرة نقل واستطلاع.

* * *

٦ ـ الحرب الحديثة هي حرب آلية ـ ميكانيكية ـ بالدرجة الأولى، وإن الجيش الذي يمتلك قدرة آلية ـ ميكانيكية ـ بدرجة أكبر، وتتوافر له سرعة الحركة، هو الجيش الذي ينتصر في المعركة. وقد اعتمدت القيادة الأمريكية منذ القديم على سرعة الحركة في تنفيذ خططها الحربية، ومن أجل ذلك دعمت فرق الخيالة عندها، فأصبح لدى جيشها أكبر عدد من الخيول عرفته جيوش البلاد الأخرى. ولما أقبل عصر الآلة، استعاضت الولايات المتحدة عن الخيول بالمحرك الآلي وزادت من اعتمادها على الآليات من كل نوع، فضاعفت بذلك من

سرعة حركتها، وأخذت المبادأة في قبضتها بسبب تفوقها الجوي وبسبب تفوق وسائط حركتها البرية من دبابات وآليات ـ سيارات ـ بالإضافة إلى قدرة أساطيلها البحرية. ولا حاجة للقول إنه لولا ذلك الجهاز الإنتاجي الضخم الذي تتميز به صناعة الولايات المتحدة، لما استطعنا التفوق على جيوش العالم بسرعة الحركة، هذا علاوة على ما قدّمناه لحلفائنا من مساعدات في السفن والطائرات والمركبات ـ الآليات ـ.

* * *

٧ ـ علّمتنا التجارب أنه إذا قام جيش ما بهجوم كاسح، فمن الخطأ محاولة إيقافه أو صدّه بإرسال الوحدات على دفعات متتالية ـ كما اعتاد رومل أن يفعل ـ ولذلك اتفقنا على أنه إذا قام الألمان بهجوم مضاد ساحق، فإننا لن نحاول إيقافه بزجّ وحدة بعد أخرى في المعركة، لأنه بذلك يستطيع سحقها على التتابع، ويتابع زحفه. كما أننا لو تمكّنا بهذه الطريقة من إيقافه، فإننا نصبح أعجز من أن نقوم بهجوم مضاد قوي لتدميره، ومن الأفضل إذن أن ندعه يتقدم، حتى تتجمع قوّاتنا، وتواجهه بقوة وحزم.

* * *

٨ ـ قام الألمان بهجومهم الذي أعدّوا له طويلاً، وهدفهم قذف قوّات الحلفاء إلى البحر ـ (هجوم الأردين في كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٤) ـ وتعرّض أيزنهاور لهذا الموقف بقوله: «إن تطور أي هجوم في أي مكان ضد أي جيش، يخلق حالة من القلق والذهول تشمل

الجميع، من أعلى قائد إلى أقلّ جندي في الجبهة. وأكثر ما يعاني من مثل تلك الحالة هم الجنود والوحدات التي تتعرض للهجوم المدمّر من كل ناحية، فتتدهور الروح المعنوية، وتهتز الثقة بقيادتهم إذ لا يرون أنها تبذل أي جهد لإنقاذهم من الكارثة التي يتعرضون لها. ولا بد أن تنتقل عدوى القلق من الجنود في الجبهة حتى تصل إلى القيادة العامة في مقرّها البعيد عن الخطر، مهما كانت واثقة بنفسها، وبإمكاناتها التي تسمح لها بإحباط هدف العدو وسحقه. وما دامت المبادأة في قبضة العدو، فإنه ما من أحد يستطيع أن يتوقع ما قد يحدث من مباغتات قد تقلب المخططات الموضوعة رأساً على عقب. وشواهد التاريخ كثيرة وهي تؤكّد أن ظهور حالة الذعر، أو تدخّل العوامل الجوية ـ كالعواصف ـ بصورة مباغتة، أو ما أشبه ذلك من الحالات الطارئة، قد حوّلت النصر إلى هزيمة، والنجاح إلى فشل، فلا عجب إذا هيمن القلق والاضطراب على كل جندي وضابط مقاتل في الجبهة.

من الضروري ألّا يستسلم القادة لمثل هذه الظروف الطارئة، وعليهم ألّا يتركوا المجال للشائعات حتى تُمارس دورها في كل مكان، فتتزايد المقولات، وتكثر الاختلاقات ويسود الاضطراب، مما يخلق روحاً إنهزامية، فيتحول الذعر إلى هلع وشلل، بل يجب على القادة أن يضبطوا أعصابهم ويملكوا زمام السيطرة على أنفسهم، ويتظاهروا بالتفاؤل حتى في أشدّ الساعات حرجاً وخطراً، وأن يقوموا بنشر البيانات المشجعة بكل واسطة، شفهياً وكتابياً.

استَدْعَيت قادة الجيوش ـ برادلي وباتون ودفرز ـ للحضور إلى مقرّ القيادة في فردان. وعندما عُقد الاجتماع، للبحث في تنظيم الهجوم

المضاد بعد أن وضحت نوايا العدو وعَرفت قوته، وقلْت للقادة: يجب علينا ألّا ننظر إلى الحالة الحاضرة بأنها كارثة، بل يجب التعامل معها على أنها فرصة لنا، وإني أطلب إليكم أن تبدوا بوجوه يعلوها البِشْر لا الكآبة. وعندها قاطعني الجنرال باتون وقال بحماسة: يا لجهنم، لماذا لا يكون عندنا الشجاعة، ونسمح للـ. . . ع. . . أن يتقدموا حتى باريس، ثم نقطّعهم إرباً إرباً، ونمضغهم. فابتسم الجميع. وأجبت: إننا لن نسمح لهم بعبور نهر الموز.

كان ذلك يوم ١٨ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٤. وفي يوم ٢٢ منه أصدرت الأمر اليومي التالي: **لقد أتاح لنا العدو، بخروجه من مواقعه الدفاعية الحصينة، الفرصة حتى نحوّل مقامرته الكبرى إلى هزيمة منكرة. وإني على ثقة من أن كل جندي وضابط سيرتفع إلى أعلى مستوى من الشجاعة ورباطة الجأش، حتى يبدي من ضروب البطولة ما يتطلبه الواجب. وليضع كل واحد منكم نصب عينيه هدفاً واحداً وهو تدمير العدو والقضاء عليه، وليوفقنا اللّه للفوز بأكبر نصر».**

❋ ❋ ❋

٩ ـ اضطرتنا الحرب إلى إنشاء جهاز مواصلات عبر القارات لم يكن له مثيل في التاريخ، مع إنشاء جهاز حكومي عسكري لإدارة شؤون الشعوب في مناطق احتلالنا. وقد ضمّت هذه الأجهزة رجالاً ممن يحسنون التفاوض مع الآخرين والتفاهم معهم. ويدرك كل من اشترك في الحرب العالمية الثانية، وتسلّم مسؤولية كبرى، ثقل المهام

المتشعبة التي فرضتها الحرب على القيادة العامة في كل مجال من المجالات الحربية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وسواها.

* * *

١٠ ـ كان المبدأ العسكري الذي أخذنا به في حملة أفريقيا، ثم في حملة أوروبا بعد ذلك، هو مبدأ تجنّب الجمود على الجبهة، والابتعاد عما يشبه حرب الخنادق، والالتجاء إلى سرعة الحركة، وتحقيق المباغتات. وأفدنا في ذلك من سلاح مدفعيتنا ودبّاباتنا وطائراتنا، فأمكن لنا التغلب على العقبات الطبيعية والحصون الاصطناعية التي ظن أنها أصعب من أن تقهر. وكم من جبل ووادٍ وحصن كان يعتقد العدو أنه أمنع من أن يصله عقاب الجو، اجتزناه بمدة قصيرة، سواء في أفريقيا أو في إيطاليا أو في فرنسا أو حتى في ألمانيا ذاتها. وكان الراين يشكّل عقبة طبيعية في مواجهة كل غزو طوال ثلاثة قرون من عمر الزمن، فاجتزناه بسهولة وقعت كالصاعقة على كاهل العدو. واستطاعت قوّات الحلفاء في غرب أوروبا أن تشقّ طريقها مرتين في وسط تحصينات أعدّت بطرق علمية فنية، وجُهّزت بمهارة عالية، أولها: شق طريقنا في التحصينات التي أقامها الألمان على سواحل النورماندي. وثانيتها: انتصارنا على خط سيغفريد الذي أعدّه الألمان في مكان منعة طبيعية، وجهّزوه بأقوى ما أبدعته عقول مهندسيهم. وقد أجتزنا العقبتين بأقلّ من عشرة أشهر، ونجحنا باحتلال فرنسا وبلجيكا، وأوغلنا في تقدّمنا داخل ألمانيا، وفرضنا عليها الاستسلام دون قيد ولا شرط.

قد يكون من السهل على المرء أن يفترض بأن أيام التحصينات

الثابتة قد ذهبت دونما رجعة، وأن الأسلحة الحديثة قد تجاوزتها، ويستشهد على ذلك بأمثلة من التاريخ، كالانتصار على أسوار الصين وأسوار روما وخط ماجينو وسواها من التنظيمات الدفاعية. وهنا لا بدّ من التأكيد وبوضوح على أنه إذا ما تعادلت عوامل الصراع المسلّح لدى الطرفين المتحاربين، فإن النصر يبقى إلى جانب من ينظّم مواقع دفاعية أكثر قوة وتحصيناً.

* * *

١١ ـ استخدمنا مبدأ المباغتة بعد أن انتصرنا على الحصون الغربية، وذلك أولاً بنزولنا في الشواطىء التي كان يستبعد العدو اختيارنا لها. وثانياً بتركيز قوات ضخمة في جبهة ضيّقة ثم العمل على توسيعها تدريجياً. ولما تكاملت القوى والوسائط القتالية، ساعدتنا الطائرات والمدرّعات على فتح ثغرات في خطوط العدو، والانطلاق بعد أن قصفت طائراتنا خطوط مواصلات العدو ودمّرتها وجعلت من العسير وصول الإمدادات إليه، بينما كانت السفن والطائرات تواصل حمل الدعم إلينا. أما خط سيغفريد فكان أمنع وأضخم لما احتواه من الوسائط الدفاعية وحقول الألغام والمصائد والخنادق والعقبات الطبيعية والصناعية، علاوة على بطاريات المدفعية المختلفة الأنواع والتي ترمي على مسافات مختلفة، وأعشاش الرشاشات، وملاجىء للجنود يجري تموينها بطرق خاصة، تذهب كيلومترات عدة في العمق، لما يتخللها من أنهار ووديان ووهاد، عرف العدو كيف يستغلّ تحصينها على أكمل وجه، مما جعل اجتيازها من أصعب ما يتصوره العقل.

١٢ ـ ما من شيء سهل في الحرب، والدم هو الثمن المقابل للأخطاء، ويشعر الجند بسرعة بما يقع فيه قادتهم من الأخطاء، ولهذا يصبح لزاماً على القادة دراسة كل الأمور بدقّة وإمعان، لتوفير أرواح جنودهم، والإقلال ما أمكن من انتقاداتهم لها.

* * *

١٣ ـ جاء الانتصار الذي أحرزناه في المتوسط وفي أوروبا ليدحض كل المزاعم السابقة واللاحقة من أن المعسكر الديمقراطي يسير على طريق التدهور والانحطاط لخوفه من الحرب، ولعدم مقدرته على السير مع ركب ما تتطلبه الحرب الحديثة من دقة في الأحكام وسرعة في التنفيذ. وكان أول درس تعلّمناه في هذه الحرب هو إمكان عقد اتفاقات ومعاهدات ما بين الأمم المختلفة بهدف خوض حرب طويلة ضد عدو متجبّر. ذلك أن وجود عدو مشترك خطر، جعل دول الحلفاء أن يخصصوا أقوى مؤسساتهم وأجهزة اقتصادهم وأكبر علمائهم ورجال سياستهم للعمل في سبيل القضية الأولى والأهمّ: وهي سحق العدو والقضاء على خطره، فزالت بذلك الخلافات الصغرى والغايات الشخصية، وتبددت روح الاتكالية والانهزامية. وعمل الجميع فريقاً واحداً في سبيل غاية واحدة، وإن ما جرى من تعاون مخلص بين الفرقاء المعنيين سيبقىٰ أبداً مضرب الأمثال.

* * *

١٤ ـ لقد كانت وحدة الحلفاء، والطرق التي اتُّبعت لتحقيق تلك الوحدة، هي أكبر درس للشعوب في إبراز قيمة التعاون. ولقد

استخلصنا نحن الجنود دروساً عسكرية بحتة في طبيعة هذه الوحدة. وإذا اتسع المجال لدراسة عناصر كل موقعة قبل أن تغطيهـا مملكة النسيان، وتمّت الموازنة بين ما ارتكب فيها من أخطاء، وما تمّ إنجازه من أمجاد. وإذا ما تم فحص العوامل التي أدّت إلى الهزائم وتلك التي أدّت إلى الانتصارات، فإن الأجيال القادمة ستحقق فائدة كبيرة منها، وتوفّر على نفسها كثيراً من الأخطاء. ولذلك، تم تعيين لجنة خاصة من كبار القادة الذين اشتركوا في العمليات الحربية والأعمال الإدارية لتسجيل ما يمكن تسجيله من الحقائق عن كل معركة خضناها، على أن تؤخذ قضية التموين والصيانة والإدارة بعين الاعتبار.

* * *

١٥ ـ كان أهم درس تعلّمناه من الحرب العالمية الثانية هو أهمية الطائرة للقيام بأعمال قصف جبهة العدو، وتدمير مواصلاته ومصانعه ووقوده، واستطلاع تحرّكاته، ومعرفة ما يجزي وراء خطوطـه وصد طائراته وإبعاد خطرها عن مدننا ومنشآتنا، وحماية جنودنا، بالإضافة إلى ما تستطيع الطائرات نقله بسرعة من الجنود والوسائط القتاليـة والمواد التموينية والنشرات والمجلات وغيرها. وبـاتت هناك قنـاعة راسخة بأنه من المحال كسب معركة حديثة دون دعم الـطائرات، فهي التي تموّن الوحدات المنعزلة، وهي التي تدعم القوات المتقدمة. والطائرات بأنواعها الثلاثة: القاذفة والمقاتلة والناقلة للجند والأعتدة، تعمل بصورة متكاملة فتشكّل بذلك وحدة يجب أن يتوافق نشاطها مع نشاط القوات البرية والبحرية، بحيث تعمل هذه الأسلحة (البرية والبحرية والجوية) فريقاً واحداً لتحقيق هدف واحد.

١٦ ـ استطاع العُلماء والمخترعون تغيير وجه الحرب بعدة عوامل: منها الدبابات التي اقتحمت الشاطيء الفرنسي عائمة كالبط على وجه البحر، والصواريخ، والوسائط القتالية التي استخدمت للمرة الأولى في الحرب الأخيرة، واضطلعت بدور كبير في تقرير مصيرها، هذا علاوة على القنبلة الذرية التي فجّرناها في آخر الحرب. وإن من الدروس التي تعلّمناها هو الاستعانة بالعلماء والمفكّرين لما لهم من تأثير على مصير الحروب.

* * *

١٧ ـ تعلّمنا من تجربة الحرب أن تأثير المعارك الطويلة الأمد يكون على الغالب سيئاً على الجنود من الناحيتين الجسدية والنفسية. ومثلاً على ذلك: إذا أخذنا وحدة من الوحدات، وجعلناها تخوض معركة، ثم سحبناها قبل أن تستنزف قواها، وقبل أن ينهكها التعب وتفقد عدداً كبيراً من أفرادها، فإنها تستطيع أن تعود لخوض المعركة من جديد بعد فترة قصيرة. أما إذا تركناها في الجبهة لمدة طويلة وهي تعاني من كره القتال ومشقاته وخسائره، فإنها تصاب بالإرهاق، وتتدهور روحها المعنوية بحيث يصعب استخدامها ثانية إلاّ بعد مضي فترة طويلة من الزمن. وقد ظهر لنا في بداية الحملة الأفريقية أن القوة المعنوية والثقة بالنفس لا تقلّ أهمية عن الأسلحة في القتال. فالجندي الذي يتحلّىٰ بالشجاعة ورباطة الجأش والثقة بالنفس، لا يتعرّض للإصابة بما يسمى (شلل المعركة)، وهي حالة نفسية تصيب الجندي عندما تكثر الانفجارات من حوله، فتشلّ يده أو رجله أو تعمي بصره دون أن يكون الجسد مصاباً بأي ضرر حقيقي. إن على القائد

مواجهة مثل تلك الحالات بالصبر وحسن التوجيه والتشجيع، لا بالخشونة والقسوة اللتين تولدان أثراً معكوساً. وكم من مرة كنت إذا نطقت بكلمة تشجيع تصيب منهم وتراً حساساً، أسمع المصابين بهذه الحالة النفسية يقولون:

«أيها الجنرال! نرجوك إعادتنا إلى وحداتنا حتى نتمكن من القيام بما يفرضه علينا الواجب».

* * *

١٨ ـ على القيادة العامة أن تُعِير اهتماماً خاصاً بقضية إقناع الجنود بالهدف الذي أعلنت الحرب من أجله، والمبادىء التي يجب أن يتم الدفاع عنها لحماية الأمة، وضمان الحريات، وإنقاذ المجتمع من سيطرة عدوٍ قاسٍ ظالم. وبكلمة أخرى، يجب على القائد إقناع الجندي بما لدى أمّته وشعبه من الفضائل والمميزات والخصائص التي تؤدّي إلى ضمان السعادة له ولأقربائه ولمواطنيه، ولهذا يجب أن يشترك في الدفاع ضد الطامع المغتصب من أجل حماية هذه السعادة. ومن الواجب الاهتمام بكل جندي ومعرفة أوضاعه، والعمل على رفع روحه المعنوية، وإزالة ما قد يظهر من الأسباب المؤدّية إلى إضعاف هذه الروح المعنوية.

* * *

١٩ ـ بقيت المشكلة الكبرى التي واجهت القيادة هي المحافظة على الروح المعنوية للجنود. وكان في جملة الاجراءات التي اتخذت لهذه الغاية، العمل على منح عدد من الجنود إجازة، يبتعدون خلالها عن

أداء واجباتهم القتالية، ويذهبون فيها إلى باريس أو لندن أو أية مدينة أخرى، يتمتعون فيها بقسط من الراحة والرفاهية. وقد أنشأنا في مراكز خاصة في المناطق الأمينة وراء الجبهة استراحات تذهب إليها وحدات صغرى كاملة يتسنّى فيها لكل جندي أخذ حمام ويقضي ليلة أو اثنتين في فراش وثير دافيء. وأقمنا نادياً للحلفاء في نزل من أكبر النُزل في باريس، لا يستقبل إلاّ الجنود الذين يزورون المدينة من الجبهة. واعتمدنا على الصليب الأحمر وغيره من المؤسسات لتوفير وسائل الراحة والترفيه للجنود أثناء إقامتهم هناك. وجدير بالذكر أنه حدث في الحرب العالمية الأولى أن تلقّى الجيش الأمريكي مساعدات من منظّمات أهلية مختلفة عملت على استضافة الجنود والترفيه عنهم. ونشأ عن تشابك الصلاحيات، وحماسة بعض المؤسسات والأفراد من الجنسين مشكلات إدارية واجتماعية كثيرة، مما جعل وزارة الحرب ملزمة بالتعامل مع مؤسستين فقط للترفيه عن الجنود في الحرب العالمية الثانية، وهما: منظمة الصليب الأحمر، ومكتب الاتحاد الاجتماعي، فقدّما خدمات جليلة يعجز القلم عن مدحها والوفاء بحقّها، فأسّسا النوادي والمقاهي للجنود، وأقاما لهم الحفلات المختلفة، وقدّما ما لزم من التوجيه والنصح والإرشاد للوقاية من الانهيار الخلقي، ولم يبخلا بشيء مما جعل المحاربين يشعرون أنهم في بيوتهم وبين أهلهم، فكانت تلك الأعمال بركة وسلاماً في وسط أهوال المعارك الضارية التي شابت لها مفارق الشباب.

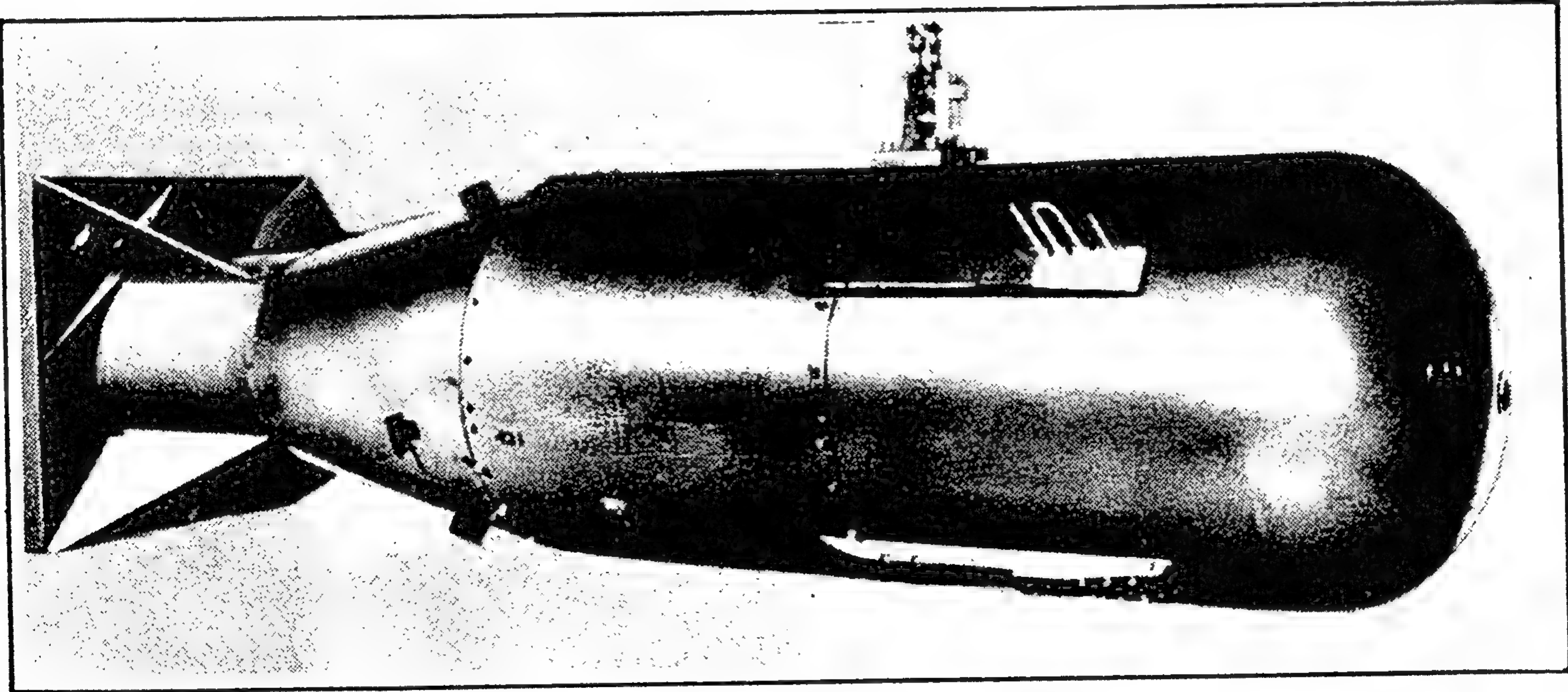
* * *

٢٠ ـ لقد عملت الحرب العالمية الثانية على إدخال وسائط قتالية

جديدة لم يسبق أن عرفها عالم الحروب، وتبع ذلك إدخال تحسينات كبيرة في أساليب الهجوم والدفاع ، غير أن ذلك كله لا يعادل شيئاً لدى مقارنته بتأثير القنبلة الذريّة. إننا لم نستعمل هذه القنبلة، ولم



الكولونيل «بول تيبيتز» الذي قاد طائرة «ب - ٢٩» حاملة القنبلة الذريّة إلى «هيروشيما».



قنبلة «هيروشيما»

يفكّر أحد باستعمالها على المسرح الأوروبي، وإننا لم نشهد انفجارها ولم نعرف قدرتها التدميرية، غير أن التقارير التي وصلتنا بعد تفجير القنبلة الذرية في هيروشيما (في ٦ آب - أغسطس - ١٩٤٥) لم تترك مجالاً للشك بأننا دخلنا عتبة عصر جديد من مصادر القوة التدميرية. وظهر أن كثيراً من العلوم العسكرية التي تعلّمناها قد انهار في لحظة واحدة، وحلّت مكانها آراء ومبادىء جديدة، منها أن على الأمة التي تفكّر بالاعتداء على غيرها أن تعمل على إعداد عدد لا يُستهان به من تلك القنابل، وتقذفها بصورة مباغتة على مصانع العدو ومُدنه ومراكز تجمّعاته. ويجب على الفريق المهاجم أن يعرف المقدار اللازم من المتفجرات لإصابة الهدف وتدميره عن آخره، بينما يجب على المدافع أن يحاول منع الهجوم، وذلك بأن يقوم هو بدوره بقذف ما يملك من قنابل ذرية على مدن العدو ومنشآته. إن ما شاهدت من دمار في ألمانيا لا يعتبر شيئاً إذا ما تمّت مقارنته بالدمار الذي تستطيع إنزاله الحروب المقبلة.

إني آمل من صميم القلب أن يكون هذا الدرس الذي تعلّمناه من قنبلة هيروشيما، بالإضافة إلى ما عشناه من تقتيل وكوارث وتدمير طوال ست سنوات، كافياً لإقناع كل مسؤول وكل صاحب عقل سليم، أينما كان، بأن استعمال القوة لحسم الخلاف بين الدول والشعوب، يجب أن يكون محرّماً، وبعيداً عن كل تفكير. وإني وأنا أستعيد صور ما شاهدته من فظائع الحرب، وويلاتها، وما أتصوّره عمّا أصاب سكان هيروشيما على أثر انفجار القنبلة، لا أستطيع إلاّ أن أتوجّه بنداء إلى الدول والشعوب أن تعمل على منع الحروب وتحريمها

إذا كانت تريد أن تحافظ على بقائها، وعلى ما أقامته من مؤسسات لإسعادها وتأمين رفاهيتها. وليس بعيداً من أن ينجح الخوف من الفناء والوجود في وضع حدٍّ للحروب بأكثر مما تنجح محاولات رجال السياسة والديبلوماسية والدين في تحقيقه والوصول إليه.

مراجع البحث الرئيسة

١ ـ حرب صليبية في أوروبا ـ دوايت أيزنهاور ـ ترجمة إبراهيم عبود ـ دار اليقظة العربية ـ دمشق ـ سوريا ـ الطبعة الثانية ١٩٦٠ .

٢ ـ أشهر قادة الحرب العالمية الثانية ـ تأليف بكباشي عبد الفتاح حسن، بكباشي منقريوس نظمي، أحمد الأورفلي ـ شركة فنّ الطباعة ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٤٩ .

٣ ـ مذكّرات وآراء ـ مارشال الإتحاد السوفييتي ـ غ . ك . جوكوف ـ وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٢ .

٤ ـ فنّ الحرب ـ الجنرال أميل وانتي ـ تعريب أكرم ديري والمقدّم الهيثم الأيّوبي ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ شباط ـ فبراير ـ ١٩٧٣ .

٥ ـ المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ـ بيتر يانغ ـ ترجمة المقدّم المتقاعد بسام العسلي ـ مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوّات المسلّحة ـ دمشق ـ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م .

٦ ـ حرب المباغتة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ العقيد ألبرت ميرغلن ـ ترجمة المقدّم بسام العسلي ـ بيروت الطبعة الأولى ـ ١٩٨٢ .

٧ ـ تاريخ فنّ الحرب ـ ستروكوف ـ ترجمة العميد الركن صباح الدين الأتـاسي ـ وزارة الدفـاع في الجمهوريـة العـربيـة السـوريـة ـ دمشق ١٩٦٨ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الوجيز في حياة أيزنهاور	٥
من أقوال أيزنهاور	٧
المقدمة	١١
الفصل الأول	١٧
١ ـ الإنسان وقدره	١٩
٢ ـ خيارات الحرب	٣٦
٣ ـ الإعداد للحرب	٤٨
٤ ـ إنكلترا ـ قاعدة الهجوم على أوروبا	٥٩
٥ ـ مرصد القائد في جبل طارق	٧٤
٦ ـ إدارة الحرب في تونس	٩٠
٧ ـ تجربة الحرب في صقليا وإيطاليا	١١١
الفصل الثاني	١٢٧
١ ـ حروب ما قبل الحرب	١٢٩
٢ ـ أطول يوم في التاريخ	١٤٢
٣ ـ ماذا حدث في الأرنيم؟	١٥٨

الموضوع	الصفحة

٤ ـ التوقف الاجباري والتقدّم القسري ١٦٥

٥ ـ الأردين والجهد اليائس ١٧٥

٦ ـ الهجوم الحاسم والنهائي ١٨٧

٧ ـ أيزنهاور وإدارة الحرب ١٩٥

٨ ـ رجل المبادىء ٢٠٧

قراءات ٢١٥

١ ـ أيزنهاور وقوله في بعض أصحاب القرار ٢١٧

٢ ـ أيزنهاور والقادة السوڤييت ٢٢٥

٣ ـ أيزنهاور ودروس الحرب. ٢٣٥

مراجع البحث الرئيسة ٢٥١

الفهرس ٢٥٣

سلسلة مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية

١ ـ رومل
٢ ـ غودريان
٣ ـ الماريشال ويڤل
٤ ـ مونتغومري
٥ ـ جوكوف غريغور كونستانتينوفيتش
٦ ـ ألكسندر فاسيليفسكي
٧ ـ أيزنهاور
٨ ـ الجنرال دوغلاس ماك آرثر
٩ ـ فوتجوين جياب

صدر عن «دار النفائس» للمؤلف

١ ـ سلسلة : مشاهير قادة الإسلام (١٥ كتاباً)

كل كتاب قسمان ـ الأول : يعطي لمحة عامة عن القائد موضوع الدراسة . والثاني : دراسة لشخصيته من الناحية القيادية والعسكرية ، مع أهم المعارك التي خاضها .

وتحوي الكتب التالية : عقبة بن نافع ـ موسىٰ بن نصير ـ قتيبة بن مسلم الباهلي ـ سعد بن أبي وقاص ـ عمرو بن العاص ـ أبو عبيدة بن الجراح ـ خالد بن الوليد ـ معاوية ابن أبي سفيان ـ صلاح الدين الأيوبي ـ المظفر قطز ومعركة عين جالوت ـ الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية (القديمة) ـ عبد الرحمٰن الداخل (صقر قريش) ـ عبد الرَّحمٰن الناصر ـ الحاجب المنصور ـ المعتمد وابن تاشفين .

٢ ـ سلسلة : جهاد شعب الجزائر (١٥ كتاباً)

تعرض تاريخ الجزائر ابتداءً من خير الدين بربروس ، وانتهاءً بجبهة التحرير الوطني الجزائري ، واستقلال الجزائر ، وقيام الدولة الحديثة ، والكتب مزوّدة بالصور والخرائط والوثائق التي حصل عليها المؤلف من أوثق المصادر وأصحّها .

٣ ـ سلسلة : مشاهير الخلفاء والأمراء

تبحث هذه المجموعة في جانب إدارة الحرب عند مشاهير الخلفاء والملوك والأمراء ، وتحوي الكتب التالية : الصديق القائد ـ الفاروق القائد ـ ذو النورين القائد ـ الإمام القائد ـ عبد الملك القائد ـ المنصور القائد ـ الرشيد القائد ـ نور الدين القائد ـ الفاتح القائد ـ القانوني القائد .

٤ ـ الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية

دراسة عسكرية لمعارك : ملازكرد ـ الزلاقة ـ حطين ـ القدس ـ الأرك ـ عين جالوت ـ نيقوبوليس ـ قبرص .

مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الثانية، التي ما زالت كابوساً يؤرق حياة الناس، وعقلاء القادة، حتى يومنا هذا، أبرزت قادة عظاماً يجدر بعسكريينا ومثقفينا وجميع شبابنا أن يدرسوها، ويستفيدوا من خبراتها...

فقديماً قيل: «إذا أردت أن تكون عظيماً فاقرأ حياة العظماء».

لقد اختار مؤلف هذه السلسلة الجديدة، وهو المحلل العسكري الشهير والكاتب المبدع، أشهر قادة هذه الحرب، فكتب عن كل واحد منهم كتاباً، حلل فيه شخصية القائد موضوع البحث، وشرح المعارك التي خاضها، في إطار بحث شائق للظروف التي أحاطت بكل معركة من تلك المعارك وأدت إلى النصر أو الهزيمة.

الناشر

